وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

الشَّواهدُ القُرآنيةُ في كلامِ أصحابِ الكِساءِ(ع)

دراسةٌ حجاجيةٌ

اطروحةٌ مُقدَّمةٌ الى مجلس كلية العلوم الاسلامية/جامعة كربلاء وهي جزء

من متطلبات نيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها

كُتِبَتْ من قبل :

باسم شعلان خضيّر

بإشراف:

أ . د مسلم مالك بعيّر الاسدي

نيسان 2023 م **رمضان 1444هـ**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ

إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي

وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ

الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (صدق الله العلي العظيم)

(البقرة:258)

ترشيح اطروحة للطبع

نظراً لانجاز مباحث وفصول الاطروحة الموسومةبـ (الشواهد القرآنية في كلام اصحاب الكساء(ع) " دراسة حجاجية ") لطالب الدكتوراه(باسم شعلان خضير) فأني ارشحها للطبع.

التوقيع:

المشرف: أ.د سلم مالك الحسيني

مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٤/ ٤/ ٢٠٢٢

إقرار المشرف

أشهد ان الاطروحة الموسومة بـ (الشواهد القرآنية في كلام اصحاب الكساء(ع) " دراسة حجاجية " التي قدمها الطالب (باسم شعلان خضير) قد اعدها بأشرافي في جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية ،وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية /لغة القرآن وادابها.

التوقيع:

المرتبة العلمية: استاذ دكتور

المشرف: أ.د. حاتم صالح الضامن

مكان العمل: جامعة كربلاء/كلية العلوم الإسلامية

التأريخ: ١٠/٤/٢٠٠٢

بناءً على توصية المشرف والمقومين العلميين أرشح هذه الاطروحة

التوقيع:

الاسم: أ.م.د. حامد شهاب أحمد

١٠/٤/٢٠٠٢

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ **(الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء ؛(عليهم السلام) دراسة حجاجية)** وناقشنا الطالب/ـة**(باسم شعلان خضير خليف)** في محتوياتها وفيما له علاقة بها ، ووجدنا بأنها جديرة بالقبول بتقدير(إمتياز) لنيل درجة الدكتوراه في فلسفة في لغة القرآن وآدابها.

أ.د. خالد شكر محمود
كلية الآداب/ جامعة سامراء
رئيساً

أ.د. جاسم عبد الواحد راهي
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د. تغريد عبد الامير مرهون
كلية العلوم الإسلامية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د. عهود ثعبان يوسف
كلية التربية للعلوم الإنسانية/ جامعة كربلاء
عضواً

أ.م.د. ميثاق حسن عبد الواحد
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة
عضواً

أ.د. مسلم مالك الأسدي
كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء
عضواً ومشرفاً

صدقت في عمادة كلية العلوم الإسلامية / جامعة كربلاء

التوقيع:
الاسم: **أ.د.ضرغام كريم كاظم الموسوي**
العميد وكالة
التاريخ: 2023/5/11

الاهداء

إلى من دعاه الماء أن تحنن عليّ بجودك . . . .

فوقف يحاججه بين إقناع وانصياع . . . .

فتوقف الزمن في هذه اللحظات . . . .

ينتظر كلمات الوفاء والإباء . . . . .

فجعل للعطش معنى الإرتواء . . . . .

وجعل الماء يحتجب من فرط الحياء . . . .

فرماه من يده وصان الإخوة والوفاء . . . .

إلى سيدي أبي الفضل العباس بن علي بن أبي طالب (ع) أهدي هذا العمل مستنيراً بعلمه وبصيرته

الشكر و العرفان

الحمد لله والشكر له أولاً وآخراً الذي وفقني وهداني بأن تكون دراستي مستقاة من الكتاب والعترة

امتدادا لشكر الخالق ، واجباً وعرفاناً أن اشكر والديّ واخوتي وزوجي وأبنائي على مساندتهم لي في إكمال هذا المشوار العلمي.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى عمادة كلية العلوم الإسلامية المتمثلة بعميدها ومعاونيه الأفاضل ، وإلى رئيس قسم اللغة العربية السابق الأستاذ المساعد الدكتور صفاء لطيف المسعودي ورئيس القسم الحالي الاستاذ المساعد الدكتور حامد شهاب ، واعترافاً بالفضل الجسيم ، ومن البِر والإحسان أن أشكر كثيراً أساتذتي في قسم اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية الذين تزودت من بحور علومهم في مرحلتي الماجستير والدكتوراه إذ بذلوا جهداً أعجز عن وصفه و ما زلت أنهل من بحور علومهم ... ، ولا يفوتني أن أذكر زملائي الذين ساندوني طوال مدة دراستي وكتابة بحثي ولم يتوانوا عن تقديم ما احتجت اليه فقد كان لهم أثر بالغ في دراستي ، والشكر موصول إلى كل من قدم المساعدة أو النصح.

وأخص بالذكر الأخ العزيز الأستاذ منتظر محسن الياسري، والشيخ حازم البدري ، والاستاذ أحمد عودة الصالحي الذين قدّموا لي يد العون في هذه الرحلة العلمية.

و أخصُ بالشكر والتقدير كادر مكتبة الروضة الحيدرية، ومكتبة العتبة الحسينية المقدسة، ومكتبة الإمام الحكيم.

والحمد لله ربِّ العالمين على توفيقه وسداده، وما يقيني إلاّ بالله الواحد الأحد، فهو وحده مُيسّر الأمور، ومُرشد العباد لما فيه من خيرٍ وتوفيقٍ وسداد.

الخلاصة

إن الخطاب القرآني شأنه شان سائر الخطابات يستهدف التأثير في المتلقي واستمالته فهو يتوسل لتحقيق ذلك عبر جملة من الاستراتيجيات المتنوعة ولايخرج الحجاج منها البتة ، بل يكاد كتاب الله تعالى أن يكون مستلهماً لدعائم الحجاج بصورة محورية كون الغاية الأساس منه هي تحقيق قدرة تأثيرية اقناعية فتدفع المتلقي للإذعان والتسليم لرسائل الباث وكان هذا في البحث الموسوم بـ (الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام) دراسة حجاجية وتبعاً لمقتضيات الدراسة فقد قسم على تمهيد بعنوان الحجاج والتداولية قراءة تأصيلية ، ثم الفصل الأول جاء بعنوان الحجاج اللغوي ، ومن ثم الفصل الثاني تحت عنوان أفعال الكلام ومستوياتها الحجاجية في حين كان الفصل الثالث بعنوان حجاجية الإيقاع، بينما جاء الفصل الرابع بعنوان الحجاج البياني وأثره الاقناعي سبق ذلك كله بمقدمة وانتهت الدراسة بنتائج تلتها قائمة المصادر والمراجع.

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**2– 6**
التمهيد الحجاج والتداولية قراءة تأصيلية	**7– 23**
* الفصل الأول : الحجاج اللغوي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء(ع)	24–82
* التوطئة	25
* المبحث الأول :العوامل الحجاجية	26 –48
* المبحث الثاني : الروابط الحجاجية	49– 64
* المبحث الثالث : السلالم الحجاجية	65– 81
الفصل الثاني : أفعال الكلام ومستوياتها الحجاجية في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)	**82– 125**
* توطئة	83
* المبحث الأول : الأفعال الإنجازية التصريحية	84 – 106
* المبحث الثاني : الإضمار والإقتضاء	107 – 125
الفصل الثالث :الإيقاع الحجاجي وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)	**127– 173**
* توطئة	126
* المبحث الأول : الفاصلة القرآنية	127 – 136
* المبحث الثاني : التوازي وأثره الإيقاعي	137 – 144
* المبحث الثالث : التكرار وأثره الإيقاعي	145 – 152
* المبحث الرابع : الجناس وأثره الإيقاعي	153– 162
* المبحث الخامس :المقابلة وأثرها الإيقاعي	163 – 171
الفصل الرابع : الحجاج البياني وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع) ...	**175 – 222**

* توطئة	173
* المبحث الأول : التشبيه الحجاجي	184 – 174
* المبحث الثاني : الاستعارة الحجاجية	195 – 185
المبحث الثالث : الكناية الحجاجية	207–196
المبحث الرابع : المجاز الحجاجي	222 –208
الخاتمة	**230 – 223**
مسرد المصادر والمراجع	**246 – 230**
الخلاصة باللغة الإنجليزية.....	**A - B**

الـمقدمة

المقدّمة:

الحمدلله رب العالمين و الصلاة و السلام على محمد وآله الطاهرين و صحبه المنتجبين

وبعد ...

لعلّ سائر الخطابات – على تنوعها – تحمل غايات قصدية تتنوع بتنوع المتكلمين والمتلقين، وطبيعة العلاقات القائمة بين المخاطب والمتلقي، ولِا نجانب الصواب إذا قلنا: إن كلّ خطاب لا بُدّ سيحمل في طياته شيئاً من الحجاج –على الأقل– انطلاقاً من حقيقة تؤكدها نظرية أفعال الكلام مفادها أننا إنما (نتكلم لغرض التأثير في الآخرين).

إن الخطاب القرآني الكريم شأنه شأن سائر الخطابات يستهدف التأثير في المتلقي، فيتوسل لتحقيق تلك الغاية بوسائل عديدة، ويتبع استراتيجيات متنوعة، لا يخرج الحجاج منها، بل إن الكثير من نصوص القرآن الكريم – إن لم تكن كلّها – تنهض على دعائم حجاجية بصورة محورية، وذلك لما يتمتع به الحجاج من قدرة تأثيرية إقناعية تدفع المتلقي إلى الإذعان لرسائل المتكلم ، المعلن منها والمضمر في الخطاب.

وتشكل الميكانيزمات الحجاجية أحد أبرز دعائم استراتيجياتها التأثيرية الموظفة في النص القرآني، ولأن الشواهد القرآنية بعينها تمتلك قدرة مسبقة على التأثير في المتلقي بفضل الهالة القدسية المقترنة بمصدرها، عمد أصحاب الكساء (عليهم السلام) إلى الاستعانة بشواهد قرآنية في خطبهم على تنوع المناسبات والسّياقات النصية لتلك الخطب، لتستحيل تلك الشواهد القرآنية في نصوص الخطب حججاً تدفع الوجهة الحجاجية في الخطب باتجاه النتيجة الكبرى المراد ترسيخها إقناع المتلقي.

إن ما يكفل الفاعلية، والتأثير، والبلاغة للصورة الفنية التي تنهض عليها بعض الآيات الكريمات، لا يقتصر على متانة سبك البنى اللغوية، و براعة تنضيدها في هيكليتها البنائية، و ما تحمله العلاقات القائمة فيما بين تلك البنى اللغوية المكونة للصورة الفنية من دقة ولطافة وغرابة ودهشة، بل يشمل – أيضاً – مواءمتها التامة للسّياق النصي الواردة فيه، إذ تتماهى في جسده اللغوي، حتى لكأنها جزء منه، في انسيابية تامة، وتلاحم، ودقة في علاقات المجاورة التي تربطها بالبنيات اللغوية الأخرى.

والحق أن استثمار الطاقات المتنوعة لألوان البيان والبديع في القرآن الكريم وتحميلها وظائف حجاجية ليس أمراً عبثياً، بل يهدف إلى إصابة غرض الزخرف والزينة، وأنه يستهدف التأثير، والفاعلية، وتأدية الوظيفة الدلالية الإقناعية المتمثلة بقيادة الوجهة الحجاجية نحو الغاية المقصودة، التي تأتي في طليعتها الغاية التأثيرية المتمثلة باستمالة المتلقي، ثم دفعه إلى تبني مواقف وأفكار وأنماط سلوكية من جملة الغايات القصدية المحددة مسبقاً من قبل المتكلم.

ومن الجدير ذكره في هذا المقام أن التنظيم المتقن، ليس بغريب عن الخطاب القرآني البتة؛ فقد ألفنا البراعة والإتقان والإبداع في خلق الصور الفنية، وصب المعاني والدلالات في قوالبها اللغوية المناسبة لها، من جهة، والموائمة للسياقات النصية، والغرض العام للسور والآيات، والمقاصد العليا، والأهداف الجمالية منها والحجاجية والدلالية، من جهة أخرى، فلا غرو – والحال هذا – أنَّ يُكثر الناس عامة وأصحاب الكساء خاصة من الاستشهاد بآيات القرآن الكريم التي تصلح لكلّ زمان ومكان.

مسوغات البحث:

إذ كان لاختيار البحث مسوغات يمكن إجمالها في نقاط عديدة أبرزها:

- الرغبة في تطبيق ميكانيزمات المنهج التداولي ، وهي معطى حديث على نصوص قديمة تتسم بالدينامية والحيوية المستمرة ، ونعني هنا النص القرآني، ونصوص كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام).
- الرغبة في رصد حيوات الشواهد القرآنية المتجددة خارج السياق القرآني، وآليات توظيفها وتماهيها في سياقات خطاب أصحاب الكساء النصية.
- تسليط الضوء على دمج الجمال والبلاغة والحجاج والمنطق والبرهان في أتون النصوص في خطاب أصحاب الكساء (عليهم السلام).
- قلة الأبحاث التي تناولت هذا الموضوع بصورة شمولية، فغالبيتها اكتفى بجزئية معينة دون غيرها.

أهداف البحث:

يهدف البحث لمقاربة الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء(ع) وخطبهم بالتحليل والدراسة من منظور حجاجي تداولي، متتبعاً آليات الحجاج اللغوي، وأثرهالإقناعي في

كلام أصحاب الكساء وخطبهم، وذلك عبر تقصي أثر العوامل الحجاجية التي تعدّ بدورها إحدى أبرز أدوات الحجاج الموظفة في الخطابات الحجاجية بغرض إصابة هدف الحجاج المحوري، وهو الإقناع، إلى جانب الروابط الحجاجية، والسلالم الحجاجية بقوانينها، ودور ذلك كلّه، والوظائف التي أدتها تلك الآليات والأدوات الحجاجية في الشواهد القرآنية في خطب أصحاب الكساء (عليهم السلام).

تناول البحث لدراسة ميكانيزمات الحجاج البياني وأثره الإقناعي في الشاهد القرآني في كلام أصحاب الكساء، فيتوقف عند التشبيه الحجاجي، و الاستعارة الحجاجية، والكناية الحجاجية، في محاولة لتقفي أثرها الجمالي و الحجاجي في مستوى الشاهد القرآني أولاً ونص الكلام والخطبة الموظف فيه ذلك الشاهد ثانياً.

وعرض البحث إلى للوقوف على الإيقاع الحجاجي وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في خطب أصحاب الكساء (ع)، وذلك عن طريق دراسة الفاصلة القرآنية وأثرها الإيقاعي، والتوازي وأثره الإيقاعي، والتكرار وأثره الإيقاعي، والجناس وأثره الإيقاعي، والمقابلة وأثرها الإيقاعي، والدور الذي أدته في الخطاب الحجاجي للشواهد القرآنية التي بنيت عليها، والوظائف التي أدتها على المستوى الجمالي أولاً والدلالي الحجاجي الطابع ثانياً، وتلاحم طاقاتها الجمالية و الحجاجية في أتون مهامها الحجاجية في السياقات النصية القرآنية أولاً، والسياقات النصية لخطب أصحاب الكساء ثانياً.

درس البحث أفعال الكلام ومستوياتها في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء ، وذلك عبر دراسة الأفعال الانجازية التصريحية (الأمر والاستفهام والنداء والنهي) ودراسة الإضمار والاقتضاء بشقيه المعجمي والتركيبي، ودور ذلك في تقوية الحجاج الذي قامت عليه الشواهد القرآنية الموظفة في كلام وخطب أصحاب الكساء.

ويهدف البحث لرصد الحضور الحجاجي بمستوياته وأنواعه المختلفة في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)، وميكانيزمات تفاعل البنى الحجاجية والبنى اللغوية الجمالية البلاغية في أتون النص القرآني الموظف شاهداً في كلام أصحاب الكساء عليهم السلام.

يسعى البحث لتقديم صورة بانورامية شمولية – قدر المستطاع – للحجاج في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)، تسلط الضوء على تفاعلاته في السياقات النصية المتنوعة، ووظائفه المضاعفة التي يؤديها على مستوى النص القرآني المختار شاهداً، وعلى مستوى الخطبة التي وظف فيها، ودور ذلك كلّه في التأثير في المتلقي واستمالته، ودفعه إلى الإذعان للمتكلم، والتسليم بمضمون رسالته، وتبني مواقف وسلوكيات محددة.

أهميّة البحث:

تتأتى أهمية البحث من أهمية العينة المختارة وهي الشواهد القرآنية من جهة، ومن أهمية المدونة التي وقع الاختيار عليها ، وهي كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام) من جهة أخرى فضلاً عن طبيعة الطرح المغايرة، والمنهجية المختارة في مقاربة عينة البحث المتمثلة بالدمج بين الوصفية، والتداولية تظهر جماليات الحجاج من جهة، ووظائفه الدلالية المؤداة في سياقات الشواهد القرآنية النصية، وسياقات الخطب الموظفة فيها تلك الشواهد من جهة أخرى.

إشكالية البحث:

يطرح البحث إشكالية تتعلق بقضية دمج المنطق والبلاغة في أتون البنية اللغوية للشاهد القرآني الموظف في كلام أصحاب الكساء، ويحاول البحث الإجابة عن أسئلة عدّيدة لعل أبرزها:

- كيف كان حضور الشواهد القرآنية الحجاجية كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)؟
- ما الآليات الحجاجية والأدوات الحجاجية الموظفة في قيادة الوجهة الحجاجية ودفعها باتجاه النتيجة الكلية المقصودة قبلاً؟
- هل تعارض الجمال مع المنطق والبرهان في الشاهد القرآني؟ أم انصهرا معاً ليخدم كل مستوى منهما الآخر، وينتقل الجمالي في خطب أصحاب الكساء عليهم السلام إلى مستوى أعمق دلاليّا وحجاجي الطابع؟
- ما علاقة الحجاج بالتداولية؟ وما دور أفعال الكلام في الحجاج الموظف في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء (عليهم السلام)؟

- ما هي أهم وظائف الحجاج في الشواهد القرآنية في خطب أصحاب الكساء (عليهم السلام) وما أهم غاياته القصدية؟

المنهج المتبع:

يتوسل البحث بأدوات الحجاج التي اتبعها العالمان ديكرو وبيرمان مع تحوير بعضها لتتوافق مع طبيعة المنظومة اللغوية العربية .

وفي الختام أتقدم بوافر شكري وتقديري إلى استاذي المشرف الأستاذ الدكتور مسلم مالك الاسدي الذي كان معي في هذا العمل ناصحاً وموجهاً ومشجعاً ومصوباً في رحلتنا العلمية هذه ، فلا يسعني في هذا المقام إلا أن أبتهل إلى الله تعالى أن يمده بالصحة والعافية وينفعنا به ((والله خير حافظا ، وهو أرحم الراحمين)) [يوسف :64]

التمهيد

الحجاج والتداولية قراءة تأصيلية

التمهيد:

الحجاج والتداولية قراءة تأصيلية

1-الحجاج:

الحجاج لغةً:

جاءَ في اللسان: يقال حاججته، أحاجه حجاجاً حتى حجَجته: أي غلبته بالحجج التي أدليت بها. والحجّة: البرهان، و الحجة: ما دافع به الخصم، قال الأزهري: الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ويقال حاججت فلاناً، فحججته أي: غلبته بالحجة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة[1].

والحجاج من الحجة التي هي ((البرهان، وقيل الحجة هي ما دفع به الخصم، وحاجه محاجة وحجاجاً، نازعه الحجة، وهو رجل محجاج أي جدل، والتحاج والتخاصم، وجمع الحجة: حجج وحجاج، وحجة يحجه حجاً غلبه))[2]

إنّ دلالة الحجاج اللغوية تدور حول معاني التخاصم، والتنازع، والتغالب، واللجوء إلى الأدلة في مواجهة الخصم[3].

الحجاج اصطلاحاً:

يعرف الحجاج في الاستعمال الاصطلاحي على أنّه ((خطابة تستهدف استمالة عقل المتلقي، والتأثير على سلوكه، أي الإقناع))[4]

وثمة من يرى أنّ الحجاج يمثّل أحد أبرز استراتيجيات المتكلم التي يعمد إلى توظيفها في خطابه بغية التأثير في المتلقي، وإقناعه للوصول إلى توجيه سلوكياته؛ وعليه فإن الحجاج ((نشاط إقناعيّ

---

(1) ينظر: لسان العرب، (مادة حجج): 750/2.

(2) المصدر نفسه: 750/2.

(3) بين تداول الأفعال الكلامية والحجاج مقاربة مفاهيمية: 104.

(4) البلاغة والاتصال: 7.

خطابيّ، يقوم على الاعتقادات والوقائع، ذو كفاية نصيّة وسياقيّة، يشتغل كاستراتيجيّات توظّف العوامل الذاتيّة، والقدرات الخطابيّة، ليحقّق النجاح والفعاليّة))[1].

وإن الحجاج بوصفه استراتيجية إقناعية الغاية مرتبط بالخطابات العقلية اللغوية، ذلك أنه ((حيثما وجد خطاب العقل واللغة، فإنّ ثمة استراتيجية معيّنة نعمد إليها، لغويًا أو عقليًا، إمّا لإقناع أنفسنا، أو لإقناع غيرنا، وهذه الاستراتيجية هي الحِجاج ذاته))[2].

والقول بأن الحجاج أحد أهمّ الاستراتيجيات الموظفة لتحقيق أغراض لغوية قصدية في ميدان براغماتي تواصلي نابع من حقيقة مفادها أنّ الخطابات على تنوعها تقوم على التنظيم الممنهج غالباً. ويترجم هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب في استراتيجيات الخطاب، وهذا مفاده أن الخطاب المنجز هو خطاب مخطط له بصورة شعورية ودائمة، وعليه يتوجّب على المرسل أن ينتقي الاستراتيجية الموائمة لأهدافه، وغاياته، وجملة مقاصده[3].

وعليه يمكننا القول إنّ الخطاب الحجاجي خطاب خاص، مجال هذا الخطاب اللغة الطبيعية، ويتغيّا استمالة المتلقي للوصول إلى تأييده، أو تغيير اعتقاده بشأن قضية معينة، دون إخضاعه، أو ضعه في موقف الإلزام و الاضطرار[4].

إن الغاية التأثيرية الإقناعية تمثل غاية عليا في الخطاب الحجاجيّ، فهو في كنهه خطاب مترع بقصدية قبلية تهدف التأثير في أنماط المتلقي السلوكية، وآرائه، ومعتقداته حيال أمر ما، وذلك بتقديم القول مدعماً مقبولاً كنتيجة بشتى الوسائل، فالحجة التي يتكئ إليها الخطاب الحجاجي توظف بغرض إثبات قضية ما أو نفيها[5]. وعليه يكون الحجاج أحد أبعاد الخطاب الإنسانيّ المكتوب والمنطوق[6].

---

(1) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 17.

(2) الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري: 99.

(3) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 101.

(4) ينظر: قراءة الشعر الجاهلي في ضوء نظريات الحجاج، أطروحة دكتوراء: 40.

(5) ينظر: البنية الحجاجية في القرآن الكريم سورة النمل نموذجاً، بحث: 329.

(6) ينظر: الاستدلال الحجاجي، بحث: 98.

والجدير ذكره في هذا المقام أن الحجاج ليس هو البرهان عينه، بل ثمة حد فاصل بينهما، يكمن فيما ينضوي عليه الحجاج من " الالتباس في الوظيفة الذي لا نجد له نظير في غيره من الاستدلال، و لولا تضمن الحجاج لهذا الالتباس لما تميزت طريقته عن طريق البرهان، فهذا الالتباس هو إذن الفاصل بين الحجاج و البرهان[1]".

في الحقيقة ثمة ألوان كثيرة من الحجاج، منها على سبيل المثال الحجاج العاطفي الذي يؤكد بعض الباحثين على وجوده، وفي دراسته يكتفي الباحثون ببيان جملة الطرق التي يعتمدها المتكلم في احتجاجه لعاطفة ما، ويلجأ إلى فعل تبريري بغرض منحها الشرعية،أو العكس للطعن فيها وبيان فساد الأسس التي نهضت عليها[2].

ولعل اللون الحجاجي الأكثر انتشاراً هو الحجاج البلاغي؛ و يعرف الحجاج البلاغي بأنه الحجاج الذي يتخذ من البلاغة ميكانيزماً فعالاً ورئيسياً في خطاباته، و ذلك انطلاقاً من كون البلاغة تتكئ إلى علة التأثير، و الاستمالة، وذلك من خلال الحجاج بالصورة البيانية، و الأساليب الجمالية التي تتغيا إقناع المتلقي والتأثير فيه، وعليه فإن البلاغة في هذا اللون الحجاجي تصبح معيناً رئيساً للحجاج تمده بأهم الوسائل، و الآليات التي يوظفها المتكلم في حجاجه لتحقيق الأغراض القصدية التأثيرية والإقناعية[3].

و يذهب البعض إلى القول إن الحجاج ليس علمًا أو فنًّا يوازي البلاغة، بل هو محض ربقة من الأساليب والأدوات المستعارة يتمّ اقتراضها من البلاغة، وسواها كالمنطق، واللغة العاديّة، الأمر الذي يقودنا إلى القول باندماج الحجاج مع البلاغة في كثير من الأساليب. في الواقع إن طبيعة ميدان الحجاج الكامنة في المحتمل، وغير المؤكّد، والمتوقّع تدفع الخطابات الحجاجية إلى دعم طروحاته بالاتكاء إلى الأساليب البلاغيّة والبيانيّة، واستثمار خصائصها المتنوعة ومنها تقديم المعنى بطريقة أكثر وضوحاً وأشد تأثيراً في النفس. من هنا تنزاح الأساليب البلاغيّة في بعض الأحيان عن سياقها البلاغي، لتؤدي وظيفة مغايرة، وظيفة لا جماليّة إنشائيّة، وتتجاوز تخوم الجماليات إلى الاستدلال والإقناع. والحق أنّ غالبية الأساليب البلاغيّة تنضوي على خاصيّة

---

(1) ينظر: أسرار البلاغة في علم البيان: 1.

(2) ينظر: منزلة العواطف في نظرية الحجاج، بحث: 267.

(3) ينظر: آليات تشكيل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، بحث: 173.

التحوّل هذه، فتوظف في سياقات متنوعة متباينة لتحقيق أهداف تواصليّة، وإنجاز مقاصد حجاجيّة، وإفادة أبعاد تداوليّة[1].

إن سائر الاتّجاهات البلاغية تمحورت حول جانبين رئيسين هما الإمتاعي والإقناعي اللذان يشكلان حدّي البلاغة[2]:

الجانب الإمتاعي: ينهض على جملة إجراءات أسلوبيّة، واستراتيجيّات استهوائيّة، تخاطب أحاسيس الجمهور، واستمالة عواطفه، بقصد دفعهم إلى سلوكيات معينة،و تبنّي موقف مؤيّد للخطاب.

الجانب الإقناعيّ: ينهض على الأطروحة والأطروحة المضادّة، والاستدلال المنظّم، وبحث المعقول والمقبول من الرأي المخالف.

ولما آلت إليه من البلاغة من تضييق أفقها في هذين الحدّين، وتجمدها في قوالب ثابتة، كان لا مناص من بث الحياة فيها من جديد، وذلك عبر تطوير مقولات الحجاج، وفتح آفاق الأسلوبيات، وتبنّي مفاهيم البلاغة الجديدة بشمولية النظر، لتنتهي إلى تعميم مقارباتها على الخطابات بمختلف أنواعها.

في الواقع إنّ النصّ – أي نص– في مجمله ما هو إلا رصد للصيرورة الخاصّة بالصورة المتخيلة، ابتداء بمرحلة كمونها في دواخل نفس المتكلم إلى مرحلة ظهورها إلى العلن بواسطة اللغة المنطوقة، ثم مرحلة فهمها وإدراكها، وإماطة اللثام عن خباياها من قبل السامع أو متلقي الخطاب[3].

إن الحقيقة السابقة الذكر تقوي صحة ما ذهب إليه بعض الباحثين من أن ألوان البلاغة يمكن أن تكون في سياقات نصية ما أحد أدوات وأساليب الحجاج، والأمر يتوقف على طريقة التوظيف، وطبيعة الاستعمال في السياقات المتنوعة، فإن " محسّناً لهو حجاجيّ، إذا كان استعماله، وهو يؤدّي دوره في تغيير زاوية النظر، يبدو معتاداً في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة، وعلى العكس من ذلك، فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب، فإنّ المحسّن سيتم

---

(1) ينظر: التداولية والحجاج مداخل ونصوص: 50.

(2) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 8-12.

(3) ينظر: الكتابة والتجربة الصوفية: 27.

إدراكه باعتباره زخرفة، أي باعتباره محسن أسلوب، ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع[1]".

إن نجاح عملية اندماج البلاغة بالحجاج هي وقف على المتكلم وبراعته في توظيف الأساليب البلاغية، واستثمار خصائصها في خطابه.

ويذهب البعض إلى القول بأن البلاغة هي الخطابة، أو الخطابة هي البلاغة، وكلاهما جزء من الحجاج، أو الحجاج جزء منهما. و الخطابة هي الريطوريقا: Rhetoric، وهي البلاغة، و مفهوم الريطوريقا في الثقافة الإغريقيّة يحدد بكونها نظرية في القول الناجع، وهي وثيقة الصلة بالممارسة الشفويّة . وحد الخطابة التي هي فنّ الحمل على الإقناع لدى أرسطو يتمثل في القواعد التالية:

1- لا خطاب خارج مقام التلفّظ، و أن نتكلّم أو أن نكتب يعني أن نتحاور.

2-الخطاب يهدف إلى التأثير في العقول، فهو فعاليّة لفظيّة، و المقول هو عينه فعل.

3- الفعاليّة الخطابيّة تتكئ إلى العقل، فاللوغوس يعني العقل والكلام في آن معاً.

4-الخطابة هي فعل منجز يعتمد تقنيّات واستراتيجيّات بين الخطيب والمتلقي[2].

إن اقتران البلاغة بالحجاج وصل حد التطابق عند بعض الباحثين الذين وجدوا أن الحجاج هو البلاغة الجديدة عينها، ذلك أنّ البلاغة في المنظور اليوناني هي: " العلم الذي يُعنى بفنّ ممارسة الكلام العلني أمام جمهور متردّد أو معارض بهدف كسب تأييده. ظلّ علم البلاغة يشكل جزءًا أساسيًّا من التعليم حتى بداية القرن العشرين في فرنسا حين ألغي من البرامج الرسميّة. وفي النصف الثاني من القرن العشرين، أعاد شارل بيرلمان (Charles Perelman) إحياءه وصارت أدواته جزءًا من أدوات تحليل الخطاب من دون أن تحمل بالتحديد اسم علم البلاغة/ rhetorique"[3].

---

(1) التداولية والحجاج مداخل ونصوص: 51.

(2) ينظر: الحجاج بين المنوال والمثال نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري: 14.

(3) فكر اللغة الروائي: 434.

إن هذه المزاوجة بين البلاغة والحجاج نجدها أيضاً في حديث ابن الأثير عن البلاغة؛ إذ يقول: "مدار البلاغة كلّها على استدراج الخصم إلى الإذعان والتسليم، لأنّه لا انتفاع بإيراد الأفكار المليحة الرائقة، ولا المعاني اللطيفة الدقيقة دون أن تكون مستجلَبة لبلوغ غرض المخاطب بها"[1].

يهدف الحجاج إلى تأدية غايات إقناعية بصورة عامة ينضوي تحت تلك الغايات ما يؤديه النشاط الحجاجي من إقامة إجماع، وإزالة اختلافات وجهات النظر، من جهة، و يؤدي النشاط الحجاجيّ مهمة مناقضة تتمثل في تنشيط الخلافات وتعميقها، من جهة أخرى. وعليه يتيح الحجاج إنتاج آراء متباينة، الأمر الذي من شأنه تحقيق شرط تجديد الفكر، على نحو ما ذهب إليه ش. أ. ويلار: C. A. Willard [2].

وسيان أكان الحجاج هو عينه البلاغة أم محض جزء منها أم هي جزء منه، فالمهم هنا هو طبيعة الغايات القصدية للخطاب في كليهما وهي إقناعية تأثيرية في المقام الأول.

2-التداولية:

- **التداوليّة لغةً:**

تدور الدلالة اللغوية للتداولية حول معان عدة لعل أبرزها:

الاسترخاء، والتحول من مكان إلى مكان، والتناقل، و الانتقال من حال إلى حال، و التمكين من حال دون آخر (الدولة)؛ وجاء في اللسان: ((د و ل: الدَّولةُ والدُّولةُ العُقبةُ في المال والحرب... قال الجوهريّ: الدَّولةُ، بالفتح، في الحربِ أن تُدال إحدى الفئتين على الأخرى، ويُقال: كانت لنا عليهم الدَّولةُ، والجمع الدُّول. والدُّولةُ، بالضم، في المال، يُقال: صارَ الفيءُ دُولةً بينهم يتداولونه مرّةً لهذا، ومرّةً لهذا، والجمعُ دُولاتٌ ودُول. الليثُ: الدَّولةُ والدُّولةُ لغةً، ومنه الإدالة الغَلبة. و أدالنا الله من عدوّنا: من الدَّولة؛ يُقال: اللهمَّ أَدِلْني على فلان وانصرني عليه. وفي حديث وفد ثقيف: نُدالُ عليهم ويُدالون علينا؛ الإدالةُ: الغَلبة.. والدَّولةُ الانتقال من حال الشدّةِ إلى الرخاء))[3].

---

[1] المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 64/2.

[2] ينظر: الحجاج: 33-38.

[3] لسان العرب، المادة (د ول).

وتفيد معنى التكرار والمراوحة والتناوب كما ذكر الزمخشري: ((الله يداول الأيام بين الناس، مرة لهم ومرة عليهم.. والماشي يداول بين قدميه: يراوح بينهما، وفعلنا ذلك دواليك أي كرات بعضها في أثر بعض))[1].

أما التداوالية اصطلاحاً:

تنوعت تعريفات التداولية في الاستعمال الاصطلاحي بتنوع زوايا النظر إليها، والتداولية عامة هي تخصص لساني، يعنى بدراسة كيفية استعمال الناس للدلالة اللغوية في قلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى بدراسة كيفية تأويل الناس لتلك الخطابات والأحاديث[2].

وتعرف التداوليّة على أنها اتجاه فلسفيّ ولغويّ يهتم بدراسة استعمال اللغة في الخطاب، وتعرف بأنَّها الفرعُ العلميُّ الذي يتكون من مجموعة العلوم اللغويّة التي تختصُّ بتحليل عمليّات الكلام بصورة خاصةٍ، ووظائفِ الأقوال اللغويّة، وخصائصها، بواسطة إجراءات التواصلِ بصورة عامة[3].

واللسانيّاتُ التداوليّةُ إذاً تخصّصٌ لسانيٌّ في المقام الأول، يعنى بدراسة العلاقةَ بين مستخدميّ الأدلّة اللغويّة أو بتعبير آخر علاقة المرسل و المرسل إليه، وعلاقات التأثّر والتأثير القائمة بينهما، في ضوء ما يصدر عنهما من تحاورٍ متصلٍ. ويرى جاك موشلار أنّ التداولية علمٌ جديدٌ للتواصلِ، يتيح استراتيجيّات التخاطبِ اليوميّ، المتخصّصِ بين المتكلمين في ظروفٍ متباينةٍ وتحليلها، ووصفها[4].

كما تعرف التداولية بأنها ((دراسة كيف يكون للمقولات معان في المقامات الخطابية))[5].

وتعرف التداولية على أنها دراسة اللغة في الاستعمال أو التواصل، لأنه يحيل إلى حقيقة أن المعنى ليس متجذراً في الكلمات بمفردها، ولايتعلق بالمتكلم بمفرده، بل إن صناعة المعنى تتجسد

---

(1) أساس البلاغة: 303.

(2) ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية: 24.

(3) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص: 10.

(4) ينظر: التداولية علم جديد في التواصل: 26.

(5) مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب: 13.

في عمليات تداول اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد بمستوياته (المادي، الاجتماعي، اللغوي) وصولاً إلى المعنى المضمر في كلام ما[1].

وتشمل التداولية الدراسات التي تعنى بوصف العلاقة القائمة بين الدوال الطبيعية ومدلولاتها مع الدالين بها[2].

تبلورت التداولية لتصبح مجالاً يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر في العقد السابع من القرن العشرين، وذلك بعد أن عمل على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة الذين ينتمون إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد(أوستن، وسيرل، وجرايس)، الذين أولوا اهتماماً خاصاً بطريقة توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية، بإبلاغ مرسل رسالة إلى مرسل إليه يفسرها، وهذا يمثل صميم التداولية. وتعود نشأة التداولية بمفهومها اللغوي إلى سنة ألف وتسعمئة وخمس وخمسين (1955م) مع محاضرات أوستن في جامعة (هارفارد)، الذي لم يكن وقتها يفكر في تأسيس اختصاص فلسفي للسانيات، بل كان هدف أوستن التأسيس لاختصاص فلسفي جديد،هو فلسفة اللغة[3].

الموضوعات التي تعنى التداولية بدراستها:

إن من أبرز الموضوعات التي توليها التداوليّةُ اهتماماً كبيراً دراسة[4]:

- بنيةِ الخطاب اللغوية وفق قواعد التخاطبِ بشقيها العام والخاص.
- وصف علاقة النظام اللغويّ بالاستعمال، وتحليله وكيفيات التحقّق.
- العمليات الذهنيّة، ومستويات الإنتاج والفهم اللغويّين، وفهم مقاصد الخطاب، وأدوار المتلقي في التفسير والتأويل، والاستدلالات اللغويّة، والافتراضات المسبقة.
- دراسة تحوّل القولِ إلى فعلٍ كلاميٍّ إنجازيٍّ وفق نظرية أفعال الكلام لكل من أوستن وسيريل.

---

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 14.

(2) ينظر: تديد المنهج في تقويم التراث: 244.

(3) ينظر: المقاربة التداولية: 96. والتداولية عند علماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية: 13-14.

(4) ينظر: معجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث: 304.

- تدرس التداولية العلاقة الناظمة القائمة بين العلامات، من جهة، ومستعملي هذه العلامات، من جهة أخرى[1].
- تهتم التداولية في إجراءاتها التطبيقية ((بفهم الجملة الواحدة من الكلام فتذهب في البحث عن طبيعة وضعها انطلاقا من العناصر المعجمية إلى المؤشرات النظمية أو المعطيات السياقية))[2].
- إن الدراسات التداوليّة و المعاصرة منها على وجه الخصوص تولي اهتماماً خاصاً بالمتلقي، فركزت على المتلقي بصورة كبيرةً على اعتباره الطرفُ المحرّكُ للعمليّة التخاطبيّةِ برمتها، والأساس الذي ينهض عليه فعلُ الإقناع؛ وليس في وسع المتكلم أن يصيب أهدافه وأغراضه القصدية دون أن يراعي المقام،وأحوال المخاطب. هذا من جهة، من جهة أخرى فإنّ تأوي مقاصد المتكلّم يتوقف على الخلفيّةِ المعرفيّةِ التي يمتلكها المتلقي، ناهيك عن امتلاكه الكفايات المحددة التي تقتضيها عملية التأويل في الفعل التخاطبي، من مثل(كفاية التأويل، والكفاية التواصليّة، والكفاية المنطقيّة، والكفاية اللسانيّة)؛ فالتداولية بوجهها المعاصر ديدنها الانشغال بسلطانِ الكلام، ومدى تأثيرِه في المتلقي[3].

في الواقع إنّ التداوليّة تتعامل مع اللغةِ على أنها كلام ينضح بالحياة، منجز في سياقات محددة، و يتلقّفه المتلقي بتكئاً إلى عمليات الإدراكِ من جهة، وإلى شعورِه، من جهة أخرى، في محاولة منه لفهم رموزِها، وعلاماتها عبر ما ينتجُه الخطابُ من آثارٍ سلوكيّةٍ، تنهض بالملفوظَ من حيز الوجودِ النطقيّ إلى حيز الوجودِ الفعليّ، ويستحيل معها المجرّدُ محسوساً، وتبعاً لذلك تقوى دلالاتُ الكلام وتتثبت من خلال قرائن اللغة، وأحوال المقام بما فيها من: حركات جسميّة، وتنغيمات صوتيّة، وثقافة سائدة تشكل محددات الفعلَ المنجز[4].

وكلّ فعلٍ كلاميٍّ – من منظور تداولي- ينهض على مبدأ القصديّة؛ فالباعث أو المتكلم بإمكانه تحديدَ الأغراض ومقاصدها، والمعنى الذي سيصلُ إليه المتلقي أو السامع منوط بمقاصدِ المتكلم

---

(1) ينظر: المقاربة التداولية: 8.

(2) نظرية النصّ الأدبي: 403.

(3) الشعر والشعرية الفلاسفة العرب ما أنجزوه وما هفوا إليه: 232.

(4) ينظر: تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، بحث: 162-163.

التي تخضع بدورها لشروطِ المقام والمقال، وذلك لأنّ ((تأويل المخاطَب للملفوظ يعني أنّه يحاولُ عن طريق التخمين إعادةَ مشروع الملفوظ كما تصوّره المتكلّمُ أوّل مرة. وبعبارةٍ أخرى فإنّ الملفوظ يعني ما يظنُّ المخاطَب به أنّه يمثّل قصدَ المتكلم))[1].

أولت التداولية عناية فائقة بالمتلقي الذي يشكل أحد أركان العملية التواصلية، وأبرز محاورها:

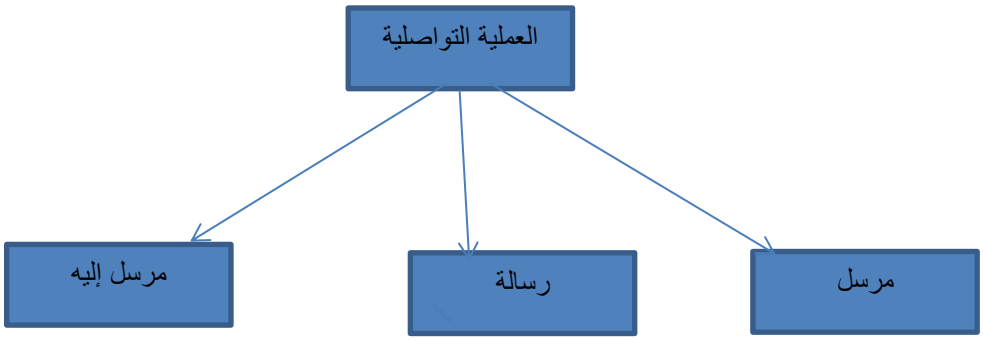

أما فيما يخص مبادئ التداولية فلعل أهمها[2]:

- مبدأ التعاون: و يقتضي هذا المبدأ أن المتكلمين متعاونون في تسهيل عملية التخاطب وهو يرى أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هي التي تفسر كيف نستنتج المفاهيم الخطابية.
- **مبدأ الكم**: ويتلخص في نقل ما هو ضروري بالضبط، دون زيادة أكثر من الضروري.
- مبدأ الكيف: فلا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما ليس في وسعك البرهنة على صدقه.
- مبدأ المناسبة:أن يكون الكلام مناسباً لسياق الحال.
- العلاقة: ينبغي أن تكون المساهمة ذات صلة بالحديث.

إن للتداولية جذورها في تراثنا العربي النقدي؛ فحازم القرطاجني– على سبيل المثال لا الحصر– نجد في كتابه منهاج البلغاء وسراج الأدباء طرحاً يحيل إلى إرهاصات التداولية المتجذرة في عمق التراث النقدي العربي قبل تبلورها في الدرس الغربي الحديث علماً قائماً، وميداناً مستقلاً بذاته؛ فيوضح حازم جهات التخاطبِ بين السامعِ والمتكلّم الذي يهدف إمّا إلى تبليغِ المخاطَب معرفةً ما ليفيدَه بها، ولا ينتظر منه ردّاً أو جواباً أو نقاشاً، وإمّا يهدف إلى الاستفادةِ منه

---

[1] نظرية: المعنى والسياق في الممارسة التراثية والعربية: 90.

[2] ينظر: مدخل غلى اللسانيات، محمد محمد يونس: 99.

كأن ينتظرَ المتكلّم من المخاطَب جواباً عن سؤالٍ أو إضافةِ معرفةٍ ما، أو تفسيراً أو تأويلاً لما تلفّظ المتكلّم به ونلمس ذلك في قوله: ((لمّا كانَ الكلامُ أولى الأشياء بأن يُجعلَ دليلاً على المعاني التي احتاجَ الناسُ إلى تفاهمِها بحسب احتياجاتِهم إلى معاونةِ بعضِهم بعضاً على تحصيلِ المنافعِ وإزاحةِ المضارّ وإلى استفادتِهم حقائقَ الأمورِ وإفادتها وجبَ أن يكونَ المتكلّمُ يبتغي إمّا إفادة المخاطَب، أو الاستفادةَ منه. إمّا بأن يُلقي إليه لفظاً يدلُّ المخاطب إمّا على تأديةِ شيءٍ من المتكلّم إليه بالفعلِ أو تأديةِ معرفةٍ بجميع أحوالِه أو بعضِها بالقول))[1].

كما يفصل حازم القول في دورِ المتلقي، والمتكلّم، والكلام، والمقامِ، ومقاصد المتكلّمين، ساعياً إلى توضيح التفاعل بين تلك العناصر، الأمر الذي يمكننا تبينه في قول القرطاجني: ((لمّا كانَ الكلامُ أولى الأشياء بأن يُجعلَ دليلاً على المعاني التي احتاجَ الناسُ إلى تفاهمِها بحسب احتياجاتِهم إلى معاونةِ بعضِهم بعضاً على تحصيلِ المنافعِ وإزاحةِ المضارّ وإلى استفادتِهم حقائقَ الأمورِ وإفادتها وجبَ أن يكونَ المتكلّمُ يبتغي إمّا إفادة المخاطَب، أو الاستفادةَ منه. إمّا بأن يُلقي إليه لفظاً يدلُّ المخاطب إمّا على تأديةِ شيءٍ من المتكلّم إليه بالفعلِ أو تأديةِ معرفةٍ بجميع أحوالِه أو بعضِها بالقول))[2].

إن التداولية إذاً تخصص لساني يعنى بدراسة اللغة في الاستعمال، تبلورت في الغرب علماً قائماً بذاته بيد أن جذورها ضاربة في عمق التراث النقدي العربي.

3-علاقة الحجاج والتداولية:

يعرف الحجاج من وجهة نظر التداولية على أنه نوع من الخطاب الذي يكون بمثابة عصارة تطبيقية للعملية الحجاجية[3].

ولعل الحجاج التداولي أحد أبرز ألوان الحجاج إلى جانب لحجاج البلاغي والعاطفي المذكور آنفاً، ويعرف **الحجاج التداولي بأنه:** حجاج ينهض على الاستعمال، و التداول، ويصب اهتمامه على العملية الحجاجية، حيث يتسنى له تحقيق أهدافه التواصلية، و الإقناعية من خلال التداول . والحق أن لفظ التداولية يحيل إلى نظرية أفعال الكلام في الخطاب، و رصدها فيه، بغية إقناع

---

(1) البلغاء وسراج الأدباء: 345.

(2) المصدر نفسه: 345.

(3) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالته – الحجاج وحوار التخصصات، ج281/2.

المخاطب، على الرغم من اختلاف الأبعاد التداولية التي تتيح توجيه الخطاب الحجاجي، و الإجابة على التساؤلات التي تفرزها العملية التخاطبية الحجاجية[1].

وتعرف التداولية المدمجة كما ورد في المعجم الموسوعي للتداولية على أنها نظرية دلالية تقوم بدمج مظاهر التلفظ في السنة اللسانية، وليست مظاهر التلفظ في بعض وجوهها غير عوامل حجاجية تندرج في الأقوال، تخضع تأويلاتها لأغراض المتكلم، وغاياته[2].

إن علاقة التداولية الوطيدة بالحجاج لا تبرز من خلال هذا الون الحجاجي فقط، بل تتمظهر في نقاط التقاطع المشتركة التي ينهض عليها كل منهما؛ فالخطاب الحجاجي يخضع لقواعد شروط القول والتلقي في ظاهره ومضمره، بتعبير آخر إن كل خطاب حجاجي تتجلى فيه مكانة القصدية، والتأثير، والفعالية، ومن ثم قيمة أفعال الذوات والتخاطبية، ومكانتها، وبناء على ذلك فإن القول أو النص الحجاجي ينتمي إلى ميدان التداوليات[3].

من جانب آخر، يتجلى الجانب التداولي للحجاج عبر استعمال بنية لغوية محددة، تتحكم فيها ضوابط خارجية، وتدفع بالمتلقي نحو فعل محدد، وعليه ترسم بنية تحاجج في هيئة فعل كلامي مكون من فعل لفظي، وفعل إنجازي، وآخر تأثيري[4].

ومن مظاهر العلاقة الوطيدة بين التداولية والحجاج أن الخطاب الحجاجي ينطوي على البعد التداولي في مستويات عدة، وتلك المستويات هي:

1-مستوى أفعال اللغة: التي يتم تداولها في الحجاج.

2-مستوى السياق: الذي توظف فيه بعض الأدوات، والصيغ، وتضفي تعابير السمة الحجاجية على التخاطب، وعليه يتم تحديد كون الحجاج على المستوى الذهني أو الصريح.

3-المستوى الحواري أو التحاوري[5].

---

(1) ينظر: اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي: 272.

(2) الخطاب الشعري في السبعينات دراسة فنية ودلالية: 40.

(3) الحجاج مفهومه ومجالاته: 35.

(4) ينظر: الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه: 39.

(5) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته – الحجاج وحوار التخصصات: 36.

ومن تجليات العلاقة بين التداولية والحجاج نذكر أيضاً بنية الحجاج التداولية، وهي على مستويات عدة[1]:

- **البنية الاستدلالية للحجة:**

إن الحجة المنطقية هي بنية لمجموعة من الحالات المتمثلة في العلاقة بين مقدمات، ونتائج لازمة عن تلك المقدمات بالضرورة.

- **البنية النقدية للحجة:**

إن البعد التداولي للحجة في إطار التداوليات الحجاجية ضمن ما يعرف بالجدل المحمود تعد في التصور الجديد التبادلات الحجاجية التي يتم تداولها في الحوارات المتنوعة، وإنتاج لمجموعة **من الحركيات التي تنهض على الإقناع، أو التفاوض، أو التداول؛ ذلك أن النظرية الحجاجية سعت إلى صياغة المفهوم الجدلي للحجة استناداً إلى قواعد الكشف، من جهة، وقواعد النقد، من جهة أخرى.**

- **البنية التأثيرية للحجة:**

إن هدف التصور الدلالي الحجاجي هو العمل على تحديد دور كل بنية في الخطاب الحجاجي بحيث تتجانس بعضها مع البعض الآخر مع محاولة لتقنين العلاقة بين كل من المقدمات والنتائج.

- **البنية السفسطائية (المغالطة) للحجة:**

ويقصد بالبنية السفسطائية (المغالطة) للحجة في الدرس التداولي إعادة دراسة المغالطات السفسطائية بغرض تأسيس نظرية تداولية، ترصد أهم الخروقات التي تقف عائقاً أمام عملية الحوار بين أطراف العملية الحجاجية.

تبنى المناطقة اليوم نظرة جديدة تنهض على تطوير الآليات المنطقية للحجاج، حيث يقوم المدعي أو المتكلم بعرض الدليل على وجهة نظره، بهدف التوصل إلى إقناع الطرف الآخر المعترض بصحة الأدلة التي هو في صدد إنتاجها في عملية التخاطب.

ومن مظاهر التقارب بين الحجاج والتداولية أن كلاً منهما غايته الإفهام والإبانة، و عمليات الفهم والإفهام منوطة ((بوظيفةِ المتكلّم الساعي إلى إظهارِ الخفيّ وتوضيحِه للسامع، بالاستعانةِ بكلِّ الوسائلِ اللسانيّةِ والإشاريّةِ لتحقيقِ الفهم))[1].

---

[1] الحجاج مفهومه ومجالاته: 271/2.

والعناية بالمسار التواصلي من جملة المشتركات بين الحجاج والتدوالية؛ فالحجاج في إطار التواصل، يقدم فائدةً يجنيها المخاطَب، تتوزّع على اتجاهين رئيسين:

1- المسار الإخباريّ، وما يتعلق به من وظيفة إخبارية تنزاح في مثل هذه السياقات إلى الهامش، فهي وظيفة ثانوية.

2- والمسار التأثيريّ، وما يتعلق به من الوظيفة التأثيرية التي تعد وظيفة محورية و أساسيّة[2].

ومن الثابت في هذا الميدان أنّ الحِجاج يعد تواصلاً لغويّاً، تتفاعل في أتونه الذوات، و هذا التواصل ينهض على مجموعة عناصر، لا يكتب له النجاح من دونها وهي: المتكلم، والمخاطَب، القصدية، والاتّفاق، والسياق المقاميّ[3].

فالحِجاج عمل لغوي يتحقق بالقصد الإقناعي، والقصد الانعكاسيّ/ الاقتناعيّ، ويتكئ إلى أساس مشترك بين المتكلم والمتلقي، تُحفز المخاطَب نحو العمل الحِجاجي، وتُمنح مصداقيّة مبدئية لفرضيات المتكلم، أو خِطابه الذي يمنحه السياقُ المقاميّ مشروعيةَ التواصل[4].

كما أن الحِجاجُ شكل من أشكال التواصل؛ فهو في كنهه حوار، وجِدال، ونِقاش يهدف إلى من أجل الوِفاق والاتفاق، والإقناع والاقتناع، وهذه أعمال تقتضي الآخر، فكل تفكير حِجاجي هو تفكير مع الآخر، وتواصل معه[5].

وعلى حد تعبير بيرلمان ((لا حِجاج بدون وجود جمهور يرمي الخِطاب إلى جعلِه يقتنع، ويسلم، ويصادق على ما يُعرض عليه))[6]

---

(1) البلاغة العربية أصولها وامتدادها: 204.

(2) ينظر: الحجاج في اللغة: 42.

(3) ينظر: التواصل والحجاج (أية علاقة؟ ضمن الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: 274- 275.

(4) الحجاج في اللغة: 15

(5) الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري:

(6) ينظر: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكا ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أروسطو إلى اليوم: 306.

والقول بوظيفة الحجاج التواصلية مرده إلى حقيقة أن اللغة ليست محض رموز، وإشارات تواضعية، بل هي نظام مترع بقيم براغماتية، وتعليمات، وتوجيهات تعطيها المكوّنات اللغويّة للمؤول، ليتمكن من القبض على المعلومات المقامية التي تتيح بدورها توضيح كيفية إعادة بناء المعنى المقصود[1].

ومن المظاهر التي يتجلى فيها التقارب بين التداولية والحجاج ما يعرف بالحجاجيات اللسانية، ونظرية الكتل الدلالية، فما الحجاجيات اللسانية؟ وما نظرية الكتل الدلالية؟

تنطلق الحجاجيات اللسانية من مفهوم شائع عن اللغة مفاده أنّنا نتكلّم بغرض التأثير، وعليه فاللغةَ تنضوي على وظيفةً حجاجيّةً في أطوائها على تنوع خطاباتها، وتباينها، بتعبير آخر إنّ هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية الأقوال عينها، وفي المعنى، وسائر الظواهر اللغوية على المستويات: المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى المعجمي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي.

في الواقع إن دراسة الحجاج تنضوي تحت البحوث التي تهدف إلى اكتشاف منطق اللغة، أي القواعد الداخلية الناظمة للخطاب التي تتحكم في تسلسل الأقوال، وتتابعها بصورة تدريجية متنامية، و الحجاج يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب[2].

إن الحجاجيات اللسانية تتوخى الدقة في هذا النوع من الدراسة، وخاصة فيما يتعلق بتحديد موضوع الاشتغال الذي تمت قولبته في أطر معالجة لسانية ملموسة، ووجهت جل عنايتها ذلك بمظاهر أكثر تحديداً داخل تلك المعطيات التداولية التي تتعلق بالفاعلية الحجاجية. كما عنيت الحجاجيات اللسانية بالتنسيق الذي تمثل في الحدود النظرية، ووضع الخطة الدقيقة التي سيعمل في هديها مشروع التداولية المدمجة بصورتها المدققة والمنسقة،

وتحديد الخطوات المضبوطة التي ستفضي إلى تحويل التداولية من مجرد تأملات فلسفة عامة، إلى الانضواء تحت الأبحاث العلمية الناضجة[3].

---

[1] ينظر: نظرية الحجاج في اللغة ضمن أهم نظرات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: 358.

[2] ينظر: اللغة والحجاج: 7.

[3] ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية: 9 – 10.

أما نظرية الكتل الدلالية فهي دراسة موسعة، وتصحيحية لنظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو، وهي نظرية دلالية للغة الطبيعية، وتطوير للنموذج الأصلي المنوط بالحجاج في اللغة. وهي مقاربة تقنية جديدة تنأى عن القواعد الصورية الحسابية للمعنى، وضعت أساسات مفاهيم جديدة للحجاج الخارجي والداخلي. ولعل أهم ما تؤكده نظرية الكتل الدلالية وفقاً لـ (كاريل) أن العلاقة القائمة بين وحدات الخطاب المتضامة في المسلسلات الحجاجية هي في كنهها علاقة اختصار فكل عبارة المسلسلة تتضمن في ذاتها، بصورة مضمرة، تلك الوحدات القابلة للتأليف معها في مسلسلات حجاجية، وهذه الوحدات مضمنة في تلك العبارات، لأن العبارات هي في كنهها محض صور مختزلة لها تتيح بسطها من خلال التأليف، الذي يتيح بدوره تمديد العبارات، وتحويلها من صورة مختزلة إلى صورة مسلسلات مطولة[1].

تؤكد كاريل على أن أبرز الإضافات التي قدمتها نظرية الملتحمات الدلالية فيما يتعلق بوصف البنية التأليفية في توجهات الحجاج داخل اللغة تتجسد في مهمة توسعية؛ عملت خلالها على توسيع القاعدة التأويلية المعتمدة في تعيين دلالة الوحدات، أي القاعدة التي تقوم عليها التأليفات الحجاجية، وتحقق الارتباط بين وحدات المسلسلات الحجاجية. ومن شأن التوسيع أن يحرر القيود في النسخ السابقة لنظرية "الحجاج داخل اللغة" من ضمنها النسخة الموضعية . كما أن هذه النظرية (نظرية الكتل الدلالية) نظرية تتصف بالجدة، تتيح مجالات واسعة للتأليف الخطابي أوسع مما تفعل العلاقة الحجاجية في صورتها التقليدية، وعليه تمنحنا أدوات لإنجاز الوصف البنيوي للخطاب[2].

وعليه فإن أواصر القربى بين الحجاج والتداولية متينة للغاية، وثمة نقاط مشتركة كثيرة، وتقاطعات عديدة، تتيح دمجهما في مواضع متباينة، وتبيح انفراد لون حجاجي قائم بذاته يدعى الحجاج التداولي.

---

[1] ينظر: مفهوم الموضوع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، بحث: 227.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 227– 228.

الفصل الأول

الحجاج اللغوي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

- توطئة
- المبحث الأول : العوامل الحجاجية .
- المبحث الثاني : الروابط الحجاجية .
- المبحث الثالث : السلالم الحجاجية .

الفصل الأول:

الحجاج اللغوي وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

توطئة:

تُعد اللغة وسيلة مهمة في عملية التعارف بين الشعوب، اذ تتشكل من مجموعة من الأصوات تنتج وظائف مقصودة لعل أبرزها الوظيفة التواصلية ، ولاتقتصر في حدود هذه الوظيفة فحسب بل تتعداها لتحمل بين طياتها طاقة تأثيرية تستهدف التأثير في المتلقي، فالمتكلم يصدر عنه قول واحد أومجموعة أقوال تهدف لإستمالة المتلقي وحمله على فهم الخطاب والإقتناع به ، وهذه العملية لاتُعد بسيطة مالم تتكئ على آليات الحجاج اللغوي المتمثلة بـ (العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية والسلالم الحجاجية) وهذا ما سنتناوله في هذا الفصل لتسليط الضوء على تلك الآليات الحجاجية لكشف أهميتها التأثيرية التي يفضي إليها الشاهد القرأني في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)

المبحث الأول: العوامل الحجاجية:

تعدّ العوامل الحجاجية من أبرز أدوات الحجاج التي يتم استعمالها بغرض إصابة هدف الحجاج المحوري، وهو الإقناع.

وتعرّف العوامل الحجاجية في الاستعمال الاصطلاحي على أنَّها ((عناصر لغوية تنتظمها غاية واحدة، وهي تحقيق الخطاب للإقناع في عملية التواصل))[1]، والعامل الحجاجي في عرف الباحثين إنَّما هو ((صرفة تحول الاحتمالات الحجاجية للمضمون المطبَّقة عليه، وتمد العبارات المتغيرة بإمكانية استعمالها لغايات حجاجية))[2].

حيث تنفرد العوامل الحجاجية بمميزات عدة، تجعل لها خصوصية عن باقي الأدوات أو الآليّات اللغوية للسلالم الحجاجية بصورة عامة، ونقصد بذلك المهام التي تقوم بتأديتها العوامل الحجاجيّة هي مهامّ شديدة الأهمية في الخطاب الحجاجيّ، وتتجسد في آليات حصر الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول حجاجي ما[3].

وبصورة عامة تتعدّد المهام أو الوظائف التي تؤديها العوامل الحجاجية في الخطابات ذات الطابع الحجاجي، ومن أهمها:

1-تلغي أي احتمالية للتعدد في كل من الاستلزامات والنتائج، وذلك يتسنى لها من خلال عمليات نقل المتقبل من مراحل التعدد، والغموض إلى مرحلة من الوحدة في كل من النتيجة، والمقصد من الملفوظ.

2-يعمل العامل الحجاجي على تقوية التوجه نحو النتيجة[4].

3-تنفذ العوامل الحِجاجيّة مهام متعددة تتصل بعمليات تتمتع بدرجة عالية من الأهمية وتتمثل بحصر الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول محجاجي معين وتقييدها [5].

4-في حقيقة الأمر ثبت أن اختيار المتكلم الملفوظَ، وهو في حالة اقتران بالعوامل الحِجاجيّة يضاعف قوته، ويعمقها، ويجعله يتمتع بتأثير هو أشد فيما يتعلق بإقامة الحجة منه في

---

(1) العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 21.

(2) النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 112.

(3) ينظر: الحِجاج في اللغة: 27.

(4) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 35.

(5) ينظر: الحِجاج في اللغة: 27.

الملفوظ المجرد من العوامل الحجاجية؛ وعلّة ذلك أنّ النتيجة التي تتضمنها الرسالة، والتي يريد لها المتكلم أن تصل إلى المتلقي ستكون عملية إيصالها بالضرورة بفعل ذلك شيئاً مضموناً[1]

1-القصر:

إن القصر والحصر في الاصطلاح هو ((تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص))[2]، ولعل القصر بالنفي والاستثناء هو أكثر عوامل الحجاج تداولاً وفاعلية فيما ينضوي تحت فاعلية القصر الحجاجية.

أ- القصر بالنفي والاستثناء:

من الشواهد القرآنية التي نهضت هيكليتها على عاملية القصر بالنفي والاستثناء في خطبة أصحاب الكساء قوله تعالى من خطبة للسيدة الزهراء (ع):**(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ)** [آل عمران: 144]

إذ جاءت الآية الكريمة متلاحمة مع سياق الخطبة الواردة فيه، حيث تقول الزهراء عليها السلام: ((أتقولون مات محمد؟ فخطب جليل استوسع وهيه، واستنهر فتقه، وانفتق رتقه، وأظلمت الأرض لغيبته، وكسفت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة، عند مماته. فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة ولا بائقة عاجلة، أعلن بها كتاب الله – جل ثناؤه – في أفنيتكم في ممساكم ومصبحكم، هِتافاً وصراخاً وتلاوة والحاناً، ولقبله ما حل بأنبياء الله ورسله، حُكم فصل، وقضاء حتم، ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتلَ انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين))[3].

---

[1] ينظر: البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج) ضمن: الحجاج، مفهومه، مجالاته، دراسة نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة: 34.

[2] البلاغة الواضحة: 217.

[3] بلاغات النساء: 107 – 110.

وتفسير قوله تعالى كما ذكر ابن كثير أنه لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد وقتل من قتل نادى الشيطان أن محمداً قد قتل، فعاد ابن قميئة إلى المشركين يبشرهم أنه قد قتل محمداً. وفي الواقع كان قد ضرب الرسول صلى الله عليه واله وسلم فشجه في رأسه، فوقع الخبر من نفوس الناس موقعاً عظيماً، وأصابهم الوهن وتأخروا في القتال.

وفي ذلك نزل قوله تعالى (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُول قَد خَلَت مِن قَبلِهِ ٱلرُّسُلُ) أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه. وقال ابن أبي نجيح عن أبيه إنَّ رجلاً من المهاجرين مرّ على رجل من الأنصار وهو مدمى، وقال له: أشعرت يا فلان أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل؟ فأجابه الأنصاري: إن كان محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل، فقد بلغ، فقاتلوا عن دينكم، فنزل قوله سبحانه :(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ) ثم قال الانصاري منكرًا على من وهن (أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ) أي عدتم القهقرى، (وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ) أي: الذين أطاعوه ونافحوا عن دينه، واتبعوا خطر نبيه حياً وميتاً[1].

ومن ثَمَّ فقد قامت الزهراء عليها السلام باستثمار الطاقة الحجاجية لعامل القصر بالنفي والاستثناء (ما.. إلا) عبر الاستشهاد بالآية الكريمة التي ينضوي تحتها هذا العامل الحجاجي، وشكّل قوام جسدها اللغوي والمعنوي.

وهي بذلك تؤدي بالضرورة استثمار الطاقة التأثيرية الإقناعية لعامل القصر أولاً، وللآية الكريمة برمتها ثانياً، وذلك بهدف إقناع المتلقي، ودفعه إلى تبنّي موقف محدّد بعد استثارة منطق المتلقي وعواطفه في آنٍ واحدٍ.

ولعل المهمة الأبرز التي أداها العامل الحجاجيّ في هذا المقام هي حصر الإمكانات الحِجاجيّة التي تكون لقول حجاجي ما، وهذه المهمة أداها عامل القصر

(ما.. إلا) في الآية الكريمة أعلاه التي تم استثمارها بوصفها شاهداً في السّياق النصي المقصود بعينه للخطبة؛ حيث قام العامل الحجاجي بعملية تقييد لسلسلة الإمكانات الحجاجية، وحصرها في اتجاه معين مقصود بذاته؛ فقد حصر القول الحجاجي محددات (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) في احتمال واحد دون سواه وهو أنه رسول: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن

[1] ينظر:تفسير القرآن العظيم المسمى تفسير ابن كثير: 129/2.

قَبْلِهِ الرُّسُلُ)؛ ولأنّه رسول شأنه شأن من سبقه من الرسل، ترتب على هذه المقدمة الحجاجية المسلم بها حجج تفضي إلى نتيجة أولاها: (أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) ثم الحجة: (وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) التي تفضي إلى نتيجة: (فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا)، ثم نتيجة:(وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ).

وبناء عليه استطاع الحجاج الذي نهض على عامل القصر بالنفي والاستثناء في الآية الكريمة أن ينفي كون محمد صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً آخر غير رسول خلت من قبله الرسل. لقد أدى هذا الحصر وظيفة إقناعية تأثيرية في المقام الأول؛ إذ قام العامل الحجاجي (ما.. إلا) بعملية توجيه القول الحجاجي باتجاه محدّد ومقصود، وهذا ما تم توظيفه في إقناع المتلقي، والتأثير في سلوكه[1]؛ ليذعن المتلقي بالمحصلة، ويتجه باتجاه سلوكيات معينة أراد المتكلم – وهو هنا الزهراء عليها السلام – أن يصل إليها، وعمد إلى الحجاج للوصول إليها في المقام الأول لأنّ الغاية من الخطاب الحجاجي، ترتكز على كشف الشك لدى المتلقي وإزالته، في مسألة هي محلُّ خلاف بين الطرفين[2].

ومن خطب أصحاب الكساء التي استثمرت فيها شواهد قرآنية قامت على القصر بالنفي والاستثناء هناك أيضاً قوله تعالى من خطبة للحسن عليه السلام: **(قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ)**[الشورى: 23] ، إذ وظّف فيها بعناية في هذا السّياق، حيث يقول الإمام الحسن عليه السلام: ((أنا ابن البشير النذير أنا ابن السراج المنير أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه، أنا ابن الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا. إنا من بيت افترض الله تعالى مودتهم في كتابه فقال عز وجل من قائل:
(قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ) والحسنة مودتنا أهل البيت))[3].

وبناء على المتعارف عليه من وظائف عوامل الحجاج المتفق عليها يمكننا القول: إنَّ الله عز وجل حيث أراد في الآية الكريمة إلغاء تعددية الاستلزامات المرتبطة بعملية النفي التي تطالع القارئ

---

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 250/2.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 264/2.

(3) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع): 16.

بداية (لا أسألكم عليه أجراً)، ونقل المعنى من حالة التعميم المطلق الذي يحتمل سلسلة من الاستلزامات، وقائمة من الاحتمالات يمكن اختيارها من على محور الاختيارات لإتمام الجملة في ذهن المخاطب فيما يتعلق بالحقل الدلالي للأجر، نقل المعنى من حالة العمومية هذه إلى حالة من التخصيص، والتحديد، والتعيين التي تصاحب الاستثناء (إلا)، والذي سيجعل بدوره سائر الاحتمالات الممكنة قبل الاستثناء مرفوضة بعده، وجعل الاحتمال الوحيد محصوراً فيما سيأتي بعد أداة الاستثناء (المودة في القربى).

ومما يدعم صحة ما ذهبنا إليه في هذا المقام تفسير الآية الكريمة إذ يتردد في كتب التفاسير ما كتبه ابن عباس حين سئل عن قوله عز وجل (قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ) ، وكان ردّه: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان واسط النسب في قريش؛ ليس بطناً من بطونهم إلا وقد ولدوه فقال الله سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً) أي: على ما أدعوكم إليه، (إلا المودة في القربى) أي: أن تودوني لقرابتي منكم وتحفظوني بها[1].

والنتيجة الأولى لاستثمار هذا العامل الحجاجي كانت – إذاً – حصر الاستلزامات والنتائج في احتمال واحد لا غير هو هنا (المودة في القربى)، وذلك عبر أسلوب تنضدت فيه التراكيب اللغوية بصورة متقنة عالية التفاعل مع العامل الحجاجي الذي هو هنا القصر بالنفي والاستثناء حيث شكّل عامل الحجاج هذا أساساً محورياً لهيكلية الآية الكريمة برمتها.

والنتيجة الثانية كانت تقوية ودعم لعملية التوجيه في الحجاج الذي قامت عليه الآية الكريمة، مما جعل ذهن القارئ يتوجه باتجاه واحد نحو نتيجة واحدة تحصر الإمكانات الحجاجية للقول الحجاجي فيها باحتمال واحد للأجر الذي يسأل عنه، وهو هنا المودة في القربى دون غيره من إمكانات القول الحجاجي التي يقتضيها السّياق.

فتمَّ استثمار طاقة هذا العامل الحجاجي بصورة متقنة ليست غريبة عن أسلوب الخطاب القرآني البتة؛ حيث توافرت للتعبير أو للقول الحجاجي كل من القوة والعمق والجمال في المعنى، فتحقق ذلك عبر انزياحات لغوية عملت على هزِّ أفق التوقع عند القارئ أو المتلقي؛ فبعد أن ضخّ الجزء الأول من عامل القصر، وهو النفي طاقته في السّياق، شكّل معها النفي بؤرة دلالية حملت معنى رفض سؤال أي أجر البتة، يأتي الجزء الآخر لعامل القصر، وهو الاستثناء الذي شكّل بدوره

---

[1] ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 145/13.

بؤرة دلالية حملت معنى استثناء أجر من مطلق النفي السّابق، وبتفاعل البؤرتين، وتماهيهما معاً بثّ العامل الحجاجي بقوة معنى حصر الدلالة في احتمال، وإمكان واحد لا غير، ورفض سائر الأجور ما خلا (مودة القربى).

كانت البنى اللغوية بفضل العامل الحجاجي عالية الانسجام، حيث أدّت كل منها دورها، ووظيفتها المنوطة بها على مستوى الدلالة، وعلى مستوى الشكل، فكان القول الحجاجي لطيف الوقع في النفس، متوفراً على طاقة تأثيرية عالية، تم صبها في قالب لغوي حجاجي على صعيد الشكل، وعلى صعيد المضمون، هذه الطاقة، وهذه القوة في الأداء لم تكن لتتوافر للقول الحجاجي ضمن السّياق النصي للآية دون العامل الحجاجي بالقدر نفسه الذي حققه وجود العامل الحجاجي.

وعلى هذا النحو قام العامل الحجاجي بتخفيض الاحتمالات، والاستلزامات، ودفعها باتجاه واحد حيث تم توزيع المعنى على كتلتين لغويتين رئيستين؛ الأولى تضمنت النفي (لا أسألكم عليه أجراً)، والثانية تضمنت الاستثناء التي وضحت القصد وأكدته، وجاءت بعد إلا **(المودة في القربى)**.

فيستخلص مما سبق من الشواهد القرآنية التي وظّفت في كلام أصحاب الكساء وخطبهم أنّهم (عليهم السلام) قد استعملوا الشاهد القرآني في سياقه ليتماهى وذهن المتلقي حتى لا يبقي له – المتلقي – طريقاً للمحاججة، والمماجحة لدفع الخطاب وردّ الكلام ، وهذا ما لمسناه عبر عملية تجربة العامل الحجاجي وآلياته، التي تكشف أسرار الحجاج وحيثياته المقالية والمقامية.

ب- القصر بـ (إنّما):

يعدُّ أسلوب القصر بـ (إنّما) من أساليب التي تمتعت بطاقة حجاجية في الشواهد القرآنية الموظّفة في خطب أصحاب الكساء (عليهم السلام) وكلامهم.

حيث تستحضر الزهراء (عليها السلام) في خطبتها الفدكية شواهد كثيرة من آي الذكر الحكيم، ومن ذلك استحضارها شاهداً الآية الكريمة: **(كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ)** [فاطر: 28] ، حيث تقول عليها السلام: ((فاتّقوا اللهَ حقَّ تُقَاتِه ولا تموتنَّ إلّا وأنتم مسلمون، وأطيعوا اللهَ فيما أمرَكُمْ بهِ ونهاكم عنه، فإنّما يخشى اللهَ من عِبادِه العلماءُ))[1].

---

[1] الزهراء وخطبة فدك – شرح الخطبة الفدكية – محمد باقر المجلسي: 73.

كثيراً ما توظف الزهراء (عليها السلام) آيات القرآن الكريم في كلامها، وهنا توظف الزهراء (عليها السلام) قوله تعالى: (كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ) بغية تحقيق التلاحم بين السياق النصي والآية الكريمة وقيادة الوجهة الحجاجية باتجاه معين مقصود لذاته.

والجدير ذكره في هذا المقام أن الزهراء (عليها السلام) عملت على ربط الآية الكريمة بجسد الخطبة اللغوي، فألحقت بها تغييراً طفيفاً، يتمثل بإضافة حرف الفاء؛ إذ اقتبست الزهراء (عليها السلام) الآية الكريمة، وجاءت بها من منبعها الأصل، وهو القرآن الكريم، ثم أضافت إليها حرف الفاء: (فإنّما يخشى اللهَ من عِبادِه العلماءُ)، مما كان له بالغ الأثر فيما يتعلق بدعم الطاقة التأثيرية والتعبيرية للنص؛ حيث حقق هذا الربط وظائف عدة أهمها مضاعفة قوة الدلالة، وجعل الآية الكريمة بمثابة جسر يربط بين البنى اللغوية التي تموضعت قبلها، وتلك التي تموضعت بعدها من دون أن يشعر القارئ أو المتلقي بذلك العبور وذلك لشدة تماهي الشاهد القرآني مع السّياق النصي، وتلاحمه معه بحيث يعطف على الدلالة فيما سبق الآية من النص، ويمهد لما سيأتي بعدها في النص، فتلاحمت وتماهت مع سياق الخطبة النصي وكأنّها جزء لا يتجزأ منه.

وتفسير الآية الكريمة (إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ): إن الآية الكريمة تحيل إلى إثبات فعل الخشية للعلماء وإلى نفيها عن غيرهم، كما تشير إلى نفي العلم عن غير أهل الخشية في الوقت عينه[1].

وقيل: إنّ الخشية هنا استعارة والمقصود: إنما يجلهم ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين عباده[2].

ثم إنّنا نعلم أن العامل الحجاجي يضطلع بوظيفة محورية تتمثل بتقوية التوجه نحو النتيجة[3].

ولعلّ مضمون الآية الكريمة الذي يضاعف قوة الحجاج في النص، ويقوي عملية توجيه الحجج انطلاقاً من المقدمات إلى النتيجة بصورة مباشرة تأتى من توظيف العامل الحجاجي (

---

(1) روائع التفسير – تفسير ابن رجب – : 105/2.

(2) تفسير القرطبي: 8/136

(3) ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 35.

إنما) الذي منح السّياق النصي الوارد فيه دينامية نقل معها القول الحجاجي إلى رأس السلّم الحجاجي مباشرة.

إن العوامل الحجاجية عامّة تشكّل محركاً محورياً، هو في كنهه أحد المحركات التي يرتفع عليها التخاطب الحجاجي[1].

وبناء على ذلك يمكننا القول: إنّ توظيف العامل الحجاجي (إنما) في الآية الكريمة نجح في رفع القول الحجاجي مباشر إلى النتيجة، وذلك بفعل ما يتمتع به العامل الحجاجي من مميزات وخصائص أهمها حصر استلزامات القول الحجاجية، وتقليص الاحتمالات، وجعلها محصورة في احتمال واحد من دون غيره.

إذ تم بفضل فاعلية العامل الحجاجي تقليص الاحتمالات الواسعة لحقل (عباد الله الذين يخشونه)؛ لأنّه يترك التركيب الذي اختير بناؤه على هذا النحو من دون غيره لغاية إقناعية حجاجية، يترك قائمة مفتوحة من الاحتمالات الممكنة لعباد الله الذين يخشونه، يملؤها كل متلق تبعاً لخلفياته المعرفية والثقافية، ومرجعياته المتنوعة، إلى احتمال واحد هو (العلماء) وذلك بفضل طاقة الحصر التي تمتع بها العامل (إنّما) الذي بدوره أدى مهمة حجاجية حددت إجابة واحدة يرتضيها المتلقي العارف بها،فعملت (إنَّما) على حصر الجواب أو المعنى والإقرار به كونه كان غافلاً عنه متوهماً غيره .ضاعفت القدرة التأثيرية الإقناعية للخطاب الحجاجي بفضل خصائص الحصر بوصفه عاملاً حجاجياً، والتي تمكّنه من إحكام قبضته على الوجهة الحجاجية، وقيادتها بالاتجاه الذي يلائم الدلالة أو النتيجة الموكل إليه إيصال القارئ أو المتلقي إليها.

فالتوجيه الحجاجي في هذا المقام نلحضه في قول الزهراء (ع) واستشهادها بـ(إنَّما) إذّ أنَّ هذه الأداة توجه الملفوظ نحو نتيجة محددة ومحصورة وهي (خشية الله)سبحانه وهو غرض محدد دون أي غرض آخر لأنه تقَّيد بالعامل (إنَّما) وهي النتيجة التي تروم الزهراء (ع) إيصالها إلى المتلقي ، وبالتالي يمكن تأويل المعنى بالعامل: إنَّ خشية الله تتحقق عند العلماء الذين يتقون الله ويفعلوا ما أمر وينتهوا عما نهى ، وهي دلالة تستشف من السياق ،وبهذا إستطاعت الزهراء (ع) أنَّ تصحح المعتقد وتحدد النتيجة التي آلت إليها ظلامتها.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه: 17.

من الآيات الكريمات الموظفة في خطب أصحاب الكساء، والتي قامت على عاملية الحجاج بـ (إنما) نذكر أيضاً قوله تعالى من خطبة لخاتم المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم: **(إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ)**[التوبة: 37].

إذ تطالعنا الآية الكريمة في انسجام تام مع سياق الخطبة؛ التي يقول فيها عليه الصلاة والسلام: ((أيّها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضى أن يُطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم أيها الناس (إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ). إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإنّ عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات وواحد فرد، ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان))[1].

وتفسير الآية الكريمة كما جاء في تفسير الطبري: يقول تعالى ذكره: ليس النسيء إلا زيادة في الكفر. والنسيء هو مصدر نسأ أي زاد؛ فتقول: نسأ الله في أجلك بمعنى زاد الله في عمرك؛ فالنسيء هو كل زيادة في شيء، والزيادة الحادثة في ذلك الشيء لسبب ما.

ومعنى قوله تعالى: إنّما التأخير الذي يؤخره الكفار من شهور الحرم الأربعة، وجعلهم الحرام حلالاً والحلال حراماً، هو زيادة في كفرهم، وجحود الذين كفروا وأهل الشرك الله سبحانه وتعالى وكلامه المنزل في كتابه جلّ وعلا[2].

يحصر العامل الحجاجي (إنما) استلزامات القول الحجاجي للآية الكريمة، ويقلص الإمكانات والاحتمالات التي تتفرع عن (ماهية النسيء)، وتتفتح حقولها الدلالية في ذهن القارئ إلى احتمال واحد تنحصر فيه الدلالة، وهو (زيادة في الكفر)؛ فالنسيء بعد انفتاحه بداية على حقول دلالية غنية بالاحتمالات (إنما النسيء) ، حيث تكون البنى اللغوية التالية للعبارة حاملة لسلسة من الإمكانات المتاحة التي تعرف النسيء، وتوضح ماهيته، فيتقلص وينكمش إلى احتمال واحد دون غيره، إذ تحمل تتمة القول، وبالاستناد إلى وجود العامل الحجاجي (إنّما) الذي يبث طاقاته

---

(1) خطب الرسول: 145.

(2) ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 244/14.

الحجاجية التأثيرية، ويمارس سلطته التوجيهية في تحديد الوجهة نحو غاية واحدة، ومدلول واحد لا غير (زيادة في الكفر).

ولا يقتصر دور العامل الحجاجي (إنّما) على ذلك فقط، بل يؤدي وظائف عدة أهمها مدّ السّياق النصي للآية الكريمة، ومن ثم للسّياق النصي في الخطبة الذي استند إلى الآية شاهداً بسيل من القوة تضاعف الدلالة، وتزيد فاعليتها، وقدرتها على التأثير في المتلقي، وإقناعه عبر استثارة انفعالاته، والالتفاف على أفق توقعاته، وهزّ كيانها، مما يؤدي وظيفة مضاعفة على صعيد الدلالة فيما يخص الحجاج والإقناع، وعلى صعيد الجمال المتأتي من المتعة المتولدة عن عمليات كسر جليد المألوف، وهدم جدار المتوقع، كل هذا من شأنه ضمان فاعلية طاقة العامل الحجاجي (إنما) الإقناعية من جهة، وضمان أداء ثلة من المهام، تشكّل عملية إيصال مضمون الرسالة إلى المتلقي إحدى المهام المحورية، ويتم ذلك بالصورة الأمثل التي خطط لها المتكلم عند صبه المعاني في الصيغ والتراكيب اللغوية التي وقع عليها الاختيار دون غيره.

ملخص القول في العامل (إنّما) أنَّ طاقتها الحجاجية تكمن في أن جملتها كانت قبل دخولها عليها تحتمل جملة من النتائج المرادة أو المقصودة عن طريق هذا العامل ، وبذلك يستطيع إذّعان المتلقي وأقراره بالنتيجة .

ت- **القصر بتقديم ماحقه التأخير:**

يشكل القصر بالتقديم والتأخير أحد أبرز طرائق القصر التي تتمتع بطاقة حجاجية، ويتردّد استعمالها في الشواهد القرآنية المختارة في خطب أصحاب الكساء، ونذكر مثالاً الآية الكريمة من كلام للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: **(ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)** [سبأ: 13].

والآية افتتح بها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم قوله: فقرأ هذه الآية **(ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ)**، ثم قال صلى الله عليه وسلم: من أوتي ثلاثاً فقد أوتي مثل ما أوتى داود (عليه السلام): خشية الله في السر والعلانية، والعدل في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى))[1].

---

[1] خطب الرسول: 120.

وقع التقديم والتأخير في قوله عز وجل: (ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ) حيث وقع النداء (آل داوود) بين الفعل (اعملوا) ومفعول لأجله (شكراً)[1]، فتأخر المفعول، والأصل أن يلي فعله، ويفترض بترتيب الجمل أن يكون كما يلي: (اعملوا شكراً آل داوود)، أو (آل داوود اعملوا شكراً).

ومن ثَمَّ فقد حقق التقديم والتأخير الذي قام عليه بناء الآية الكريمة أغراضاً جمالية وحجاجية في آن واحدٍ: فأما الجمال فقد تسنى لهذا الأسلوب نتيجة تقنية هزّ أفق التوقع، وإطالة مدة المتعة المتحصلة من إثارة مدركات القارئ، وانتباهه للقبض على المعنى، وإعادة تنضيد البنى اللغوية، ثم ربط هذه البنى اللغوية بروابطها الأصلية كما في أصل الوضع النحوي القاعدي، ثم إدراك الغاية الجمالية والدلالية من الروابط الجديدة التي انتظمت تحتها التراكيب أو البنى اللغوية.

أما الوظيفة الحجاجية أو الغرض الحجاجي الذي حققه أسلوب التقديم والتأخير فيتمثل بأستثمار آلية زعزعة النظام النحوي الوضعي والنمطي للجملة العربية التي تقتضي ترتيباً محدداً للبنى اللغوية، ثم إعادة هيكلتها في صورة جديدة، وتحت شبكة علائقية جديدة، جعلت من أسلوب التقديم والتأخير ينضح بدلالة حجاجية بفعل إفادته معنى القصر، وبثّ طاقات هذا الأسلوب، وقدراته الحجاجية في السّياق، فترتب عن ذلك بالضرورة تأدية ثلة من الوظائف أهمها التحكم باتجاه القول الحجاجي، وحصر احتمالاته وإمكاناته، ودفعها باتجاه واحد، لتأدية المدلول المقصود بعينه دون سواه، وهو هنا تعيين المقصود بالأمر الإلهي (اعملوا شكراً)، وحصره في دائرة دلالية واحدة لا غير هي هنا (آل داوود)، مما يجعل القول الحجاجي محصوراً في هذه الفئة (آل داوود) لا غيرها، إذ يتمم المعنى، ويعطف عليه تتمة الآية الكريمة (وقليل من عبادي الشكور).

ويدعم ما ذهبنا إليه تفسير الآية الكريمة التي جاءت في سياق يوجه الخطاب إلى آل داوود؛ فالآية الكريمة تتمة لقوله سبحانه:**(يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ)**[سبأ: 13] ، حيث تشير(المحاريب) إلى الأبنية الرفيعة، والتماثيل هي ما يكون فيها من النقوش، و(جفان كالجواب) الجواب جمع جابية، وهي الحوض الكبير الذي يجبي الماء بمعنى يجمعه، و(قدور راسيات) أي ثابتات لا تنقل لكبرها.

---

[1] في (شكراً) توجيهين: الأول: على أنه مفعول لأجله؛ وهذا يدلُّ على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر. والثاني: على أنه حال، ومعنى اعملوا شاكرين. ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 573/3.

وفي الآية الكريمة قصد الخطاب الإلهي بيان عظمة السماط الذي يمدّ في تلك الأبنية الملكية، وحال الحفان العظيمة، وما يقع في النفوس من الطعام الذي كان فيها. كما أشار الخطاب الإلهي إلى اشتغال داوود في آلات الحرب، وذكر سليمان بالمساكن والمآكل في حالة السّلم. وفي قوله سبحانه: (اعملوا آل داوود شكراً) يشير عز وجل إلى أن هذه الأمور كلّها حالية وآنية لا يجدر بالمرء أن يشغل نفسه بها حدّ الاستغراق، وإنّما يتوجب عليه أن يكثر من العمل الصالح الذي يكون شكراً لأن الشكر صالح. وفي قوله تعالى: (قليل من عبادي الشكور) إشارة إلى أن الشكر على النعم واجب بيد أنّه لا يمكن أن يكون كما ينبغي؛ ذلك لأن الشكر بالتوفيق، وهو نعمة تحتاج إلى شكر آخر، وهو بتوفيق آخر، وفي المحصلة تبقى نعم الله سبحانه بعد الشكر خالية عن الشكر[1].

وبذلك نجح القول الحجاجي بفضل قدرة أسلوب القصر الحجاجية الذي منح معناه أسلوب التقديم والتأخير حيث أدى هذا الأسلوب بدوره معنى الحصر والتخصيص؛ نجح في إفادة معنى الحصر، وبالتالي الانتقال من حالة التعميم والإطلاق التي تفتح الأفق لإمكانات واستلزامات القول الحجاجي إلى حالة التخصيص والحصر، بعد خفض الاحتمالات بفعل العامل الحجاجي المتمثل بأسلوب التقديم والتأخير (اعملوا آل داوود شكراً)، لتنخفض الاحتمالات، وتنحصر الإمكانات في (آل داوود) دون غيرهم.

وقد تضافر في السّياق معنى التخصيص الذي أفاده أسلوب التقديم والتأخير، ومعنى القصر الذي جاء بعد انتقال أسلوب التقديم والتأخير إلى مستوى دلالي آخر نقله إلى أسلوب القصر الذي بدوره شكّل عاملاً حجاجياً أفاد حصر الإمكانات، والاستلزامات للقول الحجاجي، وقيادة دفّة الحجاج باتجاه واحد مقصود، وذلك كلّه إلى جانب تقوية الدلالة، ومضاعفة المعنى وتعميقه،فضلاً عن المهمة الجمالية المتأتية من متعة التفكيك والربط في أثناء عملية القبض على المعنى، فكلّ هذه المهام مجتمعة تمكّن العامل الحجاجي من تحقيقها في فضاء الخطبة النصي عام، وسياق الآية الكريمة خاصة.

---

[1] ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير: 216. (أين الجزء)

2-عاملية النفي الحجاجية:

أ- عاملية النفي بالأداة ما:

تدخل ما النافية على الجملة الاسمية والجملة الفعلية، وتنفي (ما) الفعل الداخلة عليه، وعلى هذا ثمة إجماع من النحويين، وكثيراً ما تأتي (ما) وبعدها (إلا)، ويجوز تكرار (ما) في الجملة، ولا يجوز حذفها[1].

اخترنا من توظيف النفي حجاجياً في كلام أصحاب الكساء إحدى الآيات الكريمات التي تم استحضارها شاهداً في كلام للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهي: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ)**[المائدة: 67] .

لنتأمل توظيف الآية الكريمة في سياق الخطبة؛ إذ يقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام: ((لأنه قد أعلمني أنّي إنْ لم ابلّغ ما أنزل إليّ في حقّ عليّ فما بلغتُ رسالته، وقد ضمن لي تبارك وتعالى العصمة من الناسِ وهو الله الكافي الكريم أوحى إليّ: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ)، معاشر الناس ما قصّرتُ في تبليغ ما أنزل الله تعالى إليّ))[2].

إنَّ النفي في هذه الآية الكريمة المختارة شاهداً في خطبة الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد غلّف بأسلوب حجاجي، ليؤدي وظائف متعددة، لعلّ أبرزها قيادة دفة الوجهة الحجاجية؛ فحيث كانت الغاية من الخطاب الإلهي في الآية الكريمة إقناع المخاطب، وحمله على إتخاذ موقف محدد، ومقصود بعينه، هو هنا (تبليغ ما أنزل إليه من ربه)، لجأ الخطاب الإلهي إلى تغييرإتجاه القول الحجاجي الثابت في ذهن المتلقي الذي هو هنا الرسول محمد صلى الله عليه وآله

---

(1) ينظر: الكتاب: 116/1.

(2) الاحتجاج: 1/70

وسلم ، وجعله في الضفة المقابلة للدلالة عن طريق استثمار تقنيات الحجاج، وهو هنا عاملية النفي الحجاجية.

لقد قام الحجاج في خطاب الآية الكريمة على مقدمات حجاجية، قادت في نهاية المطاف إلى نتائج حجاجية، حققت غرضاً إقناعياً تأثيرياً بفضل فاعلية الخصائص الحجاجية للعوامل الحجاجية عامة، والنفي منه خاصة؛ إذ استطاع النفي في هذا المقام تحويل اتجاه الثابت المترسخ عند المخاطب من أنه قد بلّغ رسالة ربّه الموكلة إليه مهمة إيصالها إلى الناس أجمعين، وزعزعة أركانه بفضل فاعلية النفي الحجاجية:

الرسول بلّغ ما أنزل إليه من ربّه: مقدمة1.

الرسول بلّغ رسالتَه: نتيجة 1.

بعد دخول النفي:

الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه من ربه (لم يفعل): مقدمة 2.

الرسول لم يبلّغ رسالته: نتيجة 2.

وتبعاً للسّياق الذي وظّفت فيه الآية في الخطبة يكون القول الحجاجي كمايأتي:

الرسول أبلغ الناس أن الولاية بعده للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولبنيه من بعده (الحسن والحسين عليهما السلام) وهذا يدل على أن الرسول بلّغ ما أنزل إليه من ربّه لذا فالمحصلة النهائية أن الرسول بلغ رسالته .

بعد دخول النفي:

الرسول لم يبَّلغ الناس أن الولاية بعده لإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولبنيه من بعده (الحسن والحسين عليهما السلام) = الرسول لم يبلغ ما أنزل إليه من ربه الرسول لم يبلغ رسالته.

ونضرب مثالاً آخرَا على فاعلية النفي الحجاجية في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء وكلامهم نذكر أيضاً الآية الكريمة الموظفة في كلام للإمام علي بن أبي طالب (ع): **(وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ)**[سبأ: 35] .

إن الغاية الرئيسة التي يستهدفها المتكلم عامة من أسلوب النفي غالباً ما تكون حجاجية، إن لم تكن كذلك دائماً، وذلك أنّ ((الفكر السالب لا يكون في الكلام إلا إذا كان الأمر متعلقاً بمواجهة الغير أي حين يكون الأمر على الحجاج))[1].

إذ أدّت أداة النفي (ما) في هذا المقام أيضاً دوراً حجاجياً؛ فقد نسخ النفي ما قد تم ترسيخه في ذهن المخاطب، وهو هنا المترفين المكذبين من أن كثرة المال والبنين دليل على أنهم لن يعذبوا. وبتتمة المعنى، والعطف عليه يتكشف للمتلقي بعد استحضار آيات شديدة الاقتران بالآية المقتطعة من سياقها كقوله عز وجل: **(فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ)**[التوبة: 55] ؛ حيث اكتفى الإمام (عليه السلام) بهذا الجزء استناداً إلى يقين معرفة المخاطب بتتمة الآية، من جهة، ولاقتران هذا الجزء بسياقات نصية مماثلة، واستمرار إحالته إليها، من جهة أخرى.

ولتحقيق الغاية الحجاجية عمد الخطاب القرآني إلى تنضيد المقدمات الحجاجية التي ستفضي إلى النتائج الحجاجية المترتبة عليها، بهدف إقناع المخاطب من خلال فاعلية الحجاج بأداة النفي (ما) بنتيجة يصل إليها القارئ بعد رحلة ممتعة وراء الكشف عن المعنى المقصود، وملء الفراغات وإعادة تنضيد العلاقات التي تربط البنى اللغوية في الآية الكريمة، واستحضار المسكوت عنه والمضمر من المعنى، بعد استحضار الآيات المقترنة بها، والسّياق الواردة فيه، وهو هنا السخرية من ظن المكذبين المترفين بفوزهم بمحبة الله عز وجل، ونجاتهم من العذاب، لكون الله عز وجل قد منحهم الوفرة في المال والبنين في هذه الدنيا، والحقيقة هي أن الله عز وجل إنما سيعذبهم بها، وتزهق أنفسهم وهم كافرون.

وبناء على حقيقة أنّ ((الحِجاج غايته التأثير العمليّ، الذي يمهّد له التأثير الذهنيّ))[2]. ولا نجانب الصواب إنّ قلنا: إنَّ القول الحجاجي في الآية الكريمة قد وظف بهدف التمهيد الذهني الذي سيليه بعد عملية الإقناع التي ستوفرها فاعلية النفي الحجاجية تبني الموقف المراد من قبل المخاطب.

---

(1) الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه، ضمن أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: 320.

(2) الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكاه: 303.

ترتبت المقدمات والنتائج الحجاجية في القول الحجاجي الذي قامت عليه الآية كما يأتي:

- نحن أكثر أموالاً وأولاداً: مقدمة.
- مانحن بمعذبين: نتيجة.

ومن ثَمّ يتولد عن هذا القول الحجاجي قول آخر، بعد استحضار الآيات الكريمات ذات الصلة، والتي تستمر الآية الكريمة في الإحالة إليها:

- فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم: مقدمة.
- إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا: نتيجة1.
- وتزهق أنفسهم وهم كافرون: نتيجة 2.

إذ يعمل الحجاج على التجسير بين القولين الحجاجيين الظاهر والمسكوت عنه أو المضمر، ليعاد تنضيد المقدمات والنتائج، والربط بين النفي في القولين الحجاجيين الظاهر منه والمضمر، ليصل القارئ أو المتلقي إلى نتيجة عليا كما يلي:

نحن أكثر أموالاً وأولاداً لذلك مانحن بمعذبين.

حيث يقلب النفي الوجهة الحجاجية، لتنقلب الحجة بنتيجتها السابقة على عقبها، وتنتقل إلى الضفة المقابلة:

فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا

وتزهق أنفسهم وهم كافرون.

وتصبح خلاصة القول الحجاجي نتيجة غير معلن عنها، وتفهم من السّياق وقرائنه:

نحن أكثر أموالاً وأولاداً لذا مانحن بمعذبين ، المترفون المكذبون تزهق أنفسهم وهم كافرون.

على هذا النحو تم استثمار عاملية النفي بالأداة (ما) في الشواهد القرآنية المختارة في كلام أصحاب الكساء.

ب- النفي ب لا:

إنّ النفي بالأداة (لا) لا يقل فاعلية حجاجية عنه بالأداة (ما)، ولتوضيح ذلك اخترنا بعض الآيات الكريمات المستشهد بها في خطب أصحاب الكساء، ومنها الاية الكريمة التي استشهد بها الإمام الحسين (عليه السلام) في إحدى خطبه: **(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ**

ٱلۡخَبِيرُ) [الأنعام: 103] حيث تماهت الآية مع السّياق النصي الذي وردت فيه؛ لنتأمل قوله (عليه السلام): ((يا أيّها النّاس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم يُضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير))[1]. وقد أنزل هؤلاء المدّعون للتجسيم منزلة المشركين في هذه الآية الكريمة، ومن ثَمَّ فالإمام (عليه السلام) وظّف الشاهد القرآني ليتعاضد مع نصّ الخطبة ويحقق التآزر النصي ليحتج بصفة ((من صفاته العليا، وهي كناية عن تعاليه عن الجسمية ولوازمها، وتنزهه سبحانه عنها، وتعتبر من مقومات المعبود الحق، فهو الإله الذي لا تدركه الأبصار، ويكون سرّاً غيبيّا حاضراً غائباً، فلا يتصف به غيره سبحانه))[2] والشاهد القرآني في الخطبة جاء ((دفعاً لما يسبق إلى أذهان هؤلاء المشركين الذين اعتادوا بالتفكر المادي، وأخلدوا إلى الحسّ والمحسوس))[3].

فتحذير الإمام الحسين (عليه السلام) في هذا الكلام من فئة قد ظهرت بين المسلمين تدّعي تجسيم الله (تعالى عن ذلك علواً كبيراً)، فقد احتج الإمام عليهم بآيات قرآنية تبين باطل حجتهم ووهنها، فـ ((إنّ الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه، لأنه متعال أن يكون مبصراً في ذاته، لأن الأبصار إنّما تتعلق بما كان في جهة أصلاً أو تابعًا، كالأجسام والهيئات))[4].

ويرى بعض المفسرين أن الادراك بمعنى الإحاطة، وأنّ عدم الرؤية منوطاً في الحياة الدنيا، مستدلّاً بسياق الآية، كما عبر عن ذلك بقوله: ((فإنّ عدم إحاطة الأبصار بالشيء يكون من عظمته فلا تطيقه الأبصار، فعموم النكرة في سياق النفي يدل على انتفاء أن يدركه شيء من أبصار المبصرين في الدنيا كما هو السياق))[5]، وكلامه هذا فيه نظر، إذ إنّه يرى نفي الإبصار فيه منوطاً بالإحاطة به، وقد فسّر الإدارك بمعنى الإحاطة، ولو عدنا إلى المعجم لوجدنا الادراك يعني الوصول إلى الشيء، أو اللحاق به، قال ابن فارس: ((دَرَكَ الدَّالُ وَالرَّاءُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ

---

(1) ومضات السبط البعد العقائدي في خطب الإمام الحسين: 11/1.

(2) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 277/14.

(3) الميزان في تفسير القرآن: 301/7.

(4) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 54/2.

(5) التحرير والتنوير: 415/7.

لُحُوقُ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ وَوُصُولُهُ إِلَيْهِ))[1]، والمفسر نفسه قد أثبت أن النكرة في سياق النفي تفيد العموم، ولكنّه عاد وقيّد بقيدٍ لم يرد في نص الآية الكريمة، وهو ((يدل على انتفاء أن يدركه شيء من أبصار المبصرين في الدنيا))[2]، فلا نعلم كيف استظهر هذا القيد من الآية إلا أن يكون قد عاد إلى متبناه العقدي، وهو خارج عن سياق الآية الداخلي، و((لأنّ الإدراك متى قرن بالبصر لم يفهم منه إلا الرؤية، كما أنّه إذا قرن بآلة السمع، فقيل: أدركت بأذني، لم يفهم منه إلا السماع، وكذلك إذ أضيفت إلى كلّ واحد من الحواس))[3]، فالنفي الدال على العموم من الآية يستلزم نفي الادراك مطلقاً، ((فإنّ الآية الشريفة تدلُّ على نفي رؤيته مطلقاً لا في الدنيا ولا في الآخرة، وعن جميع مخلوقاته سواء كان لها أبصار أو لا، وعن جميع الأفراد سواء كان رسولاً نبياً أو فرداً عادياً))[4].

وقد تعمّق الإمام الرضا (عليه السلام) في دلالة هذه الآية موضّحاً الجدل الحجاجي فيها، ومبيّناً خطورة الخوض في صفات الله تعالى، وذلك ما نجده في سؤال الفضل بن سهل له حيث قال: ((أخبرني عمّا اختلف الناس فيه من الرؤية، فقال (عليه السلام): مَن وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه، فقد أعظم الفرية على الله، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وهذه الأبصار ليست هي الأعين، إنّما هي الأبصار التي هي في القلوب، لا يقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو))[5]، فتوظيف النفي في هذا السياق أفاد العموم، كما هو سياق الخطبة إذ تماهى كلام المعصوم (عليه السلام) والنّص القرآني الشريف.

فهو لا تدركه الأبصار لعظمته، فبناء الجسد اللغوي للآية الكريمة على النفي الذي كان عاملاً حجاجياً بامتياز، حيث أدى النفي مهام متعددة لا تنحصر فقط في جانب كونه عاملاً حجاجياً، يقوم بعمليات ربط وتجسير بين المقدمة والنتيجة، بل تجاوز ذلك إلى أداء مهمة أكثر

---

(1) معجم مقاييس اللغة: 269/2.

(2) التحرير والتنوير: 415/7.

(3) مجمع البيان في تفسير القرآن: 108/4.

(4) مواهب الرحمن في تفسير القرآن: 228/14.

(5) تفسير العيّاشي: 373/1. وينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: 108/4.

تعقيداً، وفاعلية، وتأثيراً تتمثل بتوجيه القول الحجاجي، من جهة، وحصر الإمكانات لهذا القول الحجاجي، وجعلها في اتجاه واحد، واحتمال واحد من دون سواه، من جهة أخرى:

مقدّمة: لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ.

مقدّمة: يُدرِكُ الأَبصارَ.

النتيجة: مهيمن على أبصار المخلوقات ونفوسهم.

لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ + يُدرِكُ الأَبصار ، مهيمن على أبصار المخلوقات، هو اللطيف الخبير.

إنّ فاعلية النفي بوصفه عاملاً حجاجياً تتمتع هنا بخصائص العوامل الحجاجية ومنها الدينامية قد منحت القول الحجاجي فرصة التحرك باتجاه النتيجة الحجاجية التي ستؤتي أكلها في عمليات الإقناع وإذعان المتلقي.

وهذه الدينامية تأتت لعامل النفي الحجاجي، لأنّ العوامل الحجاجية عامة تمثل محركاً محورياً من جملة المحركات التي تقوم عليها عملية التخاطب[1].

وبذلك قام الحجاج بإثبات حقيقة أنه عز وجل (يدرك الأبصار)، ونفي هذه الخصيصة عن غيره، وجعلها محصورة فيه بفضل فاعلية النفي الحجاجية في هذا المقام، فسلبت قدرة الإبصارعلى إدراكه عز وجل، وجعل فاعلية الإدراك مخصوصة به تبارك وتعالى، بتعبير آخر تحويل اتجاه المدلول بفضل الحجاج المتكئ على النفي باتجاه حصر المعنى وتخصيصه فيه سبحانه وتعالى، فيكون إدراك الأبصار من جهته جل وعلا، في المقابل لا تستطيع الأبصار مبادلته هذا الإدراك، ولا تستطيع إدراكه البتة، وبناء على هذه المقدمات الحجاجية يفضي الحجاج إلى ترسيخ نتيجة عليا هي أنه عز وجل مهيمن على الخلائق، وهو لطيف خبير، خبرته تتأتى من سعة دائرة الإدراك لكل شيء مما يعني بالضرورة أن سائر الأشياء تقع تحت تصرفه، وتجري بما خططه لها، انطلاقاً من أن الأعلى يملك احتواء الأدنى، والسيطرة عليه.

ومن توظيف فاعلية عاملية النفي بالأداة (لا) الحجاجية اخترنا أيضاً قوله تعالى: **(إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ)**[طه: 74] ، الذي ورد شاهداً في كلام للرسول محمد صلى الله عليه واله وسلم.

---

[1] ينظر: العوامل الحجاجية في اللغة العربية: 17.

وقد وظفت الآية الكريمة في الخطبة لغاية حجاجية، تأثيرية قصدها النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، إذ ورد عنه بأنه ((خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى على هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾)، فقال: أمّا أهلُها الذين هم أهلُها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلِها، فإنّ النار تمسهم، ثم يقوم الشفعاءفيشفعون ، فيجعلون ضبائر فيؤتى بهم نهراً يقال له الحياة – الحيوان – فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل))[1].

قامت الآية الكريمة على تراتب الحجج، وتواليها، حيث تسلم فيها الحجة القوة الحجاجية إلى أختها في ارتفاع باتجاه النتيجة النهائية:

أتى ربه مجرماً: مقدمة.

له جهنم: نتيجة1.

لا يموت فيها ولا يحيى: نتيجة 2.

أتى ربه مجرماً ، فله جهنم وبالتالي يكون مصيره ، لا يموت فيها ولا يحيى

إذ تمّ تفعيل حجاجية عامل النفي بالأداة (لا) في القول الحجاجي الذي شكّل أساس الآية الكريمة، وأفضت المقدمة الحجاجية إلى نتيجة جزئية، أسلمت الحجاج إلى نتيجة عليا، هي ثمرة القول الحجاجي.

إن الآية الكريمة قد غلّفت بأسلوب حجاجي لغايات حجاجية عديدة حقّقها في سياق الآية النصي بداية، ثم صُبّت في سياق الخطبة الذي وظفت فيه الآية الكريمة تالياً، وهي الغاية المحورية من الاستشهاد بالآية بالدرجة الأولى.

إذ إنّ فاعلية عامل النفي الحجاجية في السياق النصي للآية الكريمة الذي ينعكس في مرآة السياق النصي للخطبة، استحضرت معها خصائص العامل الحجاجي الدينامية والإقناعية التأثيرية، وصبتها في فضاء النص، ((فالحياة المنفية حياة خاصة وهي الحياة الخالصة من العذاب والآلام. وبذلك لم يتناقض نفيها مع نفي الموت))[2]، والهدف من ذلك في المقام الأول هو تأثيري بحت، حيث يصبح معه الحجاج غاية، ووسيلة في آن واحدٍ، ومن ثَمَّ تسعى إلى إقحام

---

(1) خطب الرسول: 119-120.

(2) التحرير والتنوير: 268/16.

المتلقي في دائرة الإقناع التي ستؤدي بدورها إلى الامتثال إلى مضمون الحجاج الدلالي المعد قبلاً، والمستهدف بعينه من قبل المتكلم.

وبناء على ذلك ستكون وظيفة العوامل الحجاجية تأثيرية في المقام الأول؛ إذ تصبح الوظيفة التأثيرية أساسيّة ومحورية، فيما تتقهقر الوظيفة الإخباريّة، وتسقط في الهامش، مما يجعل منها مهمة ثانوية في مثل هذه السياقات النصية[1].

وغاية الحجاج المتولد في الآية الكريمة هي دفع المتلقي إلى التفكير ملياً في أعماله، وما سيحصده جراء هذه الأعمال، بعد توضيح نتيجة الإجرام والكفر التي هي جهنم مع خلود في عذابها وتيهها، فلا يعرف فيها المجرم إن كان ميتاً أم حياً.

وإنَّ الطاقة الحجاجية لعامل النفي بالأداة (لا) التي وظفت ببراعة قلبت اتجاه الثابت من ظن المخاطب، وهو هنا (من أتى ربّه مجرماً)؛ فحيث ظن أنّه وإن انتهى إلى جهنم مصيره في نهاية المطاف أن يموت أو يحيا، يأتي النفي ليهدم هذا الثابت، ويدخل المخاطب في حالة من الدهشة والحيرة، تتأتى من محاولته تصور وضعه، وهو في جهنم إذ (لا يموت ولا يحيى)، وطبيعة العذاب الذي ينتظره، كلّ ذلك من شأنه التأثير في المخاطب، واستثارة انفعالاته وعواطفه، ثم إقناعه، ودفعه إلى هجر سلوكه القديم إلى آخر جديد يقي نفسه به من أهوال هذا المصير.

ت- النفي ب (ليس):

ليس هي واحدة من أدوات النفي تدخل على الجملتين الاسمية والفعلية، وفي تعيين اسميتها من حرفيتها خلاف بين النحويين[2]. وتعرف الأداة ليس بأنها ((كلمة دالة على نفي الحال وتنفي غيره بالقرينة)) [3].

ومن استثمار فاعلية النفي بالأداة (ليس) في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ** ﴾[الشورى: 11] ، وقد وردت في كلام للإمام الحسين (عليه السلام).

---

(1) ينظر: الحجاج في اللغة: 42.

(2) ينظر: أساليب النفي في القرآن الكريم: 87.

(3) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: 480/1.

إذ يقول (عليه السلام) فيها: ((يا أيّها النّاس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون الله بأنفسهم يُضاهئون قول الذين كفروا من أهل الكتاب بل هو الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير)) [1].

لقد انتج النفي بالأداة (ليس) في هذا المقام دوراً حجاجياً، استطاع فيه قلب النتيجة المتأتية من تنضيد البنيات اللغوية الداخلة في نسيج الآية الكريمة أفقياً في حالة الإثبات، وهي نتيجة غير مصرّح بها هنا، بل تفهم من السياق:

ثمة شيء مثيل له: مقدمة.

اشتراك بعض الأشياء معه في الصفات: نتيجة 1.

فقدان التفرد الذي بنيت عليه الوحدانية في الألوهية: نتيجة 2.

وهذا ما ستكون عليه الوجهة الحجاجية في حال غياب (ليس)، وفاعلية النفي الحجاجية عن القول الحجاجي للآية الكريمة:

ليس كمثله شيء ، غياب ليس ، ثمة شيء كمثله أي إن هناك اشتراكاً لبعض الأشياء معه في الصفات ، الامر الذي يدل على فقدان التفرد الذي بنيت عليه الوحدانية في الألوهية.

بيد أن دخول (ليس) على المقدمة الحجاجية (ثمة شيء كمثله) قد قلب النتيجة من خلال عملية تكذيب للإثبات قلبته إلى النقيض منه بفعل النفي، ليصبح القول الحجاجي (ليس كمثله شيء) الذي سيترتب عنه بالضرورة نتيجة مضادة للنتيجة المتمخضة عن الإثبات:

ليس كمثله شيء أي ليس هناك أي شيء يشترك معه في الصفات، الامر الذي يحقق له التفرد والوحدانية.

إذ إنّ نهوض البنيات اللغوية على عاملية النفي كان في هذا السّياق له أغراض ذات طابع حجاجي منها حصر الاحتمالات، ونفي إمكانية تعددها، وتوجيهها نحو نتيجة واحدة دون غيرها، هي هنا تفرد الله عز وجل، وعدم وجود أي شريك له على الإطلاق، فاستشهاد الإمام (عليه السلام) بهذه الآية يكشفُ عن الجدل الحجاجي في فهم النّص القرآني، إذ يردّ الإمام (عليه السلام) على تلك الفرق الضالة التي اعتقدت بأن الله تبارك وتعالى جسمٌ، ولكن الإمام بعلمه

---

[1] ومضات السبط، البعد العقائدي الأخلاقي في خطب الإمام الحسين: 11/1.

اللدني يعرفُ محكم القرآن ومتشابهه، فبيّن أنّ من يقول بالجسمية لله تعالى هم فرق مارقة عن الدين، والاستشهاد بهذه الآية فيه تأكيد على نفي المثيل والمشابهة ((المثل صلة مجازه: ليس كهو شيء، فأدخل المثل توكيدًا للأمر))[1].

وبذلك تراكم المعنى، وتم تكثيفه في عبارة ذات طابع حجاجي، هدفها المحوري هو التأثير في المخاطب، وحمله على الإقتناع بمضمون الخطاب، ودفعه بالتالي إلى تبني سلوكيات معينة، تتمخض عنها عملية الإقناع والتأثر.

فليست الغاية من قوله **(ليسَ كمثله شيء)** محصورة في نطاق الوظيفة الإخبارية وحسب، بل تجاوزتها، وتنحت هذه الوظيفة الإخبارية إلى الهامش لتتمحور مكانها الوظيفة الحجاجية المتجهة نحو تحقيق هدف إقناعي تأثيري، بفضل طاقة العامل الحجاجي، وهو هنا النفي بـ (ليس)، وقدراته التوجيهية؛ وعليه استطاع عامل النفي بفعل طاقته الحجاجية حصر إمكانات القول الحجاجي واستلزاماته، و كذلك الاحتمالات التي كان يمكن لها أن تكون، وجعل ذلك كلّه محصوراً في احتمال واحد وحسب.

في الواقع إن كلَّ سياق تخاطبي يعضد أو يفند أوضاع سابقة، ويتطلع إلى إرساء دعائم منظور جديد ومختلف، أو يسعى إلى إعادة النظر في المسلمات بغرض توجيهها وجهة محددة ومخصوصة؛ فاللغة بفعل طبيعتها تضع كلّ ملفوظ موضع سؤال إزاء ما سبقه، ليصبح حلقة داخل سلسلة كلامية، يولد ضمن عالم خطابي موجود مسبقاً[2].

وبما أن الآية الكريمة في حدّ ذاتها خطاب وضع ضمن خطاب آخر، هو نص الخطبة، يتحتم أن ثمة سياق تخاطبي غرضه – كما هو موضح أعلاه – إرساء دعائم منظور مختلف، هو هنا يتعلق بمفهوم التوحيد الذي يقتضي تفرد الإله، وسموه فوق الموجودات كلّها.

ومن ثَمَّ ضاعف استحضار الآية في الخطبة القوة الحجاجية لسياقها النصي، بفضل قدسية القرآن الكريم، وتفرد مكانته في نفس المتلقي، ولكونه مرجعية مشتركة لدى المتكلم والمخاطب.

---

(1) تفسير الثعلبي أو الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 335/23. وينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 213/4.

(2) ينظر: الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة: 14.

المبحث الثاني

الروابط الحجاجية

تمثل الروابط الحجاجيّة المؤشّر الرئيس، والدليل البارز على أنّ الحجاج مؤشّر له في بنية اللغة نفسها، وتشتمل اللغة العربيّة على روابط حجاجيّة متعددة، كما هو الحال في سائر اللغات البشرية الأخرى، و منها: بل، لكن، إذن، لاسيما، حتى، ل، أن، بما أن، إذا، الواو، الفاء، اللام،ثُّم ، كي.. [1]، ذلك أن الروابط الحجاجية يتم توظيفها في الخطابات المتنوعة بغية تحقيق اتساق النصوص وانسجامها، لما تحققه من توازن بين الجمل، وتعليل وجهات النظر، وتوضيحها[2].

وثبت عند الباحثين أن الروابط الحجاجية شأنها شأن العوامل الحجاجية تقوم بالربط بين وحدتين دلاليتين أو أكثر لخدمة الهدف الإقناعي للوحدات التي تربط بينها وبهذا فهي ((تحدّد طرق الربط بين النتيجة وحجتها)) [3].

وبصورة عامّة تتوزع الروابط الحجاجية على أقسام رئيسة تبعاً للوظيفة التي تؤديها وهي:

روابط التعليل الحجاجي، روابط العطف الحجاجي، روابط التعارض الحجاجي، روابط التساوق الحجاجي..

1- روابط التعليل الحجاجي:

تختزن الروابط الحجاجية فاعلية ثرّة، وقدرة توجيهية عالية لدلالة المحاججة في الخطابات المتنوعة، ويتمُّ تقسيم تلك الروابط إلى أقسام هي: روابط التعليل الحجاجي، روابط العطف الحجاجي، روابط التعارض الحجاجي[4].

- **اللام:**

---

(1) ينظر: اللغة والحجاج: 55.

(2) ينظر: الحجاج في خطاب الدراسات اللغوية –كتاب منطق العرب في علوم اللسان لعبد الرحمن الحاج صالح أنموذجا، رسالة ماجستير: (أين الصفحة)

(3) نظرية الحجاج في اللغة ضمن كتاب أهم نظريات الحج=اج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم: 375.

(4) رسائل الإمام علي في نهج البلاغة دراسة حجاجية، أطروحة دكتوراه: 98.

تمثل اللام أحدى أدوات الربط الحجاجي التي تدخل على الفعل المضارع، فتجعل ما بعدها علة لما قبلها، وتدعى لام العلة، ولام السبب، ومعنى التعليل الذي تؤديه يعود إلى معنى الاختصاص[1].

حيث جاءت اللام رابطاً حجاجياً مدرجاً للحجج في العديد من الآيات الكريمات التي وظفت في خطب أصحاب الكساء وكلامهم، ومنه قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ)** [الحجرات: 13] ، وقد وردت هذه الآية الكريمة في كلام للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلّم.

إذ جاءت الآية في سياق الكلام على النحو الآتي: ((فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وقال: إنَّ الله يقول (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ) فليس لعربي على عجمي فضل، ولا لأسود على أحمر فضل، ولا لأحمر على أسود فضل إلا بالتقوى..، يا معشر قريش لا تجيئوا بالدنيا تحملونها على رقابكم، وتجيء الناس بالآخرة، فإنّي لا أغني عنكم من الله شيئاً))[2]

فتماهت الآية الكريمة مع الجوّ العام للخطبة، ووظفت لأداء الغرض الحجاجي المقصود في السّياق النصي الذي وردت فيه.

وفي هذه الآية تحضر اللام، وهي هنا (لام التعليل) بوصفها رابطاً حجاجيّاً مدرجاً للحجج، على النحو التالي: استهل الخطاب الإلهي الآية الكريمة بمقدمة التمهيديّة (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) يليها الحجة (وجعلناكم شعوباً وقبائل) ثم الحجة (لتعارفوا) النتيجة، أقترح أن تكون النتيجة قول الزمخشري: ((أى لتعلموا كيف تتناسبون))[3] وقال الطبري: ((وقوله (لِتَعَارَفُوا) يقول: ليعرف بعضكم بعضا في النسب، يقول تعالى ذكره: إنما جعلنا هذه الشعوب والقبائل لكم أيها الناس، ليعرف بعضكم بعضا في قرب القرابة منه وبعده، لا لفضيلة لكم في ذلك، وقُربة تقرّبكم إلى الله، بل أكرمكم عند الله أتقاكم))[4]، وهذه جملة استئنافية يراد منها ترسيخ التقوى

---

(1) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 109.

(2) خطب الرسول: 152.

(3) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 375/4.

(4) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 312/22.

بدل التفاخر بالأنساب، والدليل كسر همزة (إن) التي تدلّ على أنها جملة منقطعة جاءت مؤكدة للنتيجة المحذوفة التي يدلّ عليها السياق قال الأخفش: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ" فكسر لأنه ابتداء ولم يحمله على "لِتَعَارَفُواْ"))[1]. (إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

وتوالي الحجج باتجاه النتيجة كما يلي:

إنا خلقناكم من ذكر وأنثى: حجة1.

جعلناكم شعوباً وقبائل: حجة 2.

لتعارفوا: حجة 3.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم: نتيجة.

والحجج تتالى كما يلي:

إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ثم جعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم.

فاللام نجحت في الارتقاء بالحجج عبر السّلّم الحجاجي باتجاه النتيجة حيث عملت على الانتقال بالقول الحجاجي من مرحلة المقدمة والتمهيد إلى مرحلة عرض الحجج التي أفضت ختاماً إلى النتيجة بعد بث معنى التعليل والتبرير؛ فلم يخلق الله سبحانه وتعالى البشر شعوباً وقبائلاً ومن ذكر وأنثى إلا بغرض يتمثل بأن يتعارفوا، والنتيجة من هذه الحجج هي أن الجميع متساوون عند الله، يتفاضلون عنده ليس تبعاً لجنسهم، وشعوبهم، وانتماءاتهم، بل تبعاً لمعيار آخر مختلف تماماً هو التقوى؛ فالأتقى من البشر هو الأكرم عند الله.

2-روابط العطف الحجاجي:

تقوم روابط العطف الحجاجي، وهي (الواو، الفاء، ثم) بالربط بين قضيتين أو حجتين تؤديان إلى نتيجة واحدة، وترتقي على السلّم الحجاجي تبعاً لقوتها الحجاجية في دعم النتيجة، فضلاً عن تأديتها لوظائف أخرى تتمثل بتوضيح المعنى المراد، خاصة إذا تم توظيف كل حرف

---

[1] معاني القرآن للأخفش: 521/2.

منها في سياقه الملائم، مما يضاعف تثبيت المعنى على الوجهة المقصودة، ويضفي على الخطاب شيئاً من التنسيق والانسجام[1].

- **الواو:**

فيقوم رابط العطف الحجاجي (الواو) بالجمع بين حجتين أو قضيتين، ويوظّف حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفاً يرتب الحجج، ويعمل على ضمان اتصالها، ورصّ تلك الحجج، وتماسكها، وتقويتها، فضلاً عن التراتبية والسلّمية في عرض الحجج[2].

إذ يكثر استعمال هذا الرابط الحجاجي في الشواهد القرآنية الموظّفة في خطب أصحاب الكساء وكلامهم، ونذكر مثالاً الآية الكريمة: (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠**)[الليل: 5-10] ، فقد وردت هذه الآية الكريمة في إحدى خطب الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه واله وسلم.

ووظفت الآية الكريمة على النحو الآتي: ((ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة أو النار، وإلا قد كتبت شقيّة أو سعيدة.. اعملوا فكلّ ميسّر لما خُلق له، أما من كان من أهل السّعادة فييسّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسّر لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠) [3].

إنّ الآية الكريمة في هذه الخطبة المباركة جاءت تبيين لكلام الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فعند قراءة الخطبة يتبادر إلى الذهن منها الجبر في أعمال الناس، ولكن بعد أن رفد النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم) كلامه بهذه الآية تبيّن أن الله تبارك وتعالى، قد أودع النفوس

---

(1) ينظر: الحجاج في كتاب المثل السائر لان الأثير، رسالة ماجستير: 93.

(2) ينظر: رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، أطروحة دكتوراه: 122.

(3) خطب الرسول: 77.

الإنسانية الخير والشر بالقوّة، والإنسان هو الذي يخرج هذه الملكة بالفعل، وهذا ما نجده عبر بيان هذه الآيات الكريمات، إذ المعنى يكون: ((فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الأمور عليه وأهونها))[1]. وأما ((المراد بتيسيره للعسرى خذلانه بعدم توفيقه للأعمال الصالحة، بتثقيلها عليه، وعدم شرح صدره للإيمان أو إعداده للعذاب))[2].

إذ عمل الرابط الحجاجي في الآية الكريمة على تأدية مهام متنوعة على صعيد الوصل، والربط بين الحجج، وتماسكها، وتراصها، وعلى صعيد السلّمية، وترتيب الحجج تبعاً لقوتها في دعم النتيجة في القول الحجاجي،

وتسيير هذا القول باتجاه وجهة حجاجية مقصودة، تنتهي إلى نتيجة حجاجية نهائية عليا:من أعطى: حجة1.واتقى: حجة 2.

وصدق بالحسنى: حجة 3.

فسنسيره لليسرى: نتيجة أ.

ويمكن تمثيل تراتبيتها على السلم الحجاجي كما يأتي:

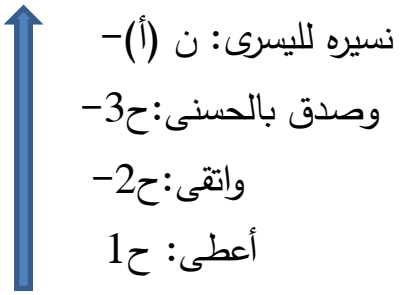

وأما الجزء الآخر من الآية فقد حمل قولاً حجاجياً في الاتجاه المعاكس، وتراتبت فيه الحجج باتجاه النتيجة المضادة:

من بخل: حجة 1.

واستغنى: حجة 2.

وكذب بالحسنى: حجة 3.

فسنسيره للعسرى: نتيجة (-أ).

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: 762/4.

[2] الميزان في تفسير القرآن: 345/20.

ويمكن تمثيل تراتب الحجج على السلم الحجاجي كما يأتي:

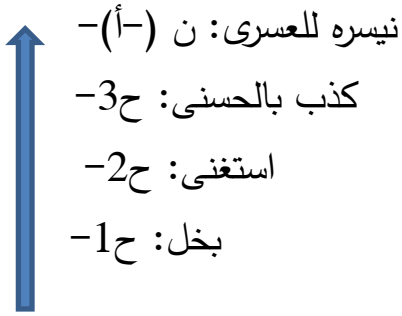

- **الفاء:**

إنَّ الفاء شأنها شأن (الواو) قد تضطلع أحياناً بمهام حجاجية، وتوظّف في السياقات النصية بوصفها رابطاً حجاجياً.

والفاء أداة ربط تفيد التفسير والاستنتاج كما تجمع بين قضيتين متباعدتين من حيث الدلالة، بيد أنهما متقاربتان من جهة الأحداث، إلى جانب عمل الفاء الرئيسي بوصفها رابطاً حجاجياً والمتمثل بترتيب الحجج، والوصل بينها، وما بعد ثم هو متسبب عمّا قبلها[1].

ومن الشواهد القرآنية التي وظّفت فيها الفاء رابطاً حجاجياً نذكر قوله تعالى: **(وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)**[التوبة: 105].

حيث وردت في خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) إذ يقول فيها: ((واعلموا أنَّ من يبخل المودة فإنّما يبخل عن نفسه، إنّ الله هو الغني وأنتم الفقراء إليه، فاعملوا من بعد ما شئتم، فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. سمعت جدي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: خلقت أنا من نور الله وخلق أهل بيتي من نوري، وخلق محبيهم من نورهم، وسائر الناس في النار)) [2].

إذ عملت الفاء بوصفها رابطاً حجاجياً على تأدية مهام عديدة غاية في الأهمية تمثلت بتحقيق سلّمية الحجج، واتصالها من جهة، وبث معنى التسارع، وغياب المهلة الزمنية بين الأحداث أو الحجج، من جهة أخرى:

---

[1] ينظر: رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، أطروحة دكتوراه: 124.

[2] الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع): 36-37.

سيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون: الحجة 1.

ستردون إلى عالم الغيب والشهادة: الحجة 2.

فينبئكم بما كنتم تعملون: نتيجة.

وترتقي تلك الحجج السلم الحجاجي وصولاً إلى النتيجة كما يأتي:

ينبئكم بما كنتم تعملون: نتيجة-

ستردون إلى عالم الغيب: حجة2-

سيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون: حجة1-

ومن ثَمَّ يضخ الربط بالفاء هنا معاني عديدة في فضاء السّياق، ويقوم بتوضيح العلاقات القائمة بين الحجج؛ فالحجة ما قبل الفاء مسبب للنتيجة التي تموضعت بعد الفاء، حيث ربط الفاء بين قضيتين متباعدتين في حقل الدلالة؛ الأولى تتعلق بعالم الغيب والعودة إليه (ستردون إلى عالم الغيب) وذلك بالتساوق مع مراقبة الله ورسوله والمؤمنين لأعمال المخاطب: (سيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، والثانية تتعلق بالحساب (ينبئكم بما كنتم تعملون)، لتحقق الفاء في حضورها النصي الفعال معنى التراتبية من جهة، وتوضيح طريقة توالي الأحداث (سيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون- ستردون إلى عالم الغيب- ينبئكم بما كنتم تعملون) والمهلة الزمنية الفاصلة بينها، من جهة أخرى.

- **ثم:**

تمثل (ثم) إحدى روابط العطف الحجاجي ذات الفاعلية العالية فيما يخص دعم الحجاج في الوجهة الحجاجية للقول الحجاجي المتكئ عليها.

ومن الشواهد القرآنية التي تعتمد على هذا الرابط نذكر قوله تعالى: **(أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩)** [المرسلات: 16-19] .

وهي شاهد ورد في خطبة للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يقول فيها: ((معاشر الناس، قد ضلّ قبلكم أكثر الأولين، واللهُ قد أهلك الأولين، وهو مهلك الآخرين. قال الله تعالى (أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٩) [1].

حيث تؤدي (ثم) بوصفها رابطاً حجاجياً المهام الحجاجية لحرفي الواو والفاء مع اختلاف يتعلق بإفادة معنى مختلف فيما يخص التعاقب، والمهلة الزمنية؛ حيث تفيد (ثم) خلافاً للفاء معنى التراخي في الزمن، بيد أن سائر المهام الأخرى تؤديها (ثم) بدورها:

نهلك الأولين: حجة 1.

ثم نتبعهم الآخرين: حجة 2.

كذلك نفعل بالمجرمين: حجة 3.

ويل يومئذ للمكذبين: نتيجة.

وتعمل (ثم) على ترتيب الحجج على السلم الحجاجي تبعاً لقوتها في دعم النتيجة النهائية، ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

ويل يومئذ للمكذبين: ن-
كذلك نفعل بالمجرمين: ح3-
ثم نتبعهم الآخرين: ح2-
نهلك الأولين: ح1-

[1] الاحتجاج: 1/72 .

فالحجة الثالثة: (كذلك نفعل بالمجرمين) أقوى في التدليل على النتيجة من الحجج الواقعة تحتها (الثانية والأولى)، وكذلك الثانية أقوى من الأولى في التدليل على النتيجة المقصودة.

ومن ثَمَّ عملت (ثم) على توضيح المهلة الزمنية التي فصلت بين الحدثين (نهلك الأولين) و (نتبعهم الآخرين) حيث أفادت معنى التراخي في الزمن، ومضي زمن طويل بين إهلاك الأولين، وإتباع الآخرين لهم، ممّا منح الحجج ترابطاً، وتماسكاً، وتسلسلاً منطقياً كان أدعى للتأثير في المخاطب، بفعل محاكاته للحقائق الواقعية، واستثارة العواطف والانفعالات.

3-روابط التعارض الحجاجي:

إن عمليات الترابط الحجاجي في كنهها ما هي إلا تساؤل عن الأساسيات التي تجعل جملة من الأقوال متماسكة[1]. وطريقة التماسك هذه تحدّدها طبيعة الروابط الحجاجية، ووظائفها التي درجت على تأديتها في السّياقات النصية المتنوعة ذات الطابع الحجاجي، وذلك ما يطالعنا عبر أدواتها الحجاجية، وهي الآتي:

- **لكن:**

تطالعنا الأداة (لكن) بوصفها إحدى الروابط الحجاجية في الشواهد القرآنية الواردة في خطب أصحاب الكساء، ومنها اخترنا الآية الكريمة: **(وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ)** [الأعراف: 96].

حيث جاءت في خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) إذ يقول فيها: ((أيّها الناس لو أذكر الذي اعطانا الله تبارك وتعالى وخصّنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسان نبيه لم احصه، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين، وأقسم بالله لو تمسكت الأمة بالثقلين، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم من غير اختلاف بينهم إلى يوم القيامة، قال الله عز وجل: **(وَلَو أَنَّهُم أَقَامُواْ ٱلتَّورَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ)**[المائدة: 66] ، وقال الله عز وجل: (وَلَو أَنَّ أَهلَ ٱلقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَواْ لَفَتَحنَا عَلَيهِم بَرَكَٰت مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ

---

[1] ينظر: نظرية الحجاج في اللغة: 371.

فَأَخَذَتْهُم بِمَا كَانُواْ يَكسِبُونَ) ، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم)) [1].

إن (لكن) في الاستعمال الاصطلاحي للاستدراك تتوسط بين كلامين متغايرين بالنفي والإيجاب، فيستدرك بواسطتها النفي بالإيجاب، والعكس[2].

ومعنى الاستدراك هو أن اسم لكن يعارض المحكوم عليه الواقع قبلها، ويخالفه في الحكم؛ فحيث تم الإخبار عن الأول بخبر خشي أن يتوهم من الثاني فتداركت بخبره سلباً أو إيجاباً، وتتموضع لكن بين المتنافيين[3].

وهو ما يمكن تبيينه في الآية الكريمة؛ حيث توسطت (لكن) بين الإثبات والنفي، وتوزعت المعاني والحجج على قسمين رئيسين قبل لكن:

لو أن أهل القرى آمنوا: حجة1.

لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض: نتيجة1.

ففي حال إيمان أهل القرى كانت النتيجة ستكون انفتاح بركات السماء والأرض عليهم:

أهل القرى آمنوا لذا فتحنا عليهم بركات من السماء والأرض

والجزء ما بعد (لكن) ترتب على الشكل الآتي:

أهل القرى كَذَّبوا: حجة 2.

فَأَخَذناهُم بِما كانوا يَكسِبونَ: نتيجة 2.

أهل القرى كَذَّبوا لذا أَخَذناهُم بِما كانوا يَكسِبونَ

ويمكن تمثيل ذلك على السلم كما يأتي:

أَخَذناهُم بِما كانوا يَكسِبونَ :ن2-

أهل القرى كَذَّبوا: ح2-

لكن: رابط تعارض حجاجي-

---

(1) الروائع المختارة من خطبة الإمام الحسن (ع): 58.

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 509.

(3) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني: 591.

فتحنا عليهم بركات من السماء والأرض: نتيجة 1-

أهل القرى آمنوا: ح1-

وبذلك انتقل القول الحجاجي من الإيجاب إلى النفي بفعل الأداة (لكن) التي نسخت الإثبات في القول الحجاجي، وحولت وجهة الحجاجية نحو النفي الذي مهد بدوره للنتيجة النهائية، ونسخ النتيجة المحتملة المترتبة عن احتمال الإثبات في حال حدوثه فعلاً، في حين أنَّ انتفاء حدوثه قلب الموازين، وترتب عليه بالضرورة النتيجة النهائية للقول الحجاجي، وهي (فَأَخَذناهُم بِما كانوا يَكسِبونَ).

- **بل:**

تُعدُّ (بل) في عرف النحاة من الحروف الهوامل، وتفيد معنى الإضراب عن الأول، ومعنى الإيجاب للثاني[1].

وتعمل (بل) عمل (لكن) في السّياق الحجاجي الذي يمنحها معاني الاستدراك والتوكيد، والقصر، والإضراب، والإبطال[2].

ومن استثمار طاقات (بل) الحجاجية في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: **(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ٥٦)**[المؤمنون: 55-56]. إذ وردت هذه الآية الكريمة في خطبة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِۚ): مقدمة.

لَّا يَشْعُرُونَ (ليس لهم خيرات فيما نمدهم به من مال وبنين): نتيجة

إذ يعد الرابط الحجاجي (بل) من الروابط المدرجة للنتائج حيث استهلت الآية الكريمة حجاجها بمقدمة تمهيديّة، ثم جاء الرابط (بل) الذي أفاد معنى الإضراب، وحول اتجاه الحجاج نحو النتيجة.

---

(1) ينظر: معاني الحروف: 72.

(2) ينظر: رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية: 105.

ويكمن وراء اختيار الرابط (بل) غاية تتمثل بقطع سلسلة الحجاج، وقلب الوجهة الحجاجية من الإيجاب إلى النفي، حيث نقلت (بل) بوصفها رابطاً حجاجياً القول الحجاجي مباشرة من المقدمة إلى النتيجة النهائية.

ويمكن تمثيل ذلك كما يأتي:

لَّا يَشْعُرُونَ (ليس لهم خيرات فيما نمدهم به من مال وبنين): ن-
بل: رابط حجاجي تعارضي -
ما نُمِدُّهُم بِهِ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ: مقدمة-

فقد تعمد الخطاب الإلهي الإنتقال بالوجهة الدلالية إلى الضفة المقابلة، وحقق عبر التحول المفاجئ من الإيجاب إلى النفي مقاصد قبليّة أنيطت به قبل صب المعاني في الألفاظ على هذا النحو من دون غيره، كما حقق وظائف دلالية، عملت على تعميق المعنى ومضاعفته، وحولت القول الحجاجي إلى بؤرة دلالية ثرية بالإيحاء، مما جعل الحجاج في نهاية المطاف يحقق غايته التأثيرية الاقناعية، بفعل الاستثمار الأمثل للحجاج، وآلياته، وتقنياته، والاختيار المتقن للرابط الحجاجي الموائم للسّياق النصي.

4-روابط التساوق الحجاجي:

يحمل التساوق في اللغة معنى التتابع والانقياد؛ فقد جاء في اللسان: انساقت وتساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضاً[1].

ومن ثَمَّ هناك روابط حجاجية تسبك أوّل الجملة بتاليها؛ لتؤدّي غاية الحجاج المقصود، الذي تحمله في طيّات سياقها الواردة به في كلام أصحاب الكساء (ع) وخطبهم، ومن ذلك:

---

[1] ينظر: لسان العرب: 305/7.

- **حتى:**

إذ تُعدُّ (حتى) من روابط التساوق حجاجياً، والمدرجة للحجج القوية، ويشترط في الحجج التي تربط بينها (حتى) الانتماء إلى فئة حجاجية واحدة، بمعنى آخر تصب في خدمة نتيجة واحدة، والحجّة التي تلي (حتى) تحوز على القوة الأكبر، وعليه فإن القول الحجاجي المتضمن للأداة (حتى) لا يقبل التعارض الحجاجي أو الإبطال[1]، فتظهر أهمية هذا الرابط الحجاجي من علاقته الواضحة والقوية مع المعنى المضمر في الحجة .

حيث جاءت (حتى) رابطاً حجاجياً في قوله تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ)** [الأعراف: 40]، إذ وردت الآية الكريمة شاهداً في إحدى خطب الرسول الأكرم وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد وظّفت الآية الكريمة في سياق الخطبة لغاية حجاجية، إذ يقول (عليه الصلاة والسلام) : ((وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون ألا تعرج روحه من قَبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون فلان بن فلان – بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا – حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فسيفتح له، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله علبه وآله وسلم: لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ ، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى)) [2].

بمعنى أنَّ هذا الرابط يستعمل في إدراج حجة جديدة تردف الحجة التي قبلها أو الحجج التي تستيقها وتساوقها ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها هذا الرابط(حتى) هي أقوى من الحجة التي سبقتها : أي أن الحجة الأخيرة التي تكون بعد (حتى) هي غاية لما قبلها، فالرابط الحجاجي (حتى) في هذا المقام جاء لأجل تحقيق غايات حجاجية إقناعية .

---

[1] اللغة والحجاج: 73.

[2] خطب الرسول: 75.

فنحن نعلم أن (حتى) من روابط التساوق الحجاجيّة؛ بمعنى أنّها تعمل على تقديم الحجج متساوقةً، وهذا ما فعلته في السّياق النصي للآية الكريمة:

(لا تفتّح لهم أبواب السماء): حجة 1.

(لا يدخلون الجنة): حجة 2.

(حتى يلج الجمل في سم الخياط): حجة 3.

استحالة دخول الكفار الجنة: نتيجة عليا.

إن النتيجة العليا التي أدت إليها الحجج ليست على المستوى الظاهر من النص، بمعنى آخر لم يصرح بها، بل يمكن فهمها من السّياق وقرائنه:

لا تفتّح لهم أبواب السماء لذا لا يدخلون الجنة ، يلج الجمل في سم الخياط استحالة دخول الكفار الجنة.

إذ إنّ الحجة التي تلي (حتى) هي الأقوى في التدليل على النتيجة، ولذلك تعد أحد أهم أدوات السّلم الحجاجي؛ وذلك مردّه إلى دورها في ترتيب منزلة العناصر على السلم، ولما تحمله معانيها من سلمية[1].

فتعمل حتى في هذا المقام على وظيفة حجاجية غاية في الأهمية تتجلى في ربط الحجج، وجعلها متساوقة لتقود الحجاج باتجاه النتيجة، وبناء عليه تنضدت الحجج بشكل متساوق، مبني على أسس منطقية، يتسنى لها بفعل الطاقة الحجاجية المبثوثة في السياق ضمان تفاعل المتلقي، والتأثير فيه، ومن ثم إقناعه بعد أن يمضي في متعة تنضيد الحجج، والربط بينها، وإدراك الشبكة العلائقية الناظمة لها، ثم القبض على النتيجة المضمرة التي اكتفى السّياق بالتلميح إليها دون التصريح، وبالتالي الوصول إلى المقاصد الدلالية التي استهدفها الخطاب، والاقتناع بها، فالكفار لن تفتح لهم أبواب السماء، ولن يدخلوها حتى يلج الجمل في سم الخياط، وهذه المخاتلة اللغوية تحمل المزيد من النفي، وتفضي في نهاية المطاف إلى اقتناع القارئ باستحالة دخولهم الجنة، لاستحالة تحقق الحجة الثالثة، وهي ولوج الجمل من سم الخياط؛ ((لو كانت لانتفاء دخولهم الجنة غاية لكانت غايته ولوج الجمل – وهو البعير– في سم الخياط وهو أمر لا يكون أبداً))[2].

---

(1) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 517.

(2) التحرير والتنوير: 215/8.

ويمكن تمثيل تراتب الحجج على السلم كما يلي:

استحالة دخول الكفار الجنة : ن-
يلج الجمل في سم الخياط: ح -
حتى: رابط تساوق حجاجي -
لا يدخلون الجنة: ح2-
لا تفتّح لهم أبواب السماء: ح1-

وبذلك عملت (حتى) على ربط الحجج بصورة تراتبية تصاعدياً باتجاه النتيجة النهائية التي هي هنا استحالة دخول الكفار الجنة.

ومن توظيف (حتى) بوصفها رابطاً حجاجياً في الشواهد القرآنية في خطب أصحاب الكساء اخترنا أيضاً من خطبة للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم قوله عز وجل: **(قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ١٠٨ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ١٠٩)**[يونس: 108-109].

يقول عليه أفضل الصلاة والتسليم: ((معاشر الناس ما تقولون؟ فإنّ اللهَ يعلمُ كلَّ صوتٍ وخافيةَ كلِّ نفسٍ، (فمن اهتدى فلنفسهِ ومن ضلَّ فإنّمَا يَضلّ عليها)، ومن بايع فإنّما يبايع الله، (يدُ اللهِ فوقَ أيديهم) معاشرَ النّاسِ، فبايعوا الله وبايعوني وبايعوا عليّاً أمير المؤمنين والحسن والحسين والأئمة منهم في الدنيا والآخرة كلمةً باقية، يهلك الله من غدر ويرحم من وفى))[1]

عملت (حتى) في السياق النصي للشاهد القرآني المختار عملاً حجاجياً، تمثل بكونها رابطاً حجاجياً تساوقت بفضله الحجج في القول الحجاجي:

من اهتدى: حجة 1.

يهتدي لنفسه: حجة 2.

من ضل: حجة 3.

---

[1] الاحتجاج: 1/75.

فإنما يضل عليها: حجة 4.

ما أنا عليكم بوكيل: حجة 5.

اتبع مايوحى إليك: حجة 6.

اصبر: حجة 7.

حتى يحكم الله: حجة 8.

الله خير الحاكمين: نتيجة.

ويمكن تمثيل تراتب الحجج على السلم الحجاجي في القول الحجاجي كما يلي:

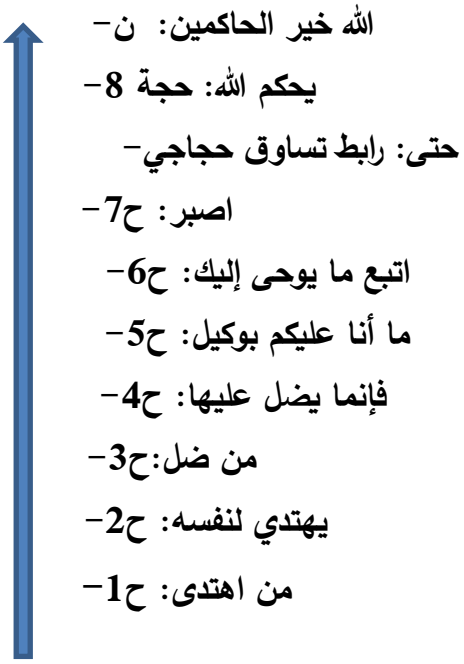

فعلى هذا النحو تتضدت الحجج على السلم الحجاجي تصاعدياً باتجاه النتيجة النهائية، فالحجج تتالت تبعاً لقوتها في دعم النتيجة، ولعلّ الحجج الخمس الأولى شكلت جزءاً تمهيدياً، ازدادت بعده حدة الخطاب، وارتفع تواتره لاقترابه من أعلى السلم حيث تتربع النتيجة النهائية.

إذ أدت (حتى) في الجزء الثاني من ربقة الحجج دوراً فعالاً في تسارع الوتيرة، وتعاقب الحجج للانتقال عبر التعاقب المباشر إلى النتيجة:

اتبع ما يوحى إليك وكذلك فاصبر ثم انتظر حتى يحكم الله إن الله خير الحاكمين.

صحيح أن الشعور بانقسام الحجج في ربقتين متتاليتين أمر جلي في هذا القول الحجاجي بيد أنَّ الإنسجام والتماسك لم يفارقها قط، حيث وزعت المهام على تلك الحجج بين التمهيد

والمقدمات الحجاجية، والنتائج الجزئية، وبين التعاقب المباشر، والتساوق باتجاه النتيجة، ليغدو القول الحجاجي كلاً موحداً متماسكاً يؤدي مهمته الحجاجية الإقناعية، والتأثيرية بصورة متقنة، وعلى أتم وجه.

المبحث الثالث

السلالم الحجاجية

يعرف السّلم الحجاجي في الاستعمال الاصطلاحي على أنه: ((علاقة ترتيبية للحجج)) [1]، فالحجج تنتظم تحت السلم الحجاجي الذي يشكل بدوره ما يسمى بفئة حجاجية، تتمتع بسمة توجيهية في المقام الأول؛ ذلك أن السلالم الحجاجية وثيقة الصلة بمفهوم الوجهة؛ حيث تنشأ علاقة ترتيبية محددة بين الحجج التي تنضوي تحت فئة حجاجية معينة، وبالتالي سيعود انتماء الحجج إلى السلم الحجاجي ذاته؛ وهذا يقودنا إلى القول بصحة الفكرة التي مفادها أن السلم الحجاجي إنما هو في جوهره فئة حجاجية موجهة[2].

والجدير بالذكر في هذا المقام أن الحجج ليست مطلقة؛ بتعبير آخر لا تتساوى الحجج فيما بينها، بل تتدرج قوة وضعفاً[3]؛ ذلك أن الحجج في السلم الحجاجي تنتظم في علاقة تراتبية، تتكئ هذه العلاقة بصورة رئيسة على القوة الحجاجية لتلك الحجج بحيث تفضي إلى نتيجة نهائية ما، أو ما يعرف بالحجة القوية؛ فقوة الحجة في السّلم تزداد باقترابها من النتيجة؛ فكلّما كانت أقرب إلى النتيجة كانت أقوى، وتتعمق بالضرورة فعاليتها التأثيرية، ووقعها في نفس المتلقي[4].

وللسلم الحجاجي ثلاثة قوانين رئيسة، هي: قانون تبديل السّلم، قانون الخفض، و قانون القلب[5].

1-قانون تبديل السلم:

---

(1) التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه: 59.

(2) اللغة والحجاج: 21.

(3) ينر: بلاغة الإقناع في المناظرة: 102.

(4) ينظر: الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالاً، رسالة ماجستير: 75.

(5) ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: 105

ومفاد هذا القانون: إن كان القول دليلاً على مدلول معين، فإنّ نقيض هذا القول دليل على نقيض مدلوله[1]. وبتعبير آخر: إن كان قول ما (أ) قد تم توظيفه من قبل متكلّم ما بغرض تحقيق نتيجة محدّدة، فإنّ نفيه (. أ) بالضرورة سيصب في خدمة النتيجة المضادة لتلك النتيجة[2].

لا غرو البتة أن يجد القارئ في خطب أصحاب الكساء وكلامهم حضوراً كثيفاً للقرآن الكريم، فكثيراً ما يطالع القارئ في تلك الخطب قبساً من آي القرآن الكريم، تتناثر هنا وهناك في جسد النص منها، لتضفي عليه من قدسيتها، وخصوصيتها، وتشكل بؤراً دلالية تتضح بالمعنى، والإيحاء، والتأثير، وتؤدي وظائف متنوعة. ويتنوع هذا الحضور، ويتفاوت بين الاقتباس الحرفي، والاقتباس الذي شهد شيئاً من التغيير ليتواءم مع السّياقات النصية التي وظّف فيها لأغراض متباينة بتباين السّياقات، وما يعنينا هنا هو الاستشهاد بالآية الكريمة بصورتها الحرفية، حيث وظّفت الآيات الكريمات في السّياقات النصية المتنوعة، بوصفها شاهداً يقوي المعنى، ويعطف عليه، ويضاعف طاقته الحجاجية، والدلالية في آن واحدٍ.

من ذلك اخترنا قول السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) في الخطبة الفدكية، إذ تقول: ((فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة،

وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أ رغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ (**بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا**)[الكهف: 50]، (**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ**)[آل عمران: 85][3].

حيث تلجأ السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلى آي القرآن الكريم فتّكثف فيه جليل المعاني وكثيرها، وتفرغ عبرها شيئاً مما يعتمل في صدرها. ومنه قولها: ((فهيهات منكم، وكيف بكم، وأنّى تؤفكون، وكتاب الله بين أظهركم،أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة، وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم، أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ (بِئْسَ

---

(1) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 278.

(2) ينظر: الحجاج في اللغة: 62.

(3) بلاغات النساء: 97-98.

لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا)،(وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ). ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها، ويسلس قيادها، ثم أخذتم تورون وقدتها، وتهيّجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغويّ، وإطفاء أنوار الدين الجلي، وإهماد سنن النّبي الصفيّ، تسرون حسواً في ارتغاء، وتمشون لأهله وولده في الخَمر والضرّاء، ونصبر منكم على مثل حزّ المُدى، ووخز السنان في الحشا، وأنتم تزعمون أن لا إرث لنا! أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون، أفلا تعلمون؟))[1].

إذ اختارت الزهراء (عليها السلام) أن تبين عاقبة أفعالهم التي تنتظرهم عبر قبس من آيات من القرآن الكريم كثفت فيها خلاصة قولها، ومدت كلامها بدفقة شعورية عالية الإيحاء والتأثير.

وهدفها استثمار طاقة الآيات الكريمات في إقناع المخاطب، والتأثير فيه لاتخاذ سلوكيات مقصودة تتمثل بتبني موقفها والدفاع عن حقها في إرث أبيها خاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، ونلاحظ تأكيدها على صلتها به صلى الله عليه وسلم مع أن المخاطبين كانوا يعلمون ذلك، والغاية حجاجية بحتة، إقناعية وتأثيرية بالدرجة الأولى.

إن القول الحجاجي الذي تضمنته الآية الكريمة التي تم الاستشهاد بها في النّص السّابق ينهض على حجج تفضي إلى نتيجة معينة، ويمكننا توضيح تسلسل الحجج في السلم الحجاجي للآية الكريمة (وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) كما يلي:

- ابتغاء غير الإسلام ديناً: الحجة الأولى.
- لا يقبل منه: الحجة الثانية.
- هو في الآخرة من الخاسرين: الحجة الثالثة.
- خسارة الآخرة: النتيجة.

ويمكننا تمثيل تراتبية الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

خسارة الآخرة ن أ –

هو في الآخرة من الخاسرين ح3–

[1] بلاغات النساء: 96-100.

لا يقبل منه ح2 –

ابتغاء غير الإسلام ديناً ح1 –

إذ تمثل (خسارة الآخرة) النتيجة (أ)، النتيجة المضادة لها (– أ) هي (ربح الآخرة)، وتبعاً لقانون تبديل السّلم فإن نفي قول أو حجة من الأقوال أو الحجج التي تصب في صالح النتيجة (أ) سيؤدي بالضرورة إلى نفي النتيجة (أ)

أو بتعبير آخر سيصب في خدمة النتيجة المضادة (– أ):

- ح1: ابتغاء غير الإسلام ديناً ،لذا فالنفي ح1: ابتغاء الإسلام ديناً ن (– أ): ربح الآخرة.
- ح2: لا يقبل منه النفي ح2: يقبل منه ن (– أ): ربح الآخرة.
- ح3: هو في الآخرة من الخاسرين ، نفي ح3: ليس هو في الآخرة من الخاسرين ن (– أ): ربح الآخرة.

إذ تتضد الحجج في السّلالم الحجاجية لتفضي إلى نتيجة عامة ذات طابع شمولي هي (خسارة الآخرة)، وبتطبيق قانون تبديل السلم يفضي نفي الحجج أو المقولات التي تخدم هذه النتيجة إلى خدمة النتيجة المضادة وهي (ربح الآخرة) كما هو موضح أعلاه.

وفي حقيقة الأمر إن الحجاج هو ((نشاط إقناعيّ خطابيّ، يقوم على الاعتقادات والوقائع، ذو كفاية نصيّة وسياقيّة، يشتغل كاستراتيجيّات توظّف العوامل الذاتيّة، والقدرات الخطابيّة، ليحقّق النجاح والفعاليّة))[1]؛ ولذا آثرت الزهراء (عليها السلام) أن توظّف الآية الكريمة لتستثمر طاقاتها الحجاجية الثرية، فحيث أرادات الزهراء (عليها السلام) أن تشير إلى عاقبة الحكم بغير كتاب الله، وهو الموقف الذي تحذر المخاطبين من تبنيه، لجأت إلى استحضار الآية شاهداً، مكثفة عبرها قولاً كثيراً، مضفية على السّياق ألقاً وجاذبية خاصة من جهة، ومزيداً من الطاقات الحجاجية، والإيحائية، والانفعالية تضاف إلى السّياق، مما يضاعف قدرته التأثيرية من جهة أخرى.

ومن أمثلة الطاقات الحجاجية الثرية للشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء نذكر أيضاً قوله تعالى من خطبة للإمام علي (عليه السلام): **(إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ)** [فصلت: 30].

---

[1] النظرية الحجاجية مزن خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية: 170.

إذ يقول الإمام (عليه السلام): ((ألا وإنّ القدر السّابق قد وقع، والقضاء الماضي قد تورّد. وإنّي متكلّم بعدة الله وحجّته، قال الله جلّ ذكره (إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ) وقد قلتم {ربّنا الله} فاستقيموا على كتابه، وعلى منهاج أمره، وعلى الطريقة الصالحة من عبادته، ثم لا تمرقوا منها، ولا تبتدعوا فيها، ولا تخالفوا عنها، فإنّ أهل المروق منقطع بهم عند الله يوم القيامة)) [1].

حيث ضاعفت الآية الكريمة المختارة الدلالة في السّياق، وعمّقت المعنى، وكثفته، فأرخت على جسد النص سجفاً من القداسة والرهبة من جهة، وضخت طاقات حجاجية بوصفها استراتيجية إقناعية توجيهية، موظفة لتحقيق وظائف قبلية مقصودة بعينها من جهة أخرى.

إذ تتابعت الحجج في السّلم الحجاجي في الآية الكريمة الموظفة في النص السابق، وتوالت وفق تراتبية تسلم فيها كلّ حجّة الحجاج إلى الحجّة التي تليها في السلم، لينتهي المطاف إلى نتيجة عامة تنضوي تحتها الحجج، وتؤدي إليها في آن واحدٍ، ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

- الحجة الأولى: الذين قالوا ربنا الله.
- الحجة الثانية: استقاموا.
- الحجة الثالثة: تتنزل عليهم الملائكة.
- الحجة الرابعة: قول الملائكة لهم لا تخافوا ولا تحزنوا.
- الحجة الخامسة: أبشروا بما كنتم توعدون.
- النتيجة: الفوز بالجنة.

ويمكننا تمثيل توالي الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

---

[1] صفوة شروح نهج البلاغة: 416.

الفوز بالجنة: ن(أ)-
أبشروا بما كنتم توعدون: ح5-
قول الملائكة لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا:ح4-
تتنزل عليهم الملائكة: ح3-
استقاموا: ح2-
الذين قالوا ربنا الله:ح1-

ووفقاً لقانون تبديل السلم سيفضي نفي المقولات التابعة لهذا السّلم إلى خدمة النتيجة المضادة (- أ) وهي خسارة الجنة. ويمكننا توضيح ذلك كما يلي:

- ح1: الذين قالوا ربنا الله نفي ح1: الذين لم يقولوا ربنا
- ن(-أ): خسارة الجنة.
- ح2: استقاموا نفي ح2: لم يستقيموا ن (-أ): خسارة الجنة.
- ح3: تتنزل عليهم الملائكة نفي ح3: لا تتنزل عليهم الملائكة

ن(-أ): خسارة الجنة.

- ح4: قول الملائكة لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا نفي ح4: لا تحدثهم الملائكة ولا تطمئنهم = الخوف والحزن على مصيرهم ن(-أ): خسارة الجنة.
- ح5: أبشروا بما كنتم توعدون نفي ح5: لا تبشرهم الملائكة بما كانوا يوعدون = الوعيد والتهديد ن (- أ): خسارة الجنة.

فالهدف المحوري من توظيف الآية الكريمة هو إقناعي حجاجي بالدرجة الأولى؛ حيث تتضافر الطاقة الحجاجية للآية مع السّياق، وتضاعف تأثيره لما تتمتع به الآيات من قدرة تأثيرية عالية، لمنزلتها الرفيعة، ومكانتها الأثيرة في نفس المتلقي، مما يحمله على إصاخة السمع، والانتباه، والاستجابة لما يمليه النّص من مضامين تستهدف التأثير في سلوكيات المتلقي بعد إقناعه؛ لأنّ منبعها في المقام الأول هو القرآن الكريم.

وحيث أدت الآية دورها الحجاجي الإقناعي بعد ترسيخ النتيجة (أ): الفوز بالجنة، والنتيجة المضادة (- أ) خسارة الجنة في حال نفي أحد المقولات والحجج التي أدت إلى النتيجة (أ) عمد الإمام علي (عليه السلام) إلى العطف على مضمون الآية، والتسليم بثبوت الحجة الأولى (قالوا ربنا)، فيطلب منهم متابعة الارتقاء باتجاه النتيجة، وهي الفوز بالجنة، مركزاً على الحجة الثانية وهي الاستقامة (ثم استقاموا): "وقد قلتم {ربّنا الله} فاستقيموا على كتابهِ، وعلى منهاج أمره.." مستهدفاً توجيه القارئ أو المتلقي إلى سلوك معين هو هنا (الاستقامة على كتاب الله عزّ وجلّ، ومنهاج أمره.. الخ)، مستثمراً بذلك طاقات الآية الكريمة الحجاجية، ومستغنياً بما أدته من مهام إقناعية دلالية عن الشرح والتطويل، ويدخل مباشرة بعد مقدمة (وقد قلتم ربنا الله) يترتب عليها بالضرورة حجج تفضي إلى نتيجة، تتلاقى مع نتيجة الآية، وهي الفوز بالجنة ونعيمها لكن بعد تطبيق سلسلة من السّلوكيات المطلوبة والمحددة قبلاً، وتفصلها الخطبة مما لا يتسع المقام لذكره هنا.

2-قانون الخفض:

ينهض قانون الخفض على فكرة مفادها: ((إذا صدق القول في مراتب معينة من السّلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها))[1].

وفي الواقع إن الاستشهاد بالنصوص التي تتمتع بقيمة سلطوية على المخاطب، من مثل المقولات الدينية، وكلمات القادة الخالدين في نظر الجماعة الموجه إليها الخطاب والحجاج تعد بمثابة قوة حجاجية محورية لأي خطاب حجاجي تستحضر فيه تلك القيمة؛ ذلك أن قيمة الشخص أو المقولة التي جرت المصادقة عليها مسبقاً من قبل المتلقي، تمنح الخطاب الموظفة فيه تلك القوة، وتوظف بغية تحقيق نتائج متنوعة برهانية، وتوضيحية. وبصورة عامة يضطلع الاستشهاد بمهمة توضيحية، فيما يضطلع المثل بمهمة برهانية[2].

ومن الآيات التي وظّفت شواهد في سياقات نصية تعود لأصحاب الكساء لأغراض حجاجية إقناعية نذكر الآية الكريمة التي استشهد بها الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله

---

(1) اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 277.

(2) ينظر: الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته: 79.

وسلم) في أحدى خطبه: **(تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ)** [القصص: 83].

إذ جاءت الآية في تلاحم تام مع سياق الخطبة النصي وجوها العام، حيث جاء في الأثر ((فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة – رضي الله عنها – فنظر إلينا، فدمعت عيناه ثم قال: مرحبا بكم، وحياكم الله، وحفظكم الله، آواكم الله، ونصركم الله، رفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفقكم الله، سلّمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، و أستخلفه عليكم، إني نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم: (تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ) [1].

وتفسير قوله تعالى: (تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ)كما تردّد في كتب التفسير ما يلي:

إنّ الله عز وجل يخبرنا أن الدار الآخرة ونعيمها الأبدي الذي لا نهاية له، ولا زوال، قد أعدها سبحانه لعباده المؤمنين المتواضعين الذين (لا يريدون علوا في الأرض) أي: ترفعاً على الناس وتيهاً وكبراً وتعظماً وتجبراً، (ولا فساداً) ولا فساداً فيهم وعملاً بالمعاصي[2].

إذ تتضد الحجج في الآية الكريمة أعلاه بصورة تراتبية على السّلم الحجاجي، بفعل تفاوتها في القوة الحجاجية، لتصب في نهاية المطاف في صالح نتيجة معينة، مقصودة بذاتها هي هنا (الفوز بالدار الآخرة). ويمكننا تمثيل ذلك كما يلي:

- الحجة الأولى: لا يريدون فساداً.
- الحجة الثانية: لا يريدون علواً في الأرض.
- الحجة الثالثة: العاقبة للمتقين.
- النتيجة: الفوز بالدار الآخرة.

ويمكن تمثيل تراتب الحجج على السلم الحجاجي كما يأتي:

الفوز بالدار الآخرة: ن–

(1) خطب الرسول:160.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 260/6.

العاقبة للمتقين:ح3-

لا يريدون فساداً:ح2-

لا يريدون علواً في الأرض:ح1-

فتتعلق القضية عامّة في قانون الخفض بعملية التوجيه الحجاجي، وهو بدوره يعني أن الحجة تتفرد بقيمة معينة بالنسبة إلى النتيجة؛ إذ يمكن للحجة أن تساند النتيجة العامة، كما يمكنها أن تعاندها، وذلك ضمن نسب ومقادير معينة[1].

وبناء على ما سبق إن نقيض الحجة الأولى (ح1: لا يريدون علواً في الأرض): (يريدون علواً في الأرض) يعاند النتيجة (الفوز بالدار الآخرة).

وكذلك نقيض الحجة الثانية: (ح2: لا يريدون فساداً): (يريدون فساداً) يعاند النتيجة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً نذكر الآية الكريمة التي استشهد بها الإمام الحسن (ع) في إحدى خطبه، حيث وظّف شاهداً قرآنيًا لغرض حجاجي، وهو قوله: **(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)** [المائدة: 3].

إذ تتوالى الحجج في الآية الكريمة السابقة، فتسلم الواحدة إلى تاليتها شيئاً من القوة الحجاجية على السّلم الحجاجي، لتفضي إلى نتيجة شاملة تتمتع بقوة حجاجية شديدة الفعالية، تأتت لها من تقنية تراكمية لقوة الحجج الجزئية عبر السلم الحجاجي:

- الحجة الأولى: أكملت لكم دينكم.
- الحجة الثانية: أتممت عليكم نعمتي.
- الحجة الثالثة: رضيت لكم الإسلام دينا.
- النتيجة الأولى: التمام والكمال والنعمة والرضى في الإسلام.
- النتيجة النهائية: الدين المتكامل التام هو الإسلام.

ويمكننا تمثيل تراتب تلك الحجج على السّلم الحجاجي كما يأتي:

الدين المتكامل التام هو الإسلام: ن-

[1] ينظر: الحجاجات اللسانية والمنهجية البنيوية: 95.

التمام والكمال والنعمة والرضى في الإسلام:ن1-
رضيت لكم الإسلام دينا:ح3-
أتممت عليكم نعمتي:ح2-
أكملت لكم دينكم: ح1-

ووفقاً لقانون الخفض في السلم الحجاجي فإن نقيض الأولى يدعمها في عملية التدليل على النتيجة، ولما لم يكن بمقدورنا في هذا المقام ترتيب القول ونفيه على السّلم الحجاجي ذاته لما يفضي إليه ذلك من تناقض، كان قانون الخفض هنا يتمتع بفعالية مضاعفة؛ فإن صح القول (أتممت عليكم نعمتي) على السّلم الحجاجي، فلا يمكننا أن نضع في المرتبة التي تحتها نفي القول (لم أتم عليكم نعمتي)، لعلة التناقض التي سيهوي فيها القول الحجاجي برمته، لذلك نلجأ إلى وضع نقيض القول: (النعمة ليست ناقصة).
يمكن تمثيل ذلك على السلم الحجاجي كما يلي:

الدين المتكامل التام هو الإسلام: ن-
التمام والكمال والنعمة والرضى في الإسلام:ن1-
رضيت لكم الإسلام دينا:ح3-
أتممت عليكم نعمتي:ح2-
النعمة ليست ناقصة-
أكملت لكم دينكم: ح1-

ومن الآيات التي استشهدت بها الزهراء (عليها السلام) نذكر كذلك الآية الكريمة: (**وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ**) [يونس: 54].

حيث تم توظيف الآية من قبل الزهراء (عليها السلام) لغايات حجاجية إقناعية، شأنها شأن كثير من الآيات الأخرى التي وشّت بها الزهراء (عليها السلام) خطبتها في مواضع مختلفة.

والحجاج بصورة عامة يهدف لتغيير موقف أو وضع معين تارة، ويهدف لتدعيم وضع آخر تارة أخرى، و قد يهدف لدفع المخاطب باتجاه معين يتخذ فيه موقف من قضية ما[1].

وفي الآية الكريمة التي تم توظيفها من قبل الزهراء (عليها السلام) تتراتب الحجج في السّلم الحجاجي لتدعم نتيجة رئيسة هي (العدالة الإلهية)، ويمكن تمثيل ذلك كما يلي:

- الحجة الأولى: رأوا العذاب.
- الحجة الثانية: أسرّوا الندامة.
- الحجة الثالثة: قضي بينهم بالقسط.
- الحجة الرابعة: هم لا يظلمون.
- النتيجة: العدالة الإلهية.

ويمكن تمثيل تراتب الحجج على السّلم الحجاجي كما يأتي:

العدالة الإلهية: ن –
هم لايظلمون:ح4–
قضي بينهم بالقسط: ح3–
أسرّوا الندامة: ح2–
رأوا العذاب: ح1–

وبتطبيق قانون الخفض على السّلم الحجاجي السّابق يمكننا أن نجد أن نقيض الحجة الرابعة:(ح4: (قضي بينهم بالقسط) وهو:(لم يقض بينهم بالظلم) حيث صح القول به على السّلم الحجاجي يصح هذا النقيض في الدرجة السّابقة للحجة على السّلم الحجاجي أو أسفل الحجة في السلم، فضلا عن أنه يخدم النتيجة النهائية المقصودة من الوجهة الحجاجية برمتها، وهي هنا: (العدالة الإلهية).

والأمر عينه ينطبق على بقية الحجج المشكلة للسّلم الحجاجي المتجه إلى إثبات العدالة الإلهية، وعدالة القضاء الذي استحق الكفار العذاب بناء عليه،

---

[1] ينظر: مفهوم الحجاج عن بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، بحث:57.

فهم حصدوا نتيجة أعمالهم، وقطفوا ثمار سوء أعمالهم عذاباً وحسرة وندامة:

العدالة الإلهية: ن –
هم لايظلمون:ح4–
قضي بينهم بالقسط: ح3–
ما قضي بينهم بالظلم –
أسرّوا الندامة: ح2–
رأوا العذاب: ح1–

وعلى هذا النحو تجري فاعلية قانون الخفض في السلالم الحجاجية التي تشكلها الآيات الموظفة في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)، فتسهم الحجة في دعم النتيجة، أو معاندتها تبعاً لمكانتها، وقوتها في السّلم الحجاجي.

3–قانون القلب:

يتصل قانون القلب بالنفي، وينهض على فكرة مفادها أنّه إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول ما، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نفسه[1].

وبتعبير آخر إنْ كان لإحدى الحجتين الغلبة من جهة قوتها في عملية التدليل على نتيجة محددة، فإن نقيض الحجة الثانية لابد أن يكون أقوى من نقيض الحجة الأولى في التدليل على النتيجة المضادة[2].

ومن الآيات الكريمات التي وظّفت لأغراض حجاجية إقناعية في كلام أصحاب الكساء، والتي يصلح تطبيق قانون القلب على سلّمها الحجاجي أو فئتها الحجاجية تخيرنا الآية الكريمة التي استشهد بها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم في إحدى خطبه، وهي قوله عزّ

---

(1) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 278.

(2) ينظر: الحجاج في اللغة: 63.

وجلّ: (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)[آل عمران: 85].

حيث جاءت الآية في الخطبة على النحو الآتي: ((بأمرك يا ربّ أقول: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله والعن من أنكره واغضب على من جحد حقّه. اللهم إنّك أنزلت الآية في عليّ وليّك عند تبيين ذلك ونصبك إياه لهذا اليوم (**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا**) [المائدة: 3]، ففرض عليكم لأوليائه حقوقًا وأمركم بأدائها إليهم ، وقلت: (**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**) [آل عمران: 19] ، وقلت(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ)،اللهم إنّي أشهدك أنّي قد بلّغت))[1].

إذ يرتبط قانون القلب بالنفي، والنفي هنا جاء في قوله (لن يقبل منه). فيما كان قوله: (من يبتغ غير الإسلام ديناً) حجة، نهضت في مقابلها الحجة الأخرى، وهي نفي قبول الله تعالى إيمان عبده (لن يقبل منه)، ومن ثَمَّ فالمعادلة الحجاجية تجري على هذا المنوال:

- الحجة 1: ابتغاء دين غير الإسلام.
- الحجة2: نفي قبول الله تعالى إيمان عبده (لن يقبل منه).
- النتيجة ن (أ): الخسارة في الآخرة (وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

انتهت الحجتان إلى نتيجة واحدة، و أفرغت كل منهما محمولاتها الحجاجية دالة على مدلول واحد وهو هنا (الخسارة في الآخرة).

وهذه النتيجة تم التصريح بها في قوله: (وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).

ويمكن تمثيل ذلك كما يأتي:

الخسارة في الآخرة: ن (أ)-
نفي قبول الله تعالى إيمان عبده ح2-
ابتغاء دين غير الإسلام: ح1-

(1) الاحتجاج:1/76.

إن الحجة الثانية (ح2) كانت أقوى في عملية التدليل على المدلول أو النتيجة ن (أ): (الخسارة في الآخرة)، والحجة الأولى (ح1) أقل قوة في التدليل على النتيجة من الحجة الثانية، وتبعاً لقانون القلب سيكون: نقيض الحجة الأولى(ح1) أقوى من نقيض الحجة الثانية (ح2) في التدليل على النتيجة المضادة ن (– أ): (الفوز بالآخرة) أي: (نفي ابتغاء دين غير الإسلام) أقوى من نفي (نفي قبول الله تعالى إيمان عبده) في التدليل على النتيجة المضادة (– أ) ، وهي: (الفوز بالآخرة).

ويمكن تمثيل ذلك كما في الشكل التالي:

الفوز بالآخرة: ن (–أ)–
قبول الله إيمان عبده: ح2–
عدم ابتغاء دين غير الإسلام: ح1–

ومن الاستشهاد بآيات القرآن الكريم نذكر كذلك قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في خطبة الغدير: ((ألا إنَّ أولياءهم المؤمنون الذين وصفهم الله عزَّ وجلّ فقال: **(ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ)** [الأنعام: 82]، ألا إنّ أولياءَهُم الّذينَ آمَنُوا ولم يرتابوا. ألا إنّ أولياءهم الّذينَ يدخلون الجنّة بسلامٍ آمنين، تتلقّاهم الملائكة بالتسليم يقولون: سلامٌ عليكم طِبتم فادخلوها خالدين))[1].

حيث تتماهى الآية الكريمة مع السّياق النصي، وتصب في خدمة وظيفة حجاجية إقناعية، غايتها في المقام الأول توجيه المتلقي نحو تبني موقف محدّد هو الإيمان الصرف الذي لا يخالطه أي شرك أو شك، ذلك أن المؤمنين الخلّص تتلقفهم الملائكة بالترحيب، والتسليم على أبواب جنات النعيم، وهي جائزة تحفيزية، تستميل نفوس المتلقين، وتسهم في زيادة الطاقة الإقناعية للخطاب.

ويخبرنا الطبري نقلاً عن أبي جعفر أن أهل التأويل اختلفوا في الذي أخبر الله عز وجل عنه أنه قال هذا القول (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)، ويذكر أن المقصود في الآية

[1] الاحتجاج: 1/75.

الكريمة فصل القضاء بين إبراهيم (عليه السلام) وبين من حاجه من قومه من أهل الشرك بالله، فيقول تعالى ذكره: الذين صدقوا الله وأخلصوا له العبادة فلم يخالط تلك العبادة والإخلاص ظلما أي: شرك أحق بالأمن[1].

فتقوم الآية الكريمة التي اتكأ عليها الخطاب في حجاجه الذي يستهدف استمالة المتلقي وإقناعه على مجموعة من الحجج، وتؤلّف فئة حجاجية تتوالى فيها الحجج على السّلم الحجاجي تسلم فيها الحجة الحجاج إلى أختها في الدرجة الأعلى من السّلم، وصولاً إلى نتيجة عامة شاملة، وفق ما يأتي:

الحجة الأولى: آمنوا.

الحجة الثانية: لم يلبسوا إيمانهم بظلم.

النتيجة: لهم الأمن والهداية.

ويمكن تمثيل تراتب تلك الحجج على السلم الحجاجي كما يلي:

لهم الأمن والهداية: ن (أ)-
لم يلبسوا إيمانهم بظلم: ح2-
الذين آمنوا:ح1-

إن قانون القلب كما نعلم يتصل بالنفي، و النفي في هذا المقام جاء في قوله تعالى: (لم يلبسوا إيمانهم بظلم).

إذ شكّل قوله جلّ وعلا: (الذين آمنوا) الحجة التي نهضت في مقابلها الحجة الأخرى، وهي نفي التباس إيمانهم بظلم (لم يلبسوا إيمانهم بظلم).

أفضت الحجتان إلى نتيجة واحدة عامة وشاملة، إذ مدّتْ كلّ منهما السّلم الحجاجي بطاقاتها الحجاجية الموجهة للدلالة باتجاه مدلول واحد، وهو هنا (الفوز بالأمن والهداية)، وهذه النتيجة جاءت صراحة في قوله تعالى: (لهم الأمن وهم مهتدون).

---

[1] ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 493/11.

وبتطبيق قانون القلب على السّلم الحجاجي أو الفئة الحجاجية التي تُشكّلُها الآية الكريمة سنجد أنّ الحجة الثانية (ح2) كانت أقوى في عملية التدليل على المدلول أو النتيجة ن (أ): (لهم الأمن والهداية)، والحجة الأولى (ح)1 أقل قوة في التدليل على النتيجة من الحجة الثانية، وتبعاً لقانون القلب سيكون: نقيض الحجة الأولى(ح1) أقوى من نقيض الحجة الثانية (ح2) في التدليل على النتيجة المضادة ن (– أ): (خسارة الأمن والهداية) أي: (نفي الإيمان) أقوى من نفي (لم يلبسوا إيمانهم بظلم) في التدليل على النتيجة المضادة (– أ) وهي: (خسارة الأمن والهداية).

وبناء على ما سبق يمكننا القول إن ثمة سلماً حجاجياً ينهض مقابل السلم الحجاجي الأول الذي أفضى إلى النتيجة (أ) نستطيع استنباطه من السلم الأول، ويؤدي هذا السلم إلى النتيجة المضادة للنتيجة الأولى (– أ)؛ كما يلي:

- الحجة الأولى: الذين آمنوا.
- نفي الحجة الأولى: عدم الإيمان.
- الحجة الثانية: لم يلبسوا إيمانهم بظلم.
- نفي الحجة الثانية: التباس إيمانهم بظلم.
- النتيجة(أ): لهم الأمن والهداية.
- النتيجة المضادة (–أ): خسارة الأمن والهداية.

ويمكن تمثيل ذلك كما في الشكل التالي:

خسارة الأمن والهداية: ن (–أ)–
التباس إيمانهم بظلم: ح2–
عدم الإيمان:ح1–

حيث يصبّ هذا الحجاج في نهاية المطاف في خدمة السّياق النصي الذي تم توظيفه فيه، فيضاف إلى قوته الإقناعية المنطقية والمكانة المرجعية المتفردة والعالية لمصدره عند المتلقي، وموقعه الأثير في نفسه، وهو هنا القرآن الكريم، حيث تضاعفت هذه المكانة، والتأثير العالي القبلي لمصدر الشاهد في المتلقي القدرة الحجاجية الإقناعية للخطاب، وتسهل مهمته في توجيه المخاطب نحو سلوكيات معينة محددة مسبقاً.

وعلى هذا النحو كانت فاعلية الحجاج للشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء متمثلة بأحد تقنياته وأبرز آلياته وهو السّلم الحجاجي.

الفصل الثاني

أفعال الكلام ومستوياتها الحجاجية في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

- توطئة :
- المبحث الأول : الأفعال الانجازية التصريحية .
- المبحث الثاني: الاضمار والاقتضاء .

الفصل الثاني

أفعال الكلام ومستوياتها الحجاجية في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

توطئة:

تضافرت الطاقة الحجاجية لأفعال الكلام لتوافق بين الشاهد القرآني والسياق النصي لكلام أصحاب الكساء (عليهم السلام) إذ يلحظ أنَّ الشاهد القرآني اختير بعناية ودقة ليؤدي وظائف مهمة مستحضرا ظلاله القدسية التي ضاعفت من القدرة التأثيرية للكلام، الأمر الذي أسهم في اتساع الأفق الرحب لفهم المتلقي بعد إقحامه في عملية إنتاج المعنى والبحث عن الدلالة وتوجيه الإحالات وربطها بمرجعياتها ، إذ تم ذلك عبر أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة فشكل بؤرة دلالية تأثيرية إقناعية ساعدت في انقياد الوجهة الحجاجية على مستوى الشاهد القرآني والكلام الذي وظف فيه هذا الشاهد وهذا ما تناولته الدراسة عبر مباحث هذا الفصل .

المبحث الأول

الأفعال الأنجازية التصريحية:

شهدت هذه النظرية فجرها الأول على يد فنغشتاين، وتبناها بعده جون اوستن وخلفه جون سيرل، تتناول هذه النظرية مقاصد المتكلم ونواياه؛ إذ يحدد المقصد هدف المرسل من خلال سلسلة من الأفعال اللغوية التي ينطق بها، الأمر الذي يتيح للمتلقي فهم مضمون الخطاب، وعليه يكون توفر القصد والنية أحد الشروط الرئيسة المطلوبة لنجاح الفعل اللغوي حتى يتسنى له أن يصبح متحققاً ويحمل دلالة على معنى ما[1].

يؤكد أوستن أنّ اللغة ليست محض ((أداة للإخبار والوصف، بل هي وسيط لبناء الواقع والتأثير فيه وتحويله))[2].

وتصنف أفعال الكلام وفقاً للنظرية الآنفة الذكر إلى[3]:

1-أفعال الإثبات (Assertifs):

وتعمل هذه الأفعال على إقحام في حقيقة القضايا المعبر عنها، وعليه يكون المتكلم المسؤول عن وضع الأشياء، مثال ذلك: التأكيد، والوصف، والتحديد.

2-أفعال التوجيه (Directifs):

وتتمحور وجهة الإنجاز في هذه الأفعال حول دفع المتلقي إلى الانصياع إلى المحتوى المضموني لكلام المرسل، مثال ذلك: الاقتراح، الأمر، أو الدعوة للقيام بفعل ما.

3-أفعال الالتزام:(Promossifs)

وفي هذه الأفعال تكون وجهة الإنجاز إقحام المتكلم في أفعال مستقبلية، مثال ذلك: الوعد، والعقد.

4-أفعال التعبير:(Expressifs)

وتتصل هذه الأفعال بالتعبير عن الحالات النفسية الخاصة، وفق شروط الإخلاص، مثال ذلك: الشكر، الاعتذار، التهنئة والترحيب.

---

(1) ينظر: نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية: 170.

(2) الحوار ومنهجية التفكير النقدي: 123.

(3) ينظر: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش: 66.

5-أفعال الإعلان:(Déclarations)

وتهدف هذه الأفعال لغايتها وهي إحداث تغييرات وتعديلات في العالم الخارجي.

الأفعال الإنجازية التصريحية:

يؤكد أوستين أن للمنطوقات الإنجازية أو الإنشائية صفة العبارات الإخبارية، بيد أننا لا نستطيع إخضاعها لمعيار الصدق أو الكذب، وعليه يكون الحكم عليها تبعاً لدرجة ملاءمتها أو مخالفتها لربقة من الشروط التي من شأنها أن تضمن لها النجاح والتوفيق، أو الإخفاق، أو استجابتها لمقتضى الحال في المقام الأول[1]. والشروط الجوهرية إنما تتعلق بالهدف التواصلي من فعل الكلام؛ إذ يعمل على قيادة الوجهة نحو الالتزام بما يقتضيه فعل الكلام، وهذا يتحقق عبر محاولات التأثير في المتلقي، بغرض دفعه إلى القيام بالفعل، وإنجازه حقيقةً، وعليه يصبح الشرط الجوهري هو ما يحدد مقاصد المتكلم، والكيفية التي يتم من خلالها تنفيذ تلك المقاصد بفضل المواضعات اللغوية[2].

ويوضح أوستن أن ثمة جانبين للأقوال التي ننتجها في حياتنا اليومية[3]:

1-جانب نطقي لغوي: الفعل التكلمي.

2-جانب فعلي إنجازي: هو الفعل التكليمي.

في هذه الأقوال جميعها يكون القول مقترناً بالفعل، فتتجاوز الأقوال هنا محض رغبة في جعل الأفعال قرينة الكلام إلى كونها مجهوداً حقيقياً يتغيأ التصدي لمهمة التطابق المفترض بين هذين الطرفين، وعليه تكون مهمة اللغة أداء المعنى بإنجاز أفعال كلامية، وليس محض إخبار عن واقع أو وصف له.

يميز أوستين بين نوعين من التلفظات الكلامية:

1-العبارات التقريرية الوصفية:

وهي العبارات التي توصف بالعبارات الخبرية.

---

(1) ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: 44.

(2) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني: 34.

(3) ينظر: نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين أسسها وحدودها الفلسفية: 17-20.

2-العبارات الأنجازية:

وهي العبارات التي تعرف بالعبارات الإنشائية التي تدل على إنجاز فعل سلوكي أو حدث إنجازي معين.

لقد وجد أوستن في العقود والالتزامات والوثائق القانونية في نطاق القانون، الصيغة النموذجية لإنجاز الالتزامات من خلال صيغ لغوية إنشائية محددة،وخير مثال ميداني يطبق نظريته في أفعال الكلام.

والجدير ذكره في هذا المقام أن هذه الأفعال خاضعة لشرط التغير بما يقتضيه السياق ومقاصد المخاطب، وهذه السمة أكثر تجلياً في العبارات الإنشائية.

1-الاستفهام:

إنَّ الاستفهام في الاستعمال الاصطلاحي يعني ((الاستخبار، والاستخبار هو طلب من المخاطب أن يخبرك))[1].

من حضور الاستفهام في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء اخترنا قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من إحدى خطبه وهي من أواخر كلامه (عليه الصلاة والسلام) إذ يقول فيها: ((مرحبا بكم، وحياكم الله، حفظكم الله، آواكم الله، ونصركم الله، رفعكم الله، هداكم الله، رزقكم الله، وفقكم الله، سلمكم الله، قبلكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصى الله بكم، واستخلفه عليكم، إني لكم نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم **(تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًاۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)** [القصص: 83]، وقال: **(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)**[الزمر: 60]))[2].

وتفسير الآية الكريمة موطن الشاهد:

---

[1] دلائل الإعجاز: 140.

[2] جمهرة خطب الرسول: 160.

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: (أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)أليس في جهنم مأوى ومسكن لكل من تكبر على الله عز وجل، فأبى توحيده، والدخول في طاعته عز وجل، والإذعان إلى سلطانه بتنفيذ أوامره، والإبتعاد عن نواهيه[1].

إنّ الاستفهام في الآية الكريمة يمكننا تصنيفه في أفعال الكلام التي تندرج تحت غرض الوعيد والترهيب أو ما يعرف بالملزمات والتي: ((تعبر عما ينويه المتكلم من وعود وتهديدات وتعهدات))[2].

ويخبر المتلقي بها، والشرط الرئيس في هذا النوع من الأفعال الكلامية أي الوعديات هو ((قدرة المتكلم على أداء ما يلزم نفسه به))[3].

وإنما ذهبنا إلى هذا القول بشأن الاستفهام في الآية الكريمة انطلاقاً من نقطة جوهرية تتعلق بعمليات تقسيم أفعال الكلام وتصنيفها وهي أن ((التقسيم قائم على أساس الوظيفة التي يؤديها المنطوق لا على أساس النواحي الشكلية))[4].

إن أسلوب الاستفهام في الآية الكريمة قد انزاح عن دلالته الوضعية التقليدية المتعارف عليها في النظام النحوي للغة العربية؛ بتعبير آخر خرج الاستفهام عن الاستخبار، فالخطاب الإلهي لا يطلب من المتلقي جواباً عن سؤاله (أليس في جهنم مثوى للمتكبرين) فالله جل وعلا يعلم الإجابة قبلاً، ولا يطلب من المتلقي أن يخبره، بل انزاح الاستفهام نحو وجهة إنجازية تنضوي تحت الوعديات، فالاستفهام في هذا المقام يؤدي معنى التهديد والوعيد في حقل القصد الدلالي الأعم وهو الترهيب.

إن فعل الوعيد في هذا المقام يتصل بدلالة التحذير من التكبر، والترهيب من مصيره، ومآله المحتم وهو جهنم. وفيما يخص إمكانية المتكلم إنجاز مضمون وعده، والالتزام بتنفيذ الفعل المزمع تجاه المتكلم، وهو إلقاء المتكبرين في جهنم، لتكون نزلهم خالدين فيها، فلاريب هنا البتة في قدرة المتكلم وهو الله عز وجل على تنفيذ وعيده، والالتزام به.

---

[1] ينظر: تفسير الطبري: 319/21.

[2] التداولية، ترجمة: قصي العتابي: 90.

[3] نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى- ، ترجمة: سعيد الغانمي: 41.

[4] علم اللغة الاجتماعي: 325.

إن الفعل اللغوي وهو الاستفهام قد انزاح كليّاً عن دلالته الوضعية الأصلية، بتعبير آخر جيء بالاستفهام ليدل على معنى غير مباشر يبينه السياق النصي، وهو هنا الوعيد والترهيب من جهة، والتقرير، من جهة أخرى.

نحن نعلم أن الاستفهام في صيغته اللغوية يحمل طلب إجابة من المتكلم، وبما أن الفعل صب في قالب الاستفهام سيفكر المتلقي مليّاً في الإجابة، وسيتوصل إلى أن ثمة متسعاً في جهنم للمتكبرين والآثمين جميعاً، وعليه أدى الفعل الإنجازي وظيفتين مضاعفة الأولى، تكمن في التهديد والترهيب، والثانية تكمن في حمل المخاطب على الإقرار بمضمون الفعل الإنجازي المضاد للنفي الظاهر، ليترسخ المعنى في ذهنه أنّه بلى ثمة مثوى للمتكبرين في جهنم، ويتأمل مضمون الفعل الإنجازي مليّاً.

اختار الخطاب الإلهي في الآية الكريمة الاستفهام قالباً لغوياً ليصب فيه فعل الوعيد، وهو أحد أبرز الصيغ المتنوعة التي اعتمدها الخطاب الإلهي ليضمنها معنى الوعيد والتهديد، والتخويف التي تدخل في إطار الترهيب، والغاية العليا من جملة المقاصد الدلالية للخطاب الإلهي هنا هي ترسيخ معنى الترهيب من التكبر، ودفع المتلقي إلى تبني نمط سلوكي مختلف حتى يتجنب السقوط في هوة العقوبة المعدة للمتكبرين التي عبر عنها الخطاب الإلهي في الآية الكريمة في قالب الوعديات وهي جهنم.

يمكننا توضيح مكونات الفعل الإنجازي ومقصده الحجاجي في الشاهد القرآني المذكور على النحو الاتي:

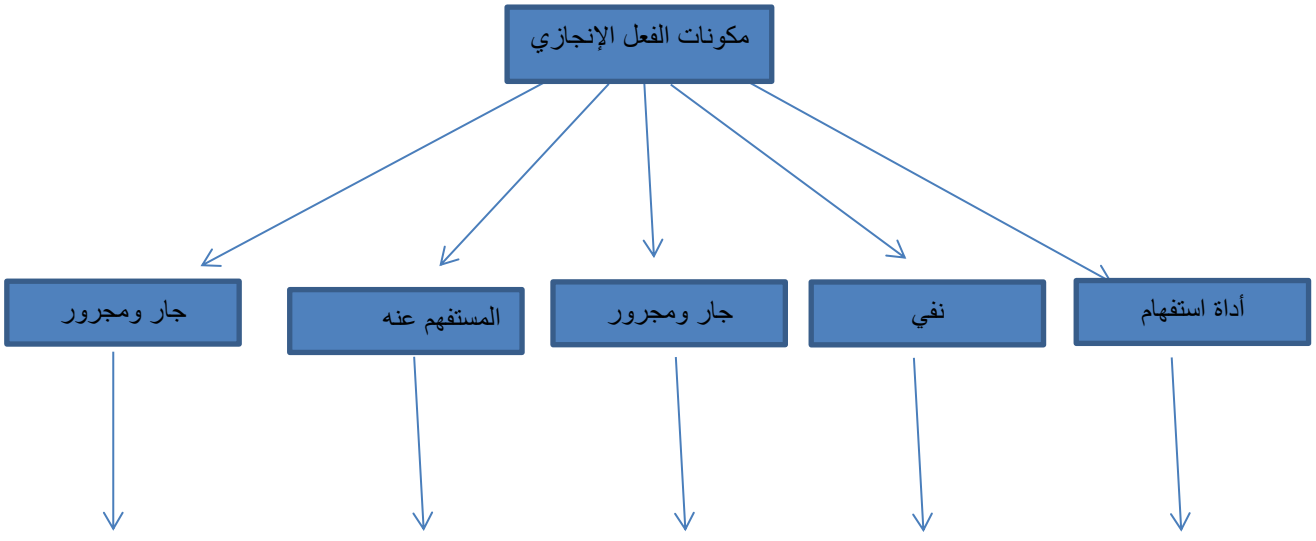

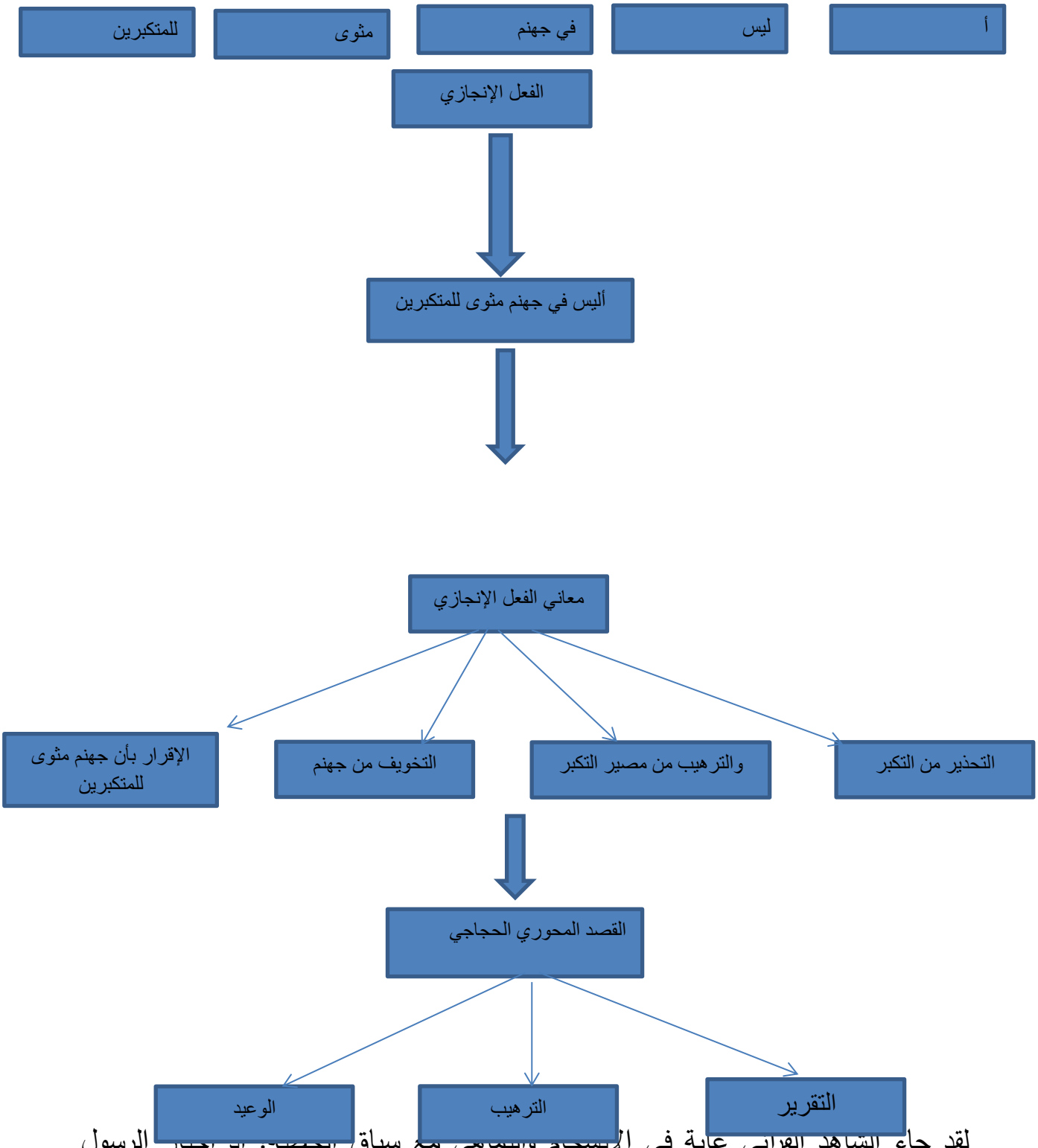

لقد جاء الشاهد القرآني غاية في الانسجام والتلاؤم مع سياق الخطاب، إذ اختار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم موضعه الأنسب من السياق، ليتضاعف بذلك التأثير في المتلقي،

والقدرة على استمالته، وذلك عبر توظيف الشاهد القرآني الأكثر مواءمة مع المقاصد الدلالية والسياق والغرض العام للخطبة، ليفرغ طاقاته الحجاجية في فضاء الخطبة النصي، وباختيار الاستفهام صيغة للفعل الإنجازي يقحم المتلقي في عملية إنتاج المعنى في النص القرآني والخطبة، وهذا أدعى للتأثير فيه، وحمله إلى الانصياع، والخضوع، والاستجابة.

كان الحجاج في سياق الخطبة النصي على النحو الآتي:

الحجة1: الرسول (ص) نذير للناس (إني لكم نذير مبين)

الحجة2: وجوب التواضع (أن لاتعلوا على الله في عباده وبلاده،)

الحجة 3: الدار الآخرة للمتواضعين المصلحين في الأرض (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا)

الحجة4: (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)

النتيجة1: في جهنم نزل للمتكبرين (لَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)

النتيجة: النهي عن التكبر لسوء مآله.

توالت الحجج في سياق الخطبة باتجاه النتيجة وفق الآتي:

الرسول (ص) نذير للناس (إني لكم نذير مبين) ← وجوب التواضع (أن لاتعلوا على الله في عباده وبلاده، ← الدار الآخرة للمتواضعين المصلحين في الأرض(تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا) ← (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) ←

في جهنم مسكن للمتكبرين(أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ)

← النهي عن التكبر لسوء مآله.

إنّ اقتران الفعل الإنجازي التوجيهي بأدوات لتقوية الفعل الإنجازي يضاعف قدرته التأثيرية، فيصبح ميكانيزماً فعالاً في قيادة الوجهة الحجاجية نحو النتيجة، ودفع المتلقي إلى الاقتناع بمضمون الخطاب، والإذعان لمطالب المتكلم.

2-الأمر:

إنَّ الأمر في الاستعمال الاصطلاحي يعرفه البلاغيون والنحويون بأنَّه: طلب الفعل على وجه الاستعلاء[1].

وأسلوب الأمر الصريح أحد أركان الاستراتيجيات التوجيهية الرئيسة، وهي استراتيجيات تتمثّل بآليات صريحة غالباً، تعمل على توجيه المرسل للمرسل إليه في وجهة معينة مقصودة قبلاً[2].

ونحن نعلم أنّ أسلوب الطلب من (الأمر والنهي) يتضمن حمل المخاطب على أداء المطلوب، كما يشتمل على معنى التنبيه إلى سرعة الامتثال[3].

من الشواهد القرآنية التي تضمنت أفعالاً إنجازية بصيغة الأمر اخترنا قوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّة) [الأنفال: 60] من كلام للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّة) ، ألا إنَّ القوة الرّمْيُ، ألا إنَّ القوة الرمى، ألا إنَّ القوة الرمى، ألا إن الله سيفتح لكم الأرض، وستكفون المؤنة، فلا يعجزنّ أحدكم أن يلهو بِأسهمه))[4].

وفي تفسير الشاهد القرآني يقول الطبري: في قوله تعالى: (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّة) يقول تعالى ذكره يا أيها المؤمنون (وأعدوا) لهؤلاء الذين كفروا بالله خالقهم جل وعلا، والذين بينكم وبينه عهد حذر خيانتهم وغدرهم (ما استطعتم من قوة) ما تطيقون من عدة وعتاد تكون لكم قوة عليهم من سلاح وخيل[5].

اختار الخطاب القرآني للفعل الإنجازي صيغة الأمر الذي يُعد من الأفعال التي تنضوي تحت زمرة التوجيهيات التي تمتاز بالوضوح والمباشرة في التعبير، وغرضها الإنجازي توجيه المتلقي إلى الفعل، والتأثير فيه[6]، لضمان استجابته، وانصياعه للأوامر المتضمنة في الفعل الكلامي أو محتوى الرسالة المضموني.

---

(1) ينظر: جامع الأمهات مختصر ابن حاجب: 77.

(2) ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 34.

(3) ينظر: أساليب المعاني في القرآن: 41.

(4) جمهرة خطب الرسول: 122.

(5) ينظر: تفسير الطبري: 32/14.

(6) ينظر: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسف اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: 32.

إنَّ المحتوى القضوي للفعل الإنجازي يتمحور حول توجيه المخاطب (المؤمنون) إلى تبني سلوك محدد هو هنا التأهب للقتال، والتسلح بالعدة والعتاد(ما استطعتم من قوة) والعمل على توفير أسباب القوة المتنوعة التي تضمن النصر على الأعداء، ومضمون الكلام هذا يؤدي إلى معنى دلالي في مستوى آخر يفيد أنَّ العدو الذي تمت مهادنته قد ينكث عهوده في أية لحظة، وأنَّ احتمالية الغدر ماتزال ممكنة، وعليه يتخذ الفعل بعداً إنجازياً آخر هو البعد التحذيري، أي التحذير من خيانة العدو للعهد وغدره، ووجوب التأهب لمثل هذا الاحتمال.

يتفرع الفعل الكلامي في الآية الكريمة إلى:

- فعل كلامي مباشر.
- فعل كلامي غير مباشر متضمن في المتلفظ به.

ويمكننا تمثيل ذلك على النحو التالي:

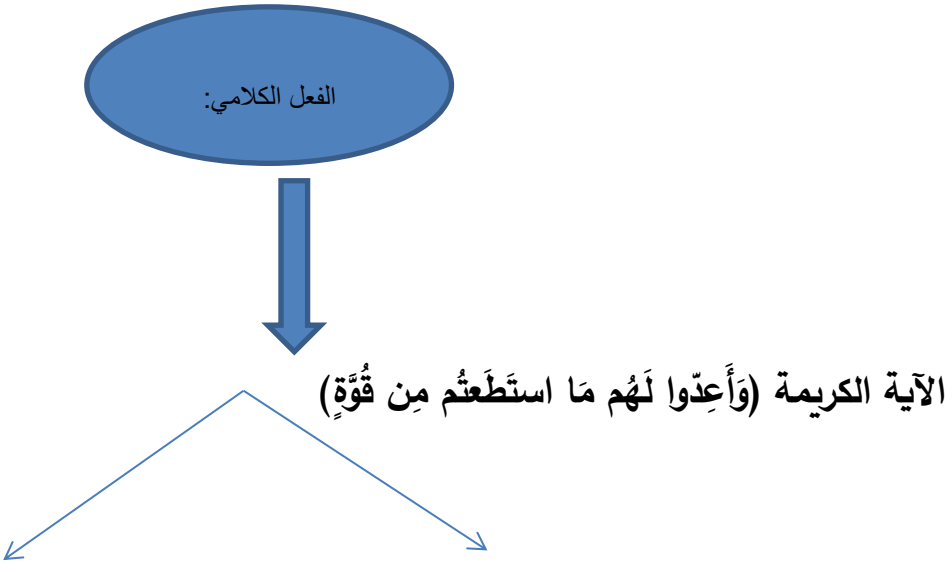

لقد تماهى الشاهد القرآني مع السياق النصي للخطبة، وتعانقت الطاقة الحجاجية لأفعال الكلام على مستويين؛ الآية الكريمة، والسياق النصي للخطبة. وبشيء من التأمل نلحظ أن الشاهد اختير له موقعه بدقة ليصبح جزءاً من السياق النصي للخطبة، ويندمج معه ليؤدي وظائف مهمة فيما يتعلق بدلالة الخطبة، حيث يتمم كلام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المحتوى القضوي للفعل الإنجازي بعدما اقتطف الشاهد من موطنه الأصلي وهو القرآن الكريم، مستحضراً معه ظلاله القدسية التي تضاعف القدرة التأثيرية للكلام.

وفي الواقع كثيراً ما يقترن الفعل الإنجازي بأدوات تعمل على تقوية الغرض الإنجازي للفعل الكلامي، و من ذلك على سبيل المثال لا الحصر: ذكر العواقب المترتبة على الفعل، أو جعل الفعل مقترناً بالوعد والوعيد، أو مدح الفاعل في الأمر، أو التنويه إلى ما يتوقف عليه الأمر المراد إنجازه[1].

إنَّ تلك الأدوات موجودة في السياق الأصلي للآية الكريمة حيث يوضح الخطاب الإلهي النتائج المترتبة على الانصياع: **(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ)**[الأنفال: 60].

فالاستجابة للفعل الإنجازي في النص القرآني يترتب عليها نتائج إيجابية، على مستوى دنيوي، وعلى مستوى الآخرة:**(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ)**

---

[1] استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 338.

- إرهاب العدو الواضح المعلن وغير المعلن الذي يعلمه الله تعالى(**تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**).
- الإنفاق في سبيل الله هو بمثابة دين يوفه الله عز وجل: (**وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ**)
- فالله تعالى لايظلم أحداً وخاصة المؤمنين الذين أنفقوا في سبيله: (**وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**))

اقتطعت الآية الكريمة :(**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**) من سياقها النصي الأصل، وزرعت في سياق نصي جديد هو نص الخطبة، مع الاحتفاظ باقترانها بالأدوات التي تقوي الإنجازية بيد أن ثمة تغيرات طرأت على النتائج:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ):

التمرين على القتال والاستعدادله قوة: ألا إن القوة الرّمْيُ).

- تكرار الصيغة من باب التوكيد:(ألا إنَّ القوة الرمى).
- تكرار الصيغة مضاعفة للأهمية:(ألا إنَّ القوة الرمى).
- فتح الأرض للمؤمنين ونصرهم: (ألا أنَّ الله سيفتح لكم الأرض).
- كفاية المؤمنين حاجياتهم:(وستكفون المؤنة).

وفي الخطابين (الآية الكريمة والخطبة) الفعل الإنجازي مقترن بأدوات تحفيزية تقوي الغرض الإنجازي، وتحفز المتلقي على الاستجابة:

وهكذا تتوالى الحجج باتجاه النتيجة لتأخذ بيد المتلقي وترتقي وإياه السلم الحجاجي في رحلته نحو القبض على الدلالة،ثم التفكير بها ملياً، ثم الاقتناع،والتثر، وتبني السلوك المطلوب الذي يتضمنه الخطاب.

3-النداء :

إنّ النداء في عرف البلاغيين واللغويين يُعّرفُ بأنه طلب الإقبال باستخدام أدوات النداء يا و أخواتها[1].

---

[1] ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: 166/1.

وبعض أدوات النداء اختص بنداء القريب وبعضها الآخر اختص بنداء البعيد؛ فالهمزة وأي للقريب، وباقي الأدوات للبعيد، بيد أنّ النداء يمكن أن يكون تبادلياً أو ينزاح عن المعنى المتواضع عليه في العرف اللغوي ويؤدي معاني متنوعة يحددها[1].

من أمثلة الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء والتي جاء فيها فعل كلامي إنجازي بصيغة النداء اخترنا قوله جل وعلا:(**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا**)[النساء: 1]. وقد جاءت الآية الكريمة في كلام للرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) يقول فيها: ((إن الحمد لله نستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله:(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا))) [2].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: :(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) إذ يقول جلَّ وعلا آمراً عباده بالتقوى، وعبادته وحده لا شريك له، مشيراً إلى قدرته على الخلق حيث خلق الناس من نفس واحدة هي آدم (عليه السلام)(وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا)وهي حواء (عليها السلام)، خلقها جل وعلا من ضلع آدم الأيسر حين كان غارقاً في النوم، ولما استيقظ رآها فأنس بها (وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ) وذرأ من آدم وحواء خلقاً كثيراً، رجالاً ونساء، وانتشروا في بقاع الأرض باختلاف هيئاتهم ولغاتهم وصفاتهم (وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ) اتقوا الله الذي به تتعاقدون وتتعاهدون وذلك بطاعته والامتثال

---

(1) ينظر: مفتاح العلوم: 138.

(2) جمهرة حطب الرسول: 35.

لأوامره، واتقوا الأرحام ببرها ووصلها (إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا) فالله جل وعلا مراقب لكل ما تصنعون في حيواتكم أعمالكم وأحوالكم كلها[1].

لقد جاء النداء في قوله تعالى محفزاً للمتلقي، ووظف بوصفه وسيلة لتوصيل جملة التوجيهات، فبعد تحفيز المتلقي، وتنبيهه يأتي الأمر(ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ) والأمر يدل على طلب في الحال، وبغية تقوية النداء عمد الخطاب الإلهي إلى توظيف أسلوب الالتفات لتوجيه الأفئدة والألباب باتجاه التلقي، فاستخدم (يا) لنداء البعيد بغرض العناية بأمر المدعو له، وقدم التنبيه على فعل الخلق رغم تأخره في الزمن[2].

إن الفعل الكلامي في الشاهد القرآني المذكور يتألف من:النداء، و التنبيه، و التأكيد، والمدعو له، والأمر، والتذكير، ويمكننا توضيح ذلك فيما يأتي:

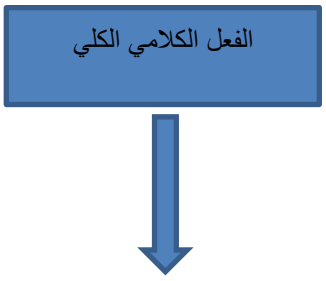

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)

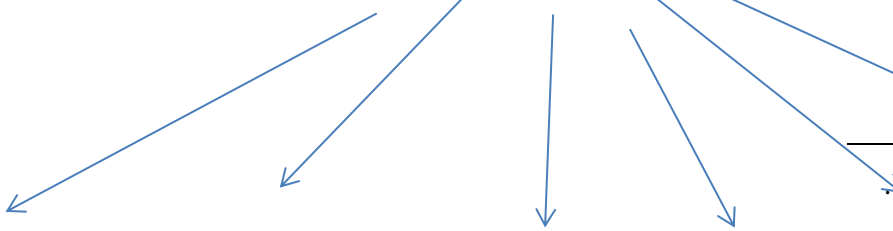

(1) ينظر: تفسير ابن كثير: 206/2.

(2) ينظر: روح المعاني: 266/1.

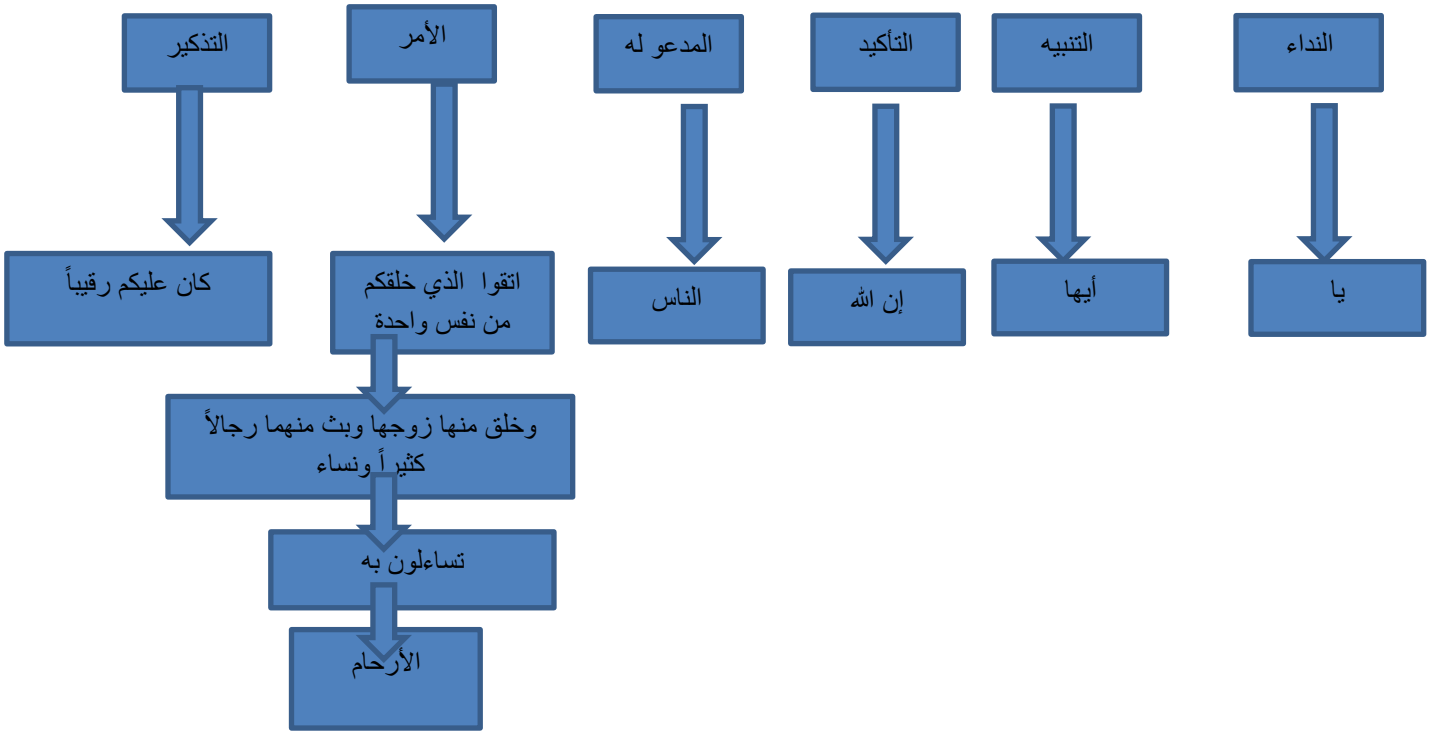

ويتكون هذا الفعل الكلامي الكلي بدوره من فعل مباشر وآخر غير مباشر:

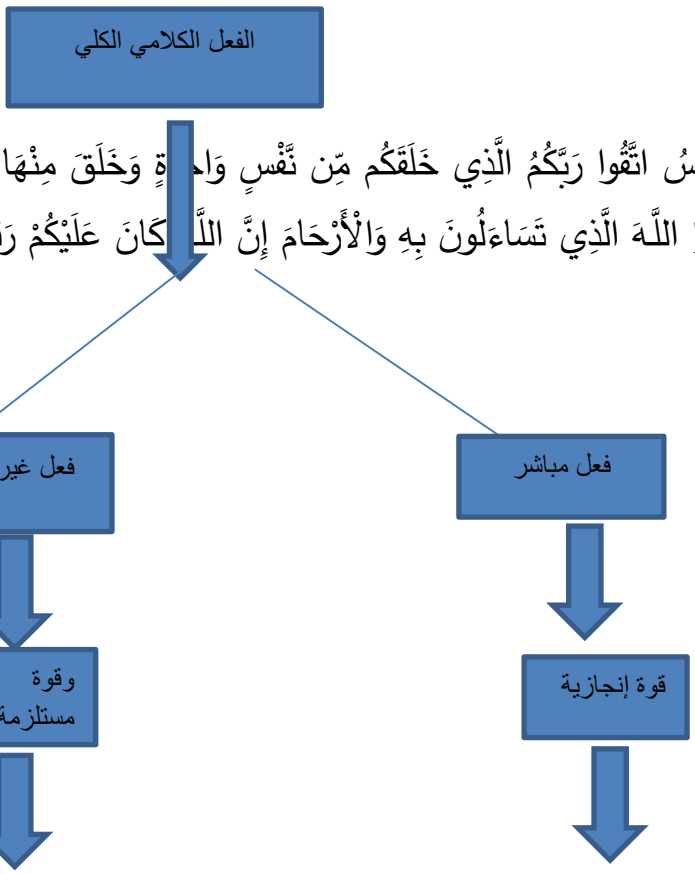

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)

ومعنى صريح

ومعنى ضمني

القوة التأثيرية للفعل الكلي في الشاهد القرآني تشكلت من:

- التذكير: فعل كلامي مباشر وتضمنه قوله تعالى (خلقكم من نفس واحدة) + (خلق منها زوجها)+ (بث منهما رجالاً كثيراً ونساء).
- التأكيد: فعل كلامي مباشر متضمن في قوله (إن الله كان عليكم رقيباً) حيث يؤكد الله عز وجل مضمون الفعل الكلامي.

وبتكرار الفعل اتقوا في موضعين من الآية الكريمة (اتقوا ربكم) و (واتقوا الله).

- الإخبار: فعل كلامي مباشر وتضمنه قوله تعالى: (الله الذي تساءلون به والأرحام).
- التحذير: فعل كلامي غير مباشر تضمنه قوله تعالى(إن الله كان عليكم رقيباً)، والفعل الكلامي هنا موجه إلى عموم الناس. ويتضمنه أيضاً قوله عز وجل (اتقوا ربكم) و (اتقوا الله).

ويمكننا تمثيل ذلك على النحو الآتي:

الفعل الكلامي الكلي

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)

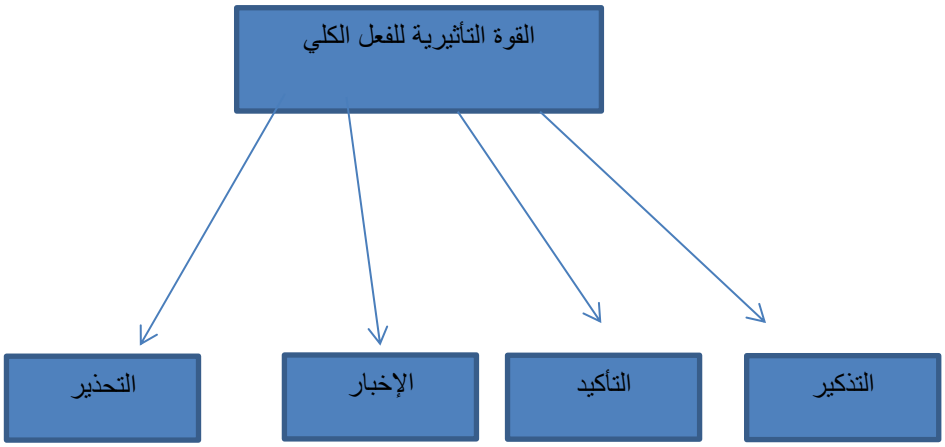

ويمكننا توضيح تموضع الفعل الإنجازي في الحجاج على مستوى الشاهد القرآني وعلى مستوى الخطبة كما يأتي:

الحجة 1: الحمد لله (إن الحمد لله).

الحجة2: الاستعانة بالله(نستعينه).

الحجة3: استغفار الله من الذنوب (ونستغفره).

الحجة 4: الاستعاذة بالله من الشرور(ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا).

الحجة5: الهداية مشيئة الله تعالى (من يهده الله فلا مضلّ له).

الحجة 6: الضلالة مشيئة الله تعالى(ومن يضلل فلا هادي له).

الحجة7: الإقرار بوحدانية الله سبحانه(وأشهد أن لا له إلا الله وحده لاشريك له).

الحجة8: الإقرار برسالة محمد صلى الله عليه واله وسلم (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله).

الحجة 9: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا)**

النتيجة1: الله تعالى خلقنا جميعاً من نفس واحدة.

النتيجة2:اتقاء الخالق جل وعلا.

النتيجة2: مراقبة الله لخلقه.

النتيجة 3: التسليم بوحدانية الله سبحانه وتنزيهه عن الشرك.

النتيجة الكبرى: استحقاق الله تعالى للعبادة والطاعة والتقوى إيماناً وخشيةً(الّا ليعبدون).

وقد تتالت الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

الحمد لله (إن الحمد لله). ← الاستعانة بالله(نستعينه). ← استغفار الله من

الذنوب (ونستغفره). ← الاستعاذة بالله من الشرور (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا). ← الهداية مشيئة الله تعالى (من يهده الله فلا مضلّ له).

الضلالة مشيئة الله تعالى(ومن يضلل فلا هادي له). ← الإقرار بوحدانية الله سبحانه(وأشهد أن لا له إلا الله وحده لاشريك له). ← الإقرار برسالة محمد صلى الله

عليه وآله وسلم (وأشهد أن محمداً عبده ورسوله). ← (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم)

مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}. ← الله تعالى خلقنا جميعاً من نفس واحدة.

اتقاء الخالق جل وعلا. ← مراقبة الله لخلقه. ← التسليم بوحدانية الله

سبحانه وتنزيهه عن الشرك. ← استحقاق الله تعالى للعبادة والطاعة والتقوى إيماناً وخشيةً.

لقد ساهم الفعل الإنجازي في قيادة الوجهة الحجاجية للشاهد القرآني، ونص الخطبة الموظف فيه الشاهد القرآني الذي تماهى بدوره مع السياق النصي للخطبة، وتفاعل الحجاج فيه مع الحجاج في الخطبة ليؤدي وظيفة مضاعفة فيما يخص التأثير في المتلقي وإقناعه، ودفعه إلى تبني سلوك محدد.

4-النهي:

إن النهي في الاستعمال الاصطلاحي هو: طلب ترك الفعل على وجه الاستعلاء[1].
والنهي قول ينبئ عن المنع عن الفعل من جهة الاستعلاء[2].

وأسلوب النهي في القرآن الكريم شأنه شأن أسلوب الأمر هو من الاستراتيجيات التوجيهية الرئيسة التي يتكئ إليها الخطاب في عملية توجيه المرسل للمرسل إليه، ويحضر بدوره في سياقات متنوعة من الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء (عليهم السلام)، ومن ذلك اخترنا قوله تعالى: **(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)** [آل عمران: 102] من كلام الزهراء (عليها السلام) تقول فيها: ((فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك. والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر. والزكاة تزكية للنفس ونماء للرزق. والصيام تثبيتاً للإخلاص. والحج تشييداً للدين. والعدل تنسيقاً للقلوب. وإطاعتنا نظاماً للملة. وإمامتنا أماناً للفرقة. والجهاد عزاً للإسلام. والصبر معونة على استيجاب الأجر. والأمر بالمعروف مصلحة للعامة وبر الوالدين وقاية من السخط. وصلة الأرحام منماة للعدد. والقصاص حقناً للدماء.
والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس. والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس. واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة. وترك السرقة إيجاباً لعفة. وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية. فاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)**. وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء))[3]

تفسير الشاهد القرآني:

قال الطبري في تفسير قوله تعالى: **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)**: إذ يقول جل وعلا موجهًا الخطاب للذين آمنوا بالله ورسوله **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ)** لربكم، مذعنون له بالطاعةِ، ومخلصون له العبادة وحده لاشريك له[4].

تضمن الفعل الكلي في الشاهد القرآني:

---

(1) ينظر: الأساليب الإنشائية في النحو العربي: 15.

(2) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: 266/3.

(3) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: 319.

(4) ينظر: تفسير الطبري: 65/7.

- النهي: فعل كلامي مباشر تضمنه قوله تعالى: **(وَلَا تَمُوتُنَّ)** فقد صب الفعل الكلامي الإنجازي بصيغة النهي المكونة من لا الناهية والفعل المضارع **(وَلَا تَمُوتُن)**.
- التوكيد: فعل كلامي مباشر تضمنه قوله تعالى: **(وَلَا تَمُوتُن)**عبر اختيار الصيغة اللغوية الملائمة لمعنى التوكيد حيث اقترن الفعل بنون التوكيد الثقيلة (فعل مضارع + نون التوكيد الثقيلة).
- التحذير: فعل كلامي غير مباشر تضمنته الآية الكريمة **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)** حيث يحذر الخطاب الإلهي المخاطب من الموت على غير الإسلام لله والإيمان به وطاعته، منبهاً المؤمنين إلى خطورة ترك الإيمان وتقوى الله عز وجل، ومفارقة الحياة على الشرك والكفر.

الفعل الكلامي الكلي يتركب من النهي، والتوكيد، والحصر، والحال، ويمكننا تمثيل ذلك على النحو الاتي:

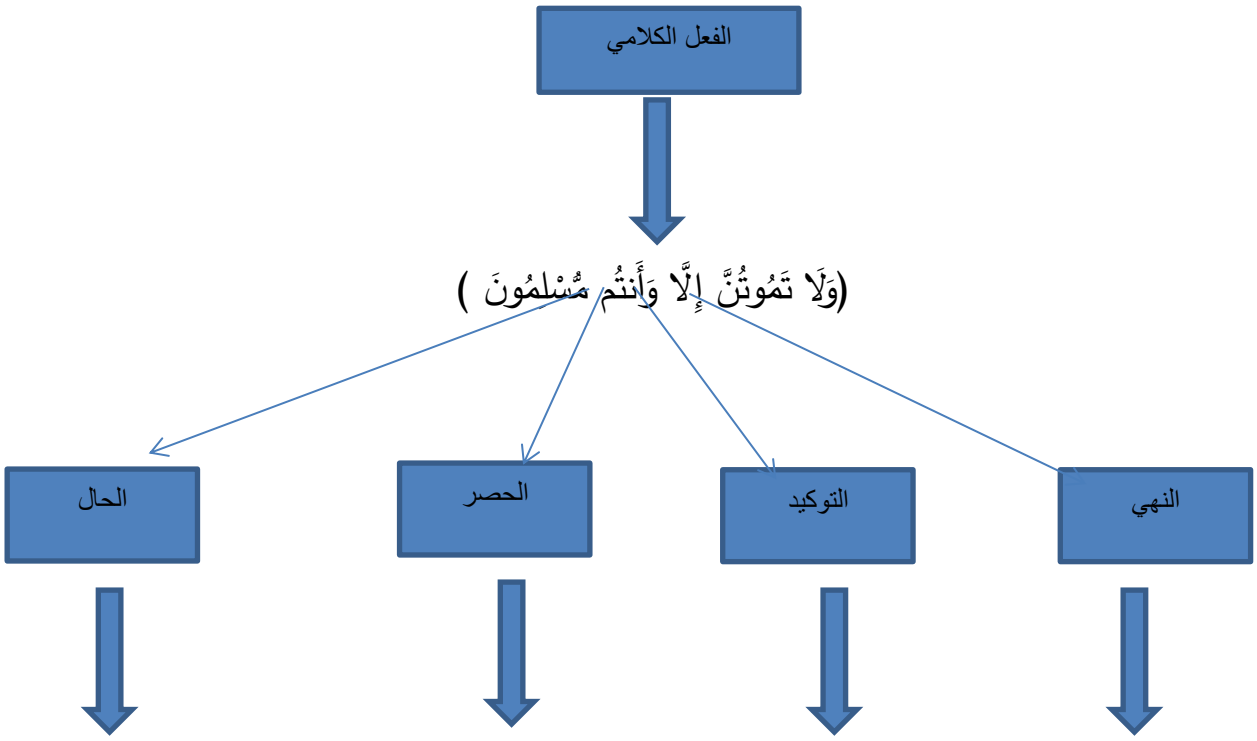

لا	تموتنّ	إلا	وأنتم مسلمون

كما يتضمن الفعل الكلامي في الشاهد القرآني فعلاً مباشراً وآخر غير مباشر:

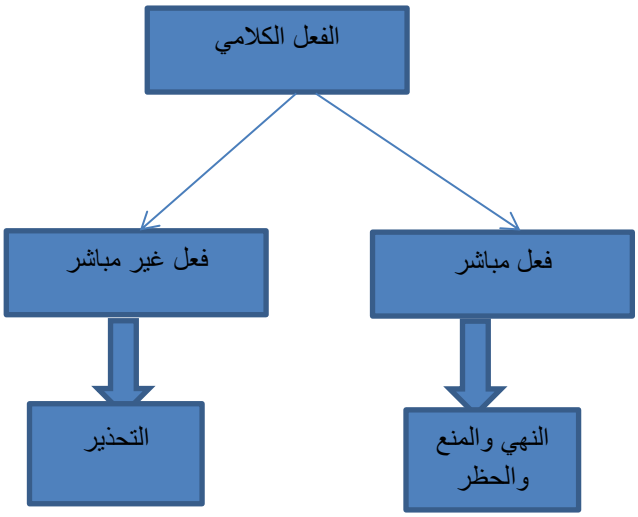

لقد تماهى الفعل الإنجازي، والشاهد القرآني مع السياق النصي للخطبة، ودعم الحجاج فيها،وأسهم في قيادة الوجهة الحجاجية في الخطبة نحو المقاصد الدلالية المحددة لها:

الحجة1:فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك.

الحجة2: والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر.

الحجة3: والزكاة تزكية للنفس ونماء للرزق.

الحجة4: والصيام تثبيتاً للإخلاص.

الحجة5:والحج تشييداً للدين.

الحجة 6: والعدل تنسيقاً للقلوب.

الحجة7: طاعة أهل البيت نظام للملة (وإطاعتنا نظاماً للملة).

الحجة8: إمامة أهل البيت أمان للفرقة(وإمامتنا أماناً للفرقة).

الحجة9: والجهاد عزاً للإسلام.

الحجة 10:والصبر معونة على استيجاب الأجر.

الحجة11:والأمر بالمعروف مصلحة للعامة.

الحجة12: وبر الوالدين وقاية من السخط.

الحجة13: وصلة الأرحام منماة للعدد.

الحجة 14: والقصاص حقناً للدماء.

الحجة15: والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة.

الحجة 16: وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس.

الحجة 17: والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس.

الحجة 18: واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة.

الحجة 19: وترك السرقة إيجاباً لعفة.

الحجة20: وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية.

النتيجة 1: فاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ.

النتيجة 2: **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)**.

النتيجة3: وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه.

النتيجة 4: فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

النتيجة الكلية: تقوى الله والثبات على الإسلام.

وقد تتالت الحجج دافعة الوجهة الحجاجية باتجاه النتيجة الكلية وفق الآتي:

جعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك. ← والصلاة تنزيهاً لكم من الكبر.

← والزكاة تزكية للنفس ونماء للرزق. ← والصيام تثبيتاً للإخلاص.

← والحج تشييداً للدين. ← والعدل تنسيقاً للقلوب. ←

طاعة أهل البيت نظام للملة (وإطاعتنا نظاماً للملة). ← إمامة أهل البيت أمان للفرقة

(وإمامتنا أماناً للفرقة). ← والجهاد عزاً للإسلام. ← والصبر معونة على

استيجاب الأجر. ← والأمر بالمعروف مصلحة للعامة.

وبر الوالدين وقاية من السخط. ← وصلة الأرحام منماة للعدد. ←

والقصاص حقناً للدماء. ← والوفاء بالنذر تعريضاً للمغفرة. ←

وتوفية المكاييل والموازين تغييراً للبخس. ← والنهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس. ← واجتناب القذف حجاباً عن اللعنة. ← وترك السرقة إيجاباً

للعفة. ← وحرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبية. ← فاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ.

← **(وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ)** ← وأطيعوا الله فيما أمركم به ونهاكم

عنه. ← فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء. ← تقوى الله والثبات على الإسلام.

تفصل الحجج المذكورة السبب الكامن وراء الفرائض الإسلامية والمنهي عنه والمأمور به وماينضوي عليه هذا المنع أو الإلزام من خير لصالح الإنسان، لتصل إلى سلسلة نتائج صغرى

تفضي إلى النتيجة الكبرى التي يمكن استنباطها من السياق وهي وجوب تقوى الله والثبات على الإسلام.

إن توضيح الحجج للخير الكامن وراء الإسلام وتشريعاته يترك أثره في نفس المتلقي، ويدفعه إلى تبني السلوك المطلوب في النتيجة بعد اقتناعه بجملة الحجج المنطقية التي أسهبت السيدة فاطمة عليها السلام في ذكرها، وبيان الخير الكامن وراء اعتناق الإسلام، وعليه ضرورة الثبات على الإسلام، وتوخي الحذر من أن تقبض النفس على غير الإسلام، فجاء النهي خير صيغة لغوية تعبر عن الفعل التوجيهي المطلوب من المتلقي.

المبحث الثاني

الإضمار والاقتضاء:

1-الإضمار:

الإضمار لغة:

تدور الدلالة اللغوية للإضمار حول معاني الهزال والذبول والمكنون؛ جاء في اللسان: الضُّمْرُ والضُمُرُ الهُزَال ولَحاقُ البطن، والضَّمير العنب الذابل، وضمرت الخيل: علفتها القوت بعد السّمن، والضّمير السر، وداخل الخاطر، والجمع الضمائر، وأضمرتُ في نفسي شيئاً، والاسم منه الضمير، والجمع منه الضمائر، والمضمر المفعول، وأضمرتُ الشيءَ أي أخفيته[1].

الإضمار اصطلاحاً:

---

[1] ينظر: لسان العرب: 492/4. مادة: (ضمر).

إنّ الإضمار هو رسائل غير ملفوظة بيد أنها مضمنة في الملفوظات اللغوية على النحو الذي يتكون فيه معنى المعنى[1].

ويعرف الإضمار من منظور تداولي بأنه تقنية بلاغية ذكية، تتيح للمتكلم أن يقول وألا يقول في آن، بتعبير آخر تفتح المجال للاستنباط، و الفهم، والاستنتاج، من دون التخلي عن المعنى الحرفي للملفوظ[2].

والحق أنَّ الإضمار في كنهه يحمل طابعاً تداولياً في المقام الأول؛ فكل إضمار هو إضمار تداولي يكون الأصل فيه مقامات الكلام وسياقاته، والبنية الدلالية في عمليات إنتاج الكلام ليست بمعزل عن المقوم التداولي[3].

ويعرف القول الضمني بأنه ((كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع رهن خصوصيات سياق الحديث))[4]

والإضمار مفهوم ((خطابي وسياقي، إذ يقوم على كل ما يفكّر فيه، انطلاقاً مما يقال، ومن الموقف الذي يقال فيه))[5]

وكثيراً ما يعمد المتكلم في خطاباته المتنوعة إلى إسقاط بعض العناصر من الكلام، متكئاً في ذلك على فهم المخاطب، وإدراكه للعناصر المحذوفة أحياناً، ومتكئاً في أحايين أخرى إلى وضوح قرائن السياق[6].

ومن أمثلة الإضمار في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: (**أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ**) [التوبة: 49] ، إذ ورد الشاهد القرآني في كلام لفاطمة الزهراء(ع) تقول فيها: ((فوسمتم غير إبلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا

---

(1) ينظر: التداولية البعد الثالث في سيميوطيقيا مورس من اللسانيات إلىالنقد الأدبي والبلاغة: 425.

(2) ينظر: الخطاب اللساني، هندسة التواصل الاضماري من التجريد إلى التوليد: 121/1.

(3) ينظر: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: 50.

(4) التداولية عند علماء العرب: 30.

(5) المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش: 53.

(6) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: 191.

والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لمّا يندمل، والرسول لما يقبر ابتداراً زعمتم خوف الفتنة (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ))[1].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ) والكلام عن المنافقين (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواۗ) أي: إنهم سقطوا بالفتنة بقولهم للرسول(ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) بالخروج معك بالجواري من نساء الروم(وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ) أي: لا مناص لهم منها، ولا محيص، ولا مهرب[2].

إنّ قوله تعالى يحمل رسائل مضمرة اختار الخطاب الإلهي ترك التصريح بها لوضوح القرائن ودلالتها عليها من جهة، ولتحقيق أغراض جمالية بلاغية بتنويع الأساليب البلاغية واستثمار طاقاتها، من جهة أخرى.

لقد جاء الإضمار مضاعفاً مع توظيفه في الخطبة؛ فقد وقع على مستويين نصيين رئيسين الأول في الآية الكريمة، والآخر في السياق النصي للخطبة، وفيها أدى الإضمار وظيفة تعبيرية بلاغية جمالية، وصب في خدمة المقاصد الدلالية القبلية، والغرض الكلي الأعلى للنص.

لقد تضمنت الملفوظات المصرح بها في النص القرآني وفي الخطبة دلالات مضمرة تحيل بدورها إلى ربقة دلالات نصية وخارج نصية تتصل بالسياق وتلبي مقتضياته، ويتيح السياق فهمها بعد إقحام المتلقي في عملية إنتاج المعنى، والبحث عن الدلالة، وربط الدوال بمدلولاتها، والقبض على الإحالات وربطها بمرجعياتها النصية وخارج النصية.

في الواقع أنَّ عملية ((فهم الخطاب يُعدُ بالأساس عملية سحب للمعلومات من الذاكرة وربطها مع الخطاب المواجه))[3]، وعملية الربط هذه تضفي على التلقي متعة خاصة من جهة، وقدرة تأثيرية عالية، من جهة أخرى، الأمر الذي من شأنه ضمان تفاعل المتلقي، واستمرار العملية التواصلية حتى بلوغ المتكلم غايته من التأثير في المتلقي وإقناعه، وحمله على الإذعان

---

(1) فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: 358.

(2) تفسير ابن كثير: 161/4.

(3) تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي ومنير التركي: 326.

لمضمون الخطاب، وتبني السلوك المحدد بصورة قبلية، بعد استثمار طاقات الحجاج وميكانيزماته الفعَّالة.

ولمعرفة سبب اختيار فاطمة الزهراء للشاهد القرآني وتبنيها إضماره في نص الخطبة لابد من تقفي أثر الإشارات والعلامات النصية التي ترتبط بإحالات مرجعية ترتبط بظروف إنتاج النص، كما يمكننا تأمل سير الوجهة الحجاجية لفهم دور الإضمار في الحجاج وسبب اختياره.

يتركب الفعل الكلامي الكلي في الشاهد القرآني من:

- الوعيد: فعل كلامي غير مباشر حمله قوله تعالى: (إنّ جهنّم محيطة بالكافرين).
- الإخبار: فعل كلامي مباشر يتضمنه قوله تعالى: (في الفتنة سقطوا).
- التوكيد: فعل كلامي مباشر تضمنه قوله تعالى: (إنّ جهنّم لمحيطة بالكافرين)، وأدت معناه (إنّ واللام).
- التنبيه: وسيلة للوصول إلى الفعل التوجيهي وحملته الأداة (ألا).

ويمكننا تمثيل ذلك كما يأتي:

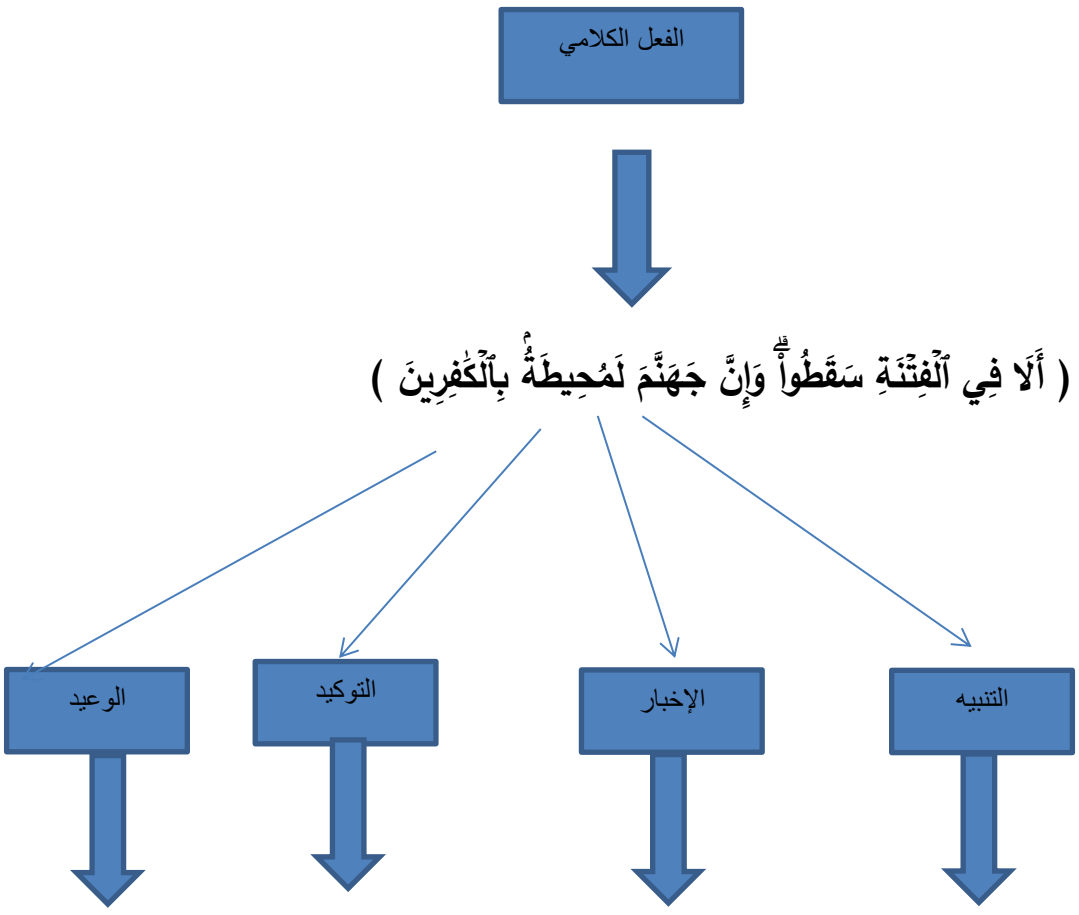

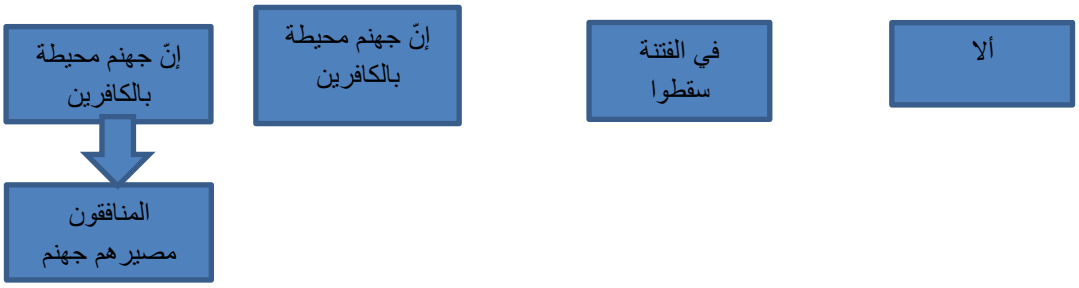

لمعرفة الإضمار في الآية الكريمة نستحضر الآية في سياقها لإتمام معناها(**وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ**) [التوبة: 49].

حملت الملفوظات أو الفعل الكلامي الصريح في الآية الكريمة مضمرات عدة:

مضمر 1: تضمنه قوله تعالى (وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي).

مضمر 2: تضمنه قوله تعالى (وَلَا تَفْتِنِّي).

مضمر 3: تضمنه قوله تعالى(أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا).

مضمر 4: تضمنه قوله تعالى (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ).

ويمكننا توضيح دلالة الإضمار في الشاهد القرآني على النحو الآتي:

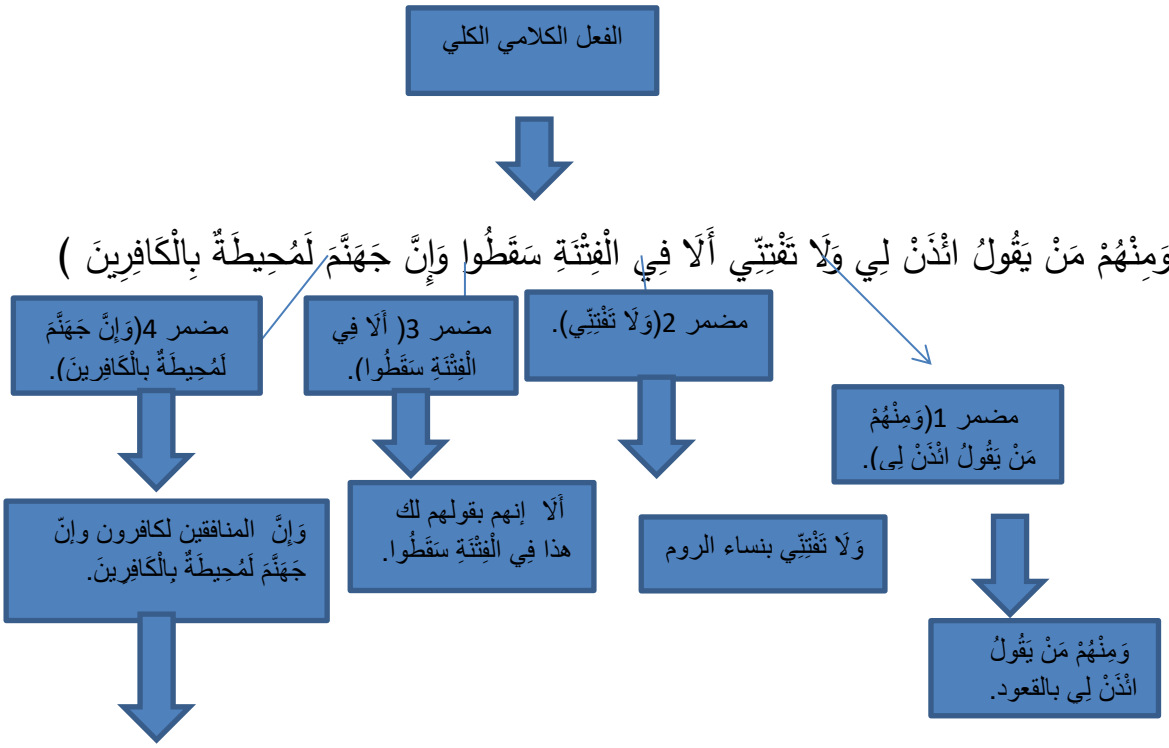

وإنّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالمنافقين.

المضمرات في نص كلام:

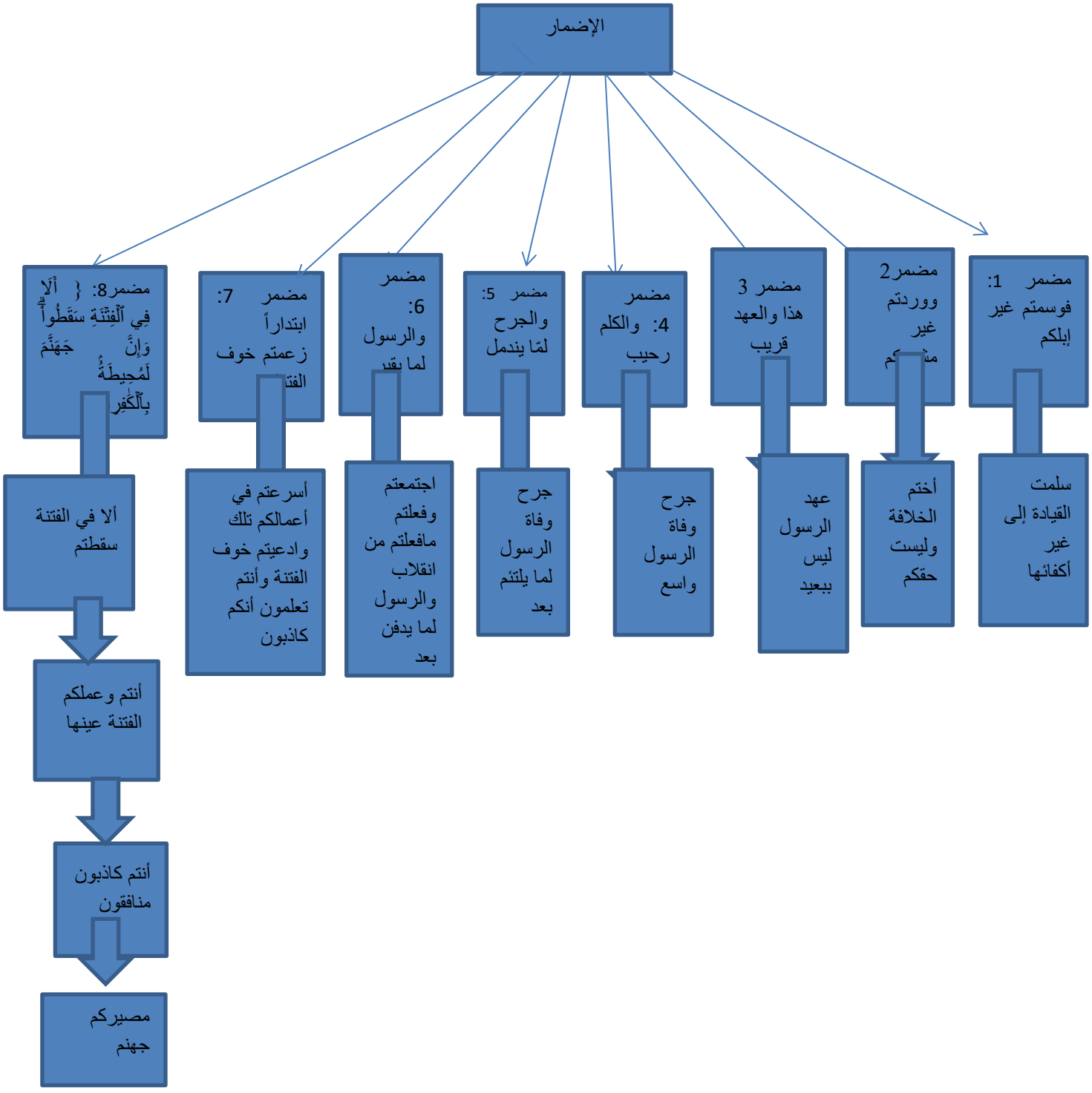

سير الحجاج في نص الكلام:

الحجة1:فوسمتم غير إبلكم.

الحجة2: ووردتم غير مشربكم.

الحجة3: هذا والعهد قريب.

الحجة4: والكلم رحيب.

الحجة5: والجرح لمّا يندمل.

الحجة6: والرسول لما يقبر ابتداراً.

الحجة7: زعمتم خوف الفتنة.

الحجة8: (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ)

النتيجة1: في الفتنة سقطتم بزعمكم هذا.

النتيجة 2: احتذيتم حذو المنافقين بزعمكم.

النتيجة3:مصيركم مشابه لمصير المنافقين.

النتيجة 4: عدم نصرتكم للحق فتنة

النتيجة5: وزعمكم خوف الفتنة نفاق.

النتيجة الكلية: جهنم ستحيط بكم.

لقد توالت الحجج في الخطبة باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

:فوسمتم غير إبلكم. ← ووردتم غير مشربكم. ← هذا والعهد قريب. ← والكلم رحيب. ← والجرح لمّا يندمل. ← والرسول لما يقبر ابتداراً. ← زعمتم خوف الفتنة. ← (أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ). ← في الفتنة سقطتم بزعمكم هذا. ← احتذيتم حذو المنافقين بزعمكم.

مصيركم مشابه لمصير المنافقين

عدم نصرتكم للحق فتنة

وزعمكم خوف الفتنة نفاق. النتيجة الكلية: جهنم ستحيط بكم.

ومن الإضمار في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء نذكر أيضاً قوله تعالى: (**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠**) [الليل: 5-10] ، إذ وردت في كلام للرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال فيها: ((اعملوا فكلّ ميسّر لما خُلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسّر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء، فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠)))[1]. إذ يقول القرطبي في تفسير الشاهد القرآني: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ)أي: بذل وانتهى عن محارم الله (وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ) أي: صدق بلا إله إلا الله (فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ)أي: نرشده لأسباب الخير والصلاح. (وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ)أي: ضنّ بما عنده، ولم يعط ويبذل خيراً، واستغنى عن ربه، (وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ) أي: كذب بلا إله إلا الله (فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ) أي: سنحول بينه وبين الإيمان بالله ورسوله، ونسهل طريقه للشرّ[2].

لمعرفة دور الإضمار الحجاجي في الشاهد القرآني والكلام سنعمل على كشف المضمرات وتوضيح الرسائل الكامنة فيها، ثم تقفي أثر الحجج باتجاه النتيجة:

المضمرات في الشاهد القرآني:

مضمر 1: من أعطى

مضمر 2: واتقى

مضمر 3:صدق بالحسنى

مضمر 4:فسنسيره لليسرى

---

[1] جمهرة خطب الرسول: 77.

[2] ينظر: تفسير القرطبي: 74/20.

مضمر 5: من بخل.

مضمر 6:واستغنى

مضمر 7:كذب بالحسنى

مضمر 8: فسنسيره للعسرى

حيث تضمنت الملفوظات المصرح بها معاني ودلالات ضمنية مضمرة يمكن القبض عليها بشيء من التأمل، ولعل الخطاب الإلهي آثر عدم التصريح بتلك الرسائل المضمرة لوضوح القرائن، من جهة، ولأغراض بلاغية يصيبها الإيجاز والإضمار من جهة أخرى ، ويمكننا

توضيح ذلك كما في الشكل:

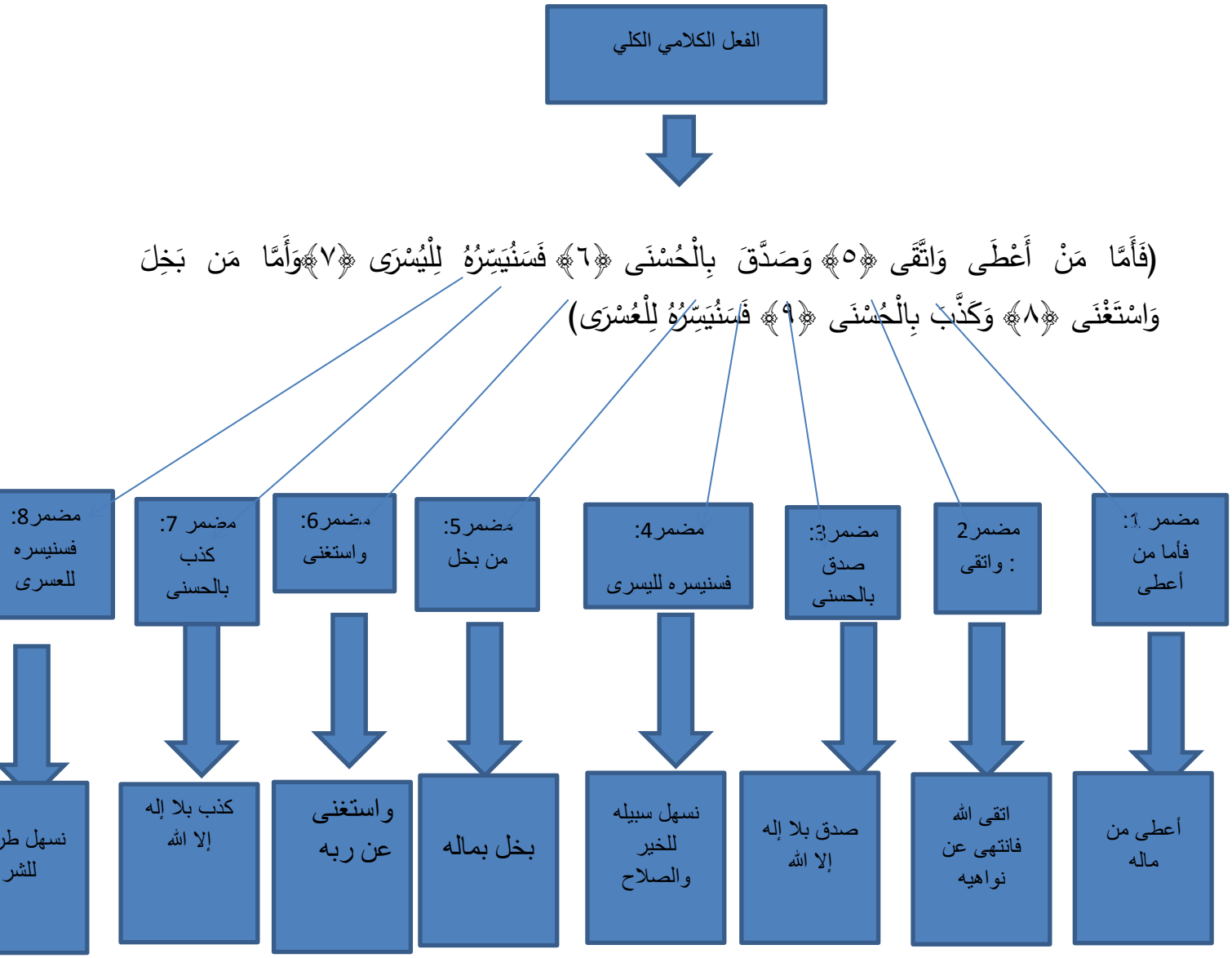

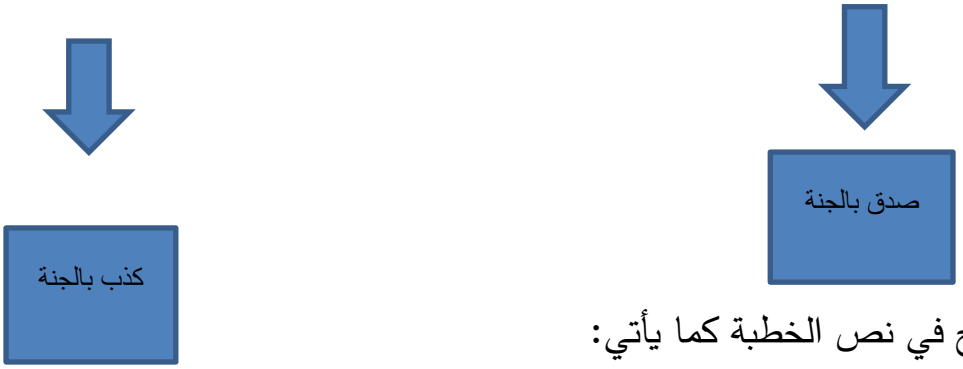

كان سير الحجاج في نص الخطبة كما يأتي:

الحجة1: فكلّ ميسّر لما خُلق له.

النتيجة: اعملوا

الحجة1: أما من كان من أهل السعادة.

النتيجة2: فييسّر لعمل أهل السعادة.

الحجة1:وأما من كان من أهل الشقاء.

النتيجة2: فييسر لعمل أهل الشقاوة.

الحجة1: (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ١٠)

الحجة2: (مَنْ أَعْطَى)

الحجة3: (وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى)

النتيجة1: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى)

الحجة1: (مَن بَخِلَ)

الحجة2: (وَاسْتَغْنَى)

الحجة3: (وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى)

النتيجة1: (فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)

النتيجة: الإنسان يختار طريقه والله ييسره له كل مسؤول اختياراته.

الاقتضاء:

الاقتضاء لغة:

تدور الدلالة اللغوية للاقتضاء حول معاني الاستلزام والمطالبة؛ وجاء في لسان العرب: اقتضى أمراً أي: استلزمه، ويقال: افعل ما يقتضيه كرمك: أي ما يطالبك به[1].

الاقتضاء اصطلاحاً:

إنّ الإقتضاء من منظور لساني تداولي يعرف على أنَّه المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير تصريحية[2].

وبتعبير آخر هو ما يتعلق بمجموع المعلومات المتعارف عليها بين المتخاطبين التي لا تحتاج إلى توضيح أو تذكير[3].

ويعرف الاقتضاء أيضاً بأنّه علاقة القول بسياقه الذي جاء فيه، إذ إنَّه مطابقة بين الملفوظ وسياق تلفظه، فكل كلام يتوجب أن يكون مناسباً للسياق الذي قيل فيه بالضرورة[4].

---

(1) ينظر: لسان العرب: مادة (قضى) 132/12.

(2) ينظر: التداولية اليوم علم جديد في التواصل: 47.

(3) ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة: 481.

(4) ينظر: الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية: 95.

أما دلالة الاقتضاء عند الأصوليين فهي دلالة اللفظ على معنى خارج يتوقف عليه صدقه أو صحته الشرعية أو العقلية[1].

وهي ((دلالة اللفظ على أمور لا تفهم باللفظ، ولكن لا يستقيم اللفظ في دلالته الا بتقديرها، فالثابت بالاقتضاء ليس ثابتاً بأصل العبارة، ولكنه ثابت؛ لأنَّ صحة الكلام واستقامته تقتضيه))[2].

وبدوره المنطوق غير الصريح أن يكون مقصوداً للمتكلم أو غير مقصود له، وبدوره ينقسم إلى:

- مقصود للمتكلم، ويتوقف عليه صدق الكلام أو صحته العقلية أو الشرعية، وهنا تسمى دلالته دلالة الاقتضاء.
- مقصود للمتكلم، ولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته العقلية أو الشرعية، وهنا تسمى دلالته إيماء أو تنبيهاً.
- ليس مقصوداً للمتكلم، وهنا دلالته تسمى دلالة إشارة[3].

الاقتضاء عند المتكلمين يعرف بأنه: ما لا يدل عليه اللفظ، ولا يكون منطوقاً به، بيد أنه من ضرورة اللفظ في أحد الأوجه:

- إما أن المتكلم لايمكن أن يكون صادقاً إلا به.
- أو أن يمتنع وجود الملفوظ شرعاً إلاّ به.
- أو أن يمتنع ثبوته عقلاً إلاّ به[4].

أولاً: الاقتضاء المعجمي:

---

(1) شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه: 137/1.

(2) أصول الفقه، محمد أبو زهرة: 144.

(3) ينظر: شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي: 172/2..

(4) ينظر: المستصفى في علم أصول الفقه: 40/2.

من أمثلة الاقتضاء في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**)[النبأ: 31]، إذ وردت الآية في كلام للإمام الحسن (عليه السلام) يقول فيها: ((إن الله لم يخلقكم عبثاً، وليس بتارككم سدى، كتب آجالكم، وقسم بينكم معائشكم، ليعرف كل ذي لب منزلته، وإنه ما قدر له أصابه، وما صرف عنه فلن يصيبه، وقد كفاكم مؤنة الدنيا وفرغكم لعبادته، وحثكم على الشكر، وافترض عليكم الذكر. وأوصاكم بالتقوى، وجعل التقوى منتهى رضاه، والتقوى باب كل توبة، ورأس كل حكمة، وشرف كل عمل بالتقوى فاز من فاز من المتقين، قال الله تبارك وتعالى: (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**)))[1].

تفسير الشاهد القرآني:

تخبرنا كتب التفاسير أن المقصود بقوله تعالى: (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**)إن للمتقين متنزهاً وفوزاً بمنجاتهم من النار[2].

لمعرفة دور الاقتضاء الحجاجي في الشاهد القرآني وفي نص الخطبة يلزمنا تحليل عناصره، وتفنيدها كما يأتي:

يتركب الاقتضاء المعجمي في الشاهد القرآني من:

التوكيد: فعل كلامي مباشر أدّته الأداة إنّ.

الإخبار: فعل كلامي مباشر حمله قوله تعالى: (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**).

الوعد: فعل كلامي غير مباشر تضمنه قوله تعالى: (**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا**) حيث يحيل المنطوق إلى وعد يلتزم به المتكلم وهو الله عز وجل تجاه المخاطب فحواه دخول المتقين الجنة ومنجاتهم من النار.

ويحمل الاقتضاء المعجمي في الشاهد القرآني الدلالات:

دلالة مفهوم الموافقة: وتتمثل بإثبات العناصر المعجمية لمعنى فوز المتقين.

دلالة مفهوم المخالفة: مفهومه أن غير المتقين لن يفوزوا بالجنة.

---

[1] الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع): 27.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير: 309/8.

دلالة التضمن: حيث يحيل المنطوق إلى مضمر مفاده دخول المتقين الجنة ومنجاتهم من النار.

دلالة اللازم: حيث يلزم المتقين الفوز.

ويمكننا تمثيل ذلك في الشكل الآتي:

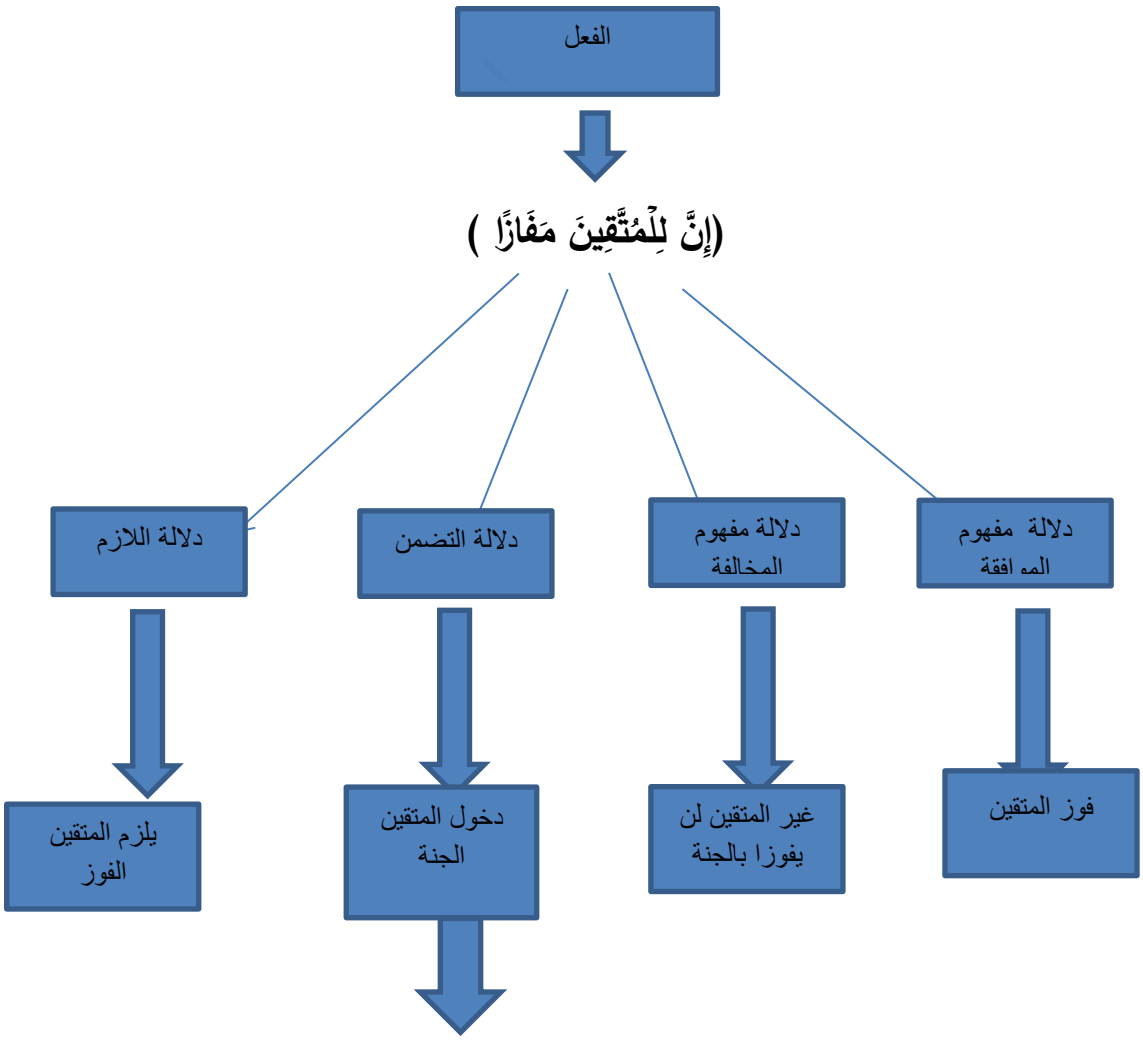

ومنجاتهم من النار

كان سير الحجاج في نص الخطبة كمايأتي:

الحجة1: إن الله لم يخلقكم عبثاً.

الحجة2: وليس بتاركم سدى.

الحجة3: كتب آجالكم.

الحجة4: وقسم بينكم معائشكم.

الحجة5:ليعرف كل ذي لب منزلته.

الحجة6:وإنه ما قدر له أصابه.

الحجة7:وماصرف عنه فلن يصيبه.

الحجة8: وقد كفاكم مؤنة الدنيا.

الحجة9: وفرغكم لعبادته،

الحجة10:وحثكم على الشكر.

الحجة11: وافترض عليكم الذكر.

الحجة12: والتقوى باب كل توبة.

الحجة13: ورأس كل حكمة.

الحجة14: وشرف كل عمل بالتقوى.

النتيجة1: التقوى منتهى رضاه

النتيجة2: التقوى فوز:

النتيجة الكلية: وأوصاكم بالتقوى.

وقد توالت الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

إن الله لم يخلقكم عبثاً. ← وليس بتاركم سدى. ← كتب آجالكم.

وقسم بينكم معائشكم. ← ليعرف كل ذي لب منزلته. ←

وإنه ما قدر له أصابه. ← وماصرف عنه فلن يصيبه.

وقد كفاكم مؤنة الدنيا. ← وفرغكم لعبادته ← وحثكم على الشكر. ←

وافترض عليكم الذكر. ← والتقوى باب كل توبة. ←

ورأس كل حكمة. ← وشرف كل عمل بالتقوى. ← التقوى منتهى رضاه ←

التقوى فوز: **(إِنَّ لِلمُتَّقِينَ مَفَازًا)**. ←

النتيجة الكلية: وأوصاكم بالتقوى.

إن المحتوى القضوي للفعل الكلامي الكلي في الشاهد يمكن فهمه من السياق، وأدته العناصر المعجمية المركب منها.

ثانياً: الاقتضاء التركيبي:

من أمثلة الاقتضاء التركيبي في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)** [الأنبياء: 104] من خطبة للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يقول فيها: ((إنكم محشورون حفاة عراة **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)**، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل، وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقول: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك))[1]

تخبرنا كتب التفسير أن المراد بقوله تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)** حتمية إعادة الخلق يوم القيامة خلقاً جديداً مثلما بدأهم هو القادر على إعادتهم، وهذا واجب الوقوع وهو من جملة وعد الله تعالى الذي لا يخلف ولا يبد، وهو القادر على كل شيء[2].

يتركب الاقتضاء في الشاهد القرآني من:

الإخبار: فعل كلامي مباشر حمله قوله تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)**

---

[1] جمهرة خطب الرسول: 98.

[2] ينظر: تفسير ابن كثير: 385/5.

التذكير: فعل كلامي غير مباشر تضمنه المنطوق ومفاده بأن الله قد قام بفعل الخلق قبلاً، وإثبات نسبة فعل الخلق إليه جل وعلا.

الوعد: فعل كلامي غير مباشر تضمنه قوله تعالى: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)**، حيث يحيل المنطوق إلى وعد يلتزم به المتكلم وهو الله عز وجل تجاه المخاطب فحواه إعادة الخلق يوم القيامة والحساب، ويتجه نحو المؤمنين ووعدهم بجزائهم على أعمالهم الحسنة.

الوعيد: فعل كلامي غير مباشر تضمنه قوله عز وجل: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)**، ويتجه نحو تهديد المنكرين ووعيدهم بالعذاب.

ويحمل الاقتضاء التركيبي في الشاهد القرآني الدلالات:

دلالة مفهوم الموافقة: وتتمثل بإثبات العناصر التركيبة إعادة الخلق.

دلالة التضمن: حيث يحيل المنطوق إلى مضمر مفاده وعد للمؤمنين، ووعيد للمنكرين المشركين المكذبين باليوم الآخر.

دلالة اللازم: حيث يلزم بدأ الخلق إعادة الخلق.

دلالة المطابقة: حيث يطابق المنطوق حقيقة خارج نصية وقعت في الماضي وستقع في المستقبل لامحالة، ويمكننا توضيح ذلك كما في الشكل:

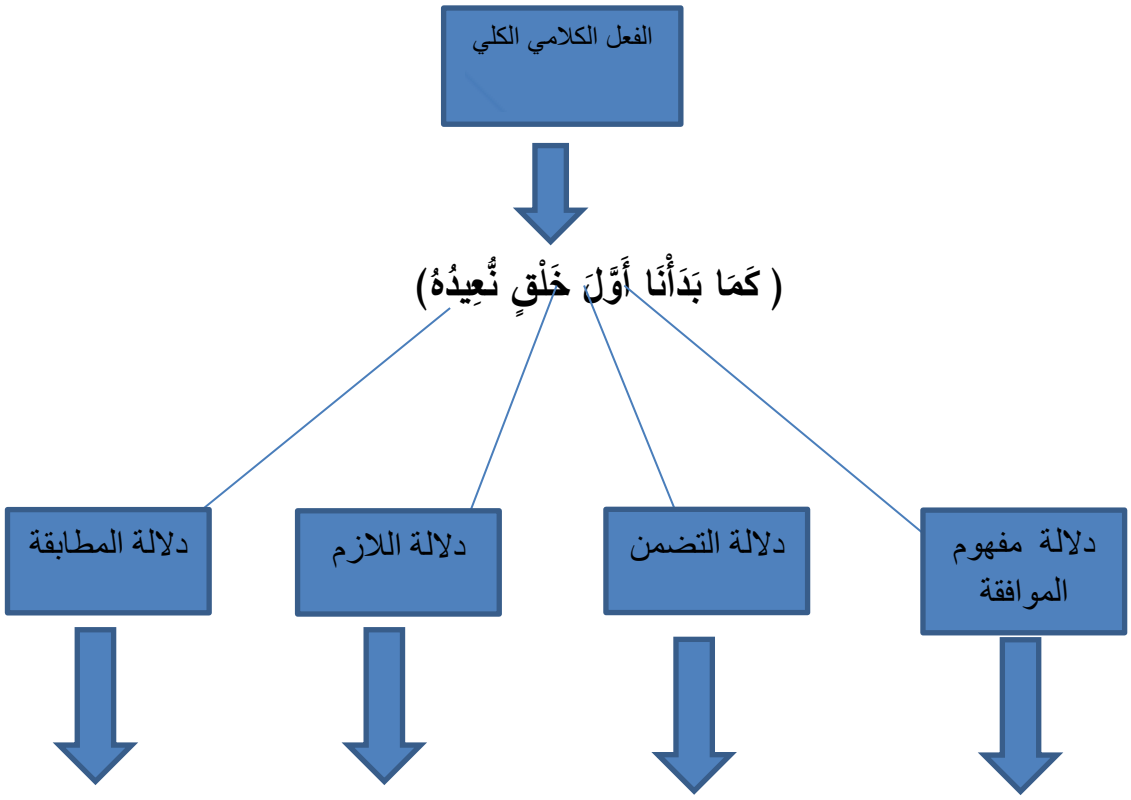

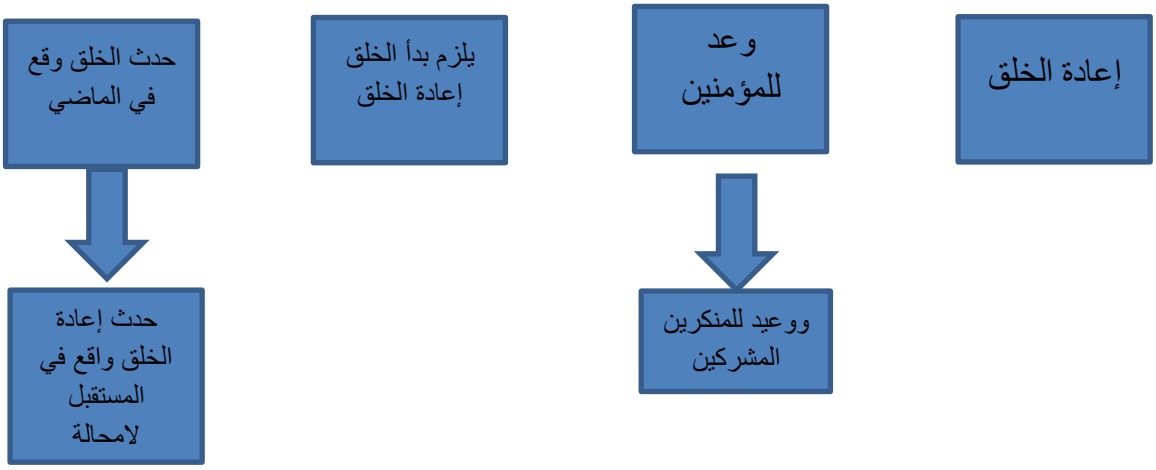

كان سير الحجاج في الخطبة كما يأتي:

الحجة1:إنكم محشورون حفاة

الحجة2: عراة

الحجة3:غُرلا

الحجة4: **(كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ)**

الحجة5:وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل.

الحجة6:وإنه سيجاء برجال من أمتي

الحجة7: فيؤخذ بهم ذات الشمال.

الحجة8: فأقول:يارب أصيحابي

الحجة9: فيقول: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك

النتيجة1:حتمية الحشر

النتيجة2: حتمية إعادة الخلق يوم الحساب

النتيجة3: بعض أهل النار من أمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لما أحدثوا بعده.

النتيجة الكلية: إعادة الخلق والحساب واقع لامحالة لايستثنى منه أحداً.

لقد حمل المحتوى القضوي للمنطوق في الشاهد القرآني دلالات عدة، وتركب من أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وساهم التركيب بعناصره اللغوية المختارة بعناية في أداء دلالة الاقتضاء، من جهة، والفعل التأثيري الإنجازي للمنطوق، من جهة أخرى، فشكل بؤرة دلالية، وميكانيزماً فعالاً في عمليات قيادة الوجهة الحجاجية على مستوى النص القرآني أو الشاهد، وعلى مستوى الخطبة التي وظف فيها هذا الشاهد.

الفصل الثالث

الإيقاع الحجاجي وأثره الاقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

- **توطئة .**
- المبحث الأول : الفاصلة القرآنية
- المبحث الثاني : التوازي
- البحث الثالث : التكرار
- المبحث الرابع : الجناس
- المبحث الخامس : المقابلة

الفصل الثالث :

الإيقاع الحجاجي وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع):

توطئة:

يعد الايقاع الحجاجي من التقنيات المؤثرة التي تضفي على النص قيمة دلالية وجمالية وبحسب المفردات والتراكيب الخاصة به وأهميتها في البناء اللغوي وتماسكه بشكل عام فأثره فعال في الشواهد القرانية في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام) ، لما فيه من إنسجام واتساق مع كلامهم بطريقة تستدعي الاستماع وتجلب الانتباه وتستهوي النفوس الى حد لايمكن أن يصله أي كلام سواء أكان منظوماً أم منثوراً لما يمتلكه من علاقة وشيجة بين الكتاب والعترة .

إذ ليس القصد الذي يراد بيانه من الإيقاع الحجاجي جعل المتلقي على علم بالمقامات وضروب الألحان ، بل تتجلى أهميته في الكشف عن تحقيق الانفعال الذي ينتاب القارئ عندما تمرّ على شغاف قلبه نغمات ايقاعية متفردة .

وقد تعددت مظاهر الإيقاع الحجاجي في عينة البحث ومنها (الفاصلة والتوازي، التكرار، المقابلة، الجناس) وهذا ما يسلط عليه الضوء عبر مباحث هذا الفصل .

المبحث الأول:

الفاصلة القرآنية:

- **الفاصلة لغة:**

تنضوي تحت الدلالة اللغوية للفاصلة العديد من المعاني منها: القطع، والبون، والقضاء، والتمييز ، حيث جاء في اللسان معنى القطع: فصل بين الشيئين يفصل بينهما فصلاً، وفصلتُ الشيء فانفصلَ أي قطعتهُ[1].

والفصل أيضاً هو البون ما بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل. والفصل كذلك هو: القضاء بين الحق والباطل، ويسمى القضاء الذي يفصل بين الحق والباطل الفيصل[2].

وأما معنى التمييز فجاء في مقاييس اللغة: الفاء والصاد واللام كلمة صحيحة تحمل دلالة تمييز الشيء من الشيء، وإبانته عنه[3].

- **الفاصلة اصطلاحاً:**

الفاصلة في الاستعمال الاصطلاحي هي: حروف متشاكلة في المقاطع توجب إفهام المعاني[4].

وتعرّف الفاصلة – أيضا – بأنها ((طائفة ذات مطلع ومقطع مندرجة في سورة من القرآن الكريم))[5].

ومن الفواصل التي وردت في الشواهد القرآنية الموظفة في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام)، ما جاء ذكره في قوله تعالى:(**وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ**

---

(1) ينظر: لسان العرب: 188/11.

(2) ينظر: كتاب العين: 127/7.

(3) ينظر: مقاييس اللغة: 5/4 مادة فصل.

(4) ينظر: النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز القرآن: 97.

(5) مناهل العرفان في علوم القرآن: 339/3.

ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١) [المطففين: 19-21]. إذ إن الآية جاءت في كلام للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، إذ يقول فيها: ((فيصعدون بها، فلا يمرون إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمّونه بها في الدنيا – حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيّعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السّماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدي في عليّين،:(وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١)، فيكتب كتابه في عليين))[1].

فتفسير الآية هو الآتي: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ): المعنى المراد هنا أن الذي كتب للأبرار وقضي جزاء لبرّهم لفي عليين، وما أدراك ما عليون هو أمر مكتوب، ومقضي قضاء حتماً لازما واضحاً لا لبس فيه. واختلف في تفسير ((عليون))؛ إذ قيل: إنه السماء السابعة تحت العرش فيه أرواح المؤمنين، وقيل: سدرة المنتهى التي إليها تنتهي الأعمال، وقيل: هو لوح من جدة تحت العرش، معلق مكتوب فيه أعمالهم، وقيل: بل هي مراتب عالية محفوفة بالجلالة.

وقوله جلّ وعلا (يشهده المقربون)، يراه بعضهم أنّ المعنى الأنسب هنا أن يكون المقصود يشهده من الشهود بمعنى المعاينة، والمقربون: قوم من أهل الجنة، يفوقون عامة الأبرار درجةً. وقيل: الشهادة هي الحضور، والمقربون الملائكة؛ والمراد هو: حضور الملائكة على صحيفة عملهم إذا صعدوا بها إلى الله سبحانه. وقيل: المقربون هم الأبرار الملائكة جميعاً[2].

وبالعودة إلى الفاصلة في النص القرآني المختار (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١) نجد أنّها من الفواصل المتقاربة؛ والفاصلة المتقاربة كما

---

[1] خطب الرسول: 73-74.

[2] ينظر: الميزان في تفسير القرآن: 225/20.

يعرفها العلماء: هي الفواصل التي تقاربت حروف رويها[1]. واصطلحوا على تسميتها أيضاً بالفاصلة ذات المناسبة غير التامة[2].

وإن حرفي الروي هنا هما النون والميم، وهما من الصوائت التي تتقاطع في كثير من السمات أو الصفات وعلى رأسها صفات (الجهر، والانفتاح، والتوسط، و اللين، والغنة، والاستفال، والإذلاق).

والجدير بالذكر في هذا المقام أن حرفي الروي قد سبقا بحرف واحد هو (الواو): (عليون – مرقوم – المقربون)، وفيما تكرر روي النون في فاصلتين انفرد بينهما روي الميم الذي يضارع حرف النون في صفات كثيرة، وعليه تأتى للفواصل التلوين في النغم، دون الابتعاد عن الرتم الأصليّ الذي تدفق مع الفاصلة الأولى، ورويها النون، ثم تواترت الفواصل تبثّ إيقاعاً خاصاً، وجرساً خفياً، ونغماً شديد التقارب، ينساب مع الفواصل التي تتماهى في رتم واحد تجلّى معين التقارب والتشابه فيه اشتراك حرفي الروي في كثير من الصفات.

إنّ الجمال المنبثق من الرتم في الفاصلة المتقاربة التي نهض عليها النص القرآني المذكور لا يقف عند حدود التلوين في النغم، بل يتجاوز ذلك بعيداً في عمق النص، ليحمل عبء مهام دلالية حجاجية، عالية التأثير، والأهمية، وعليه كان الاختيار الدقيق للفواصل من على محور الاستبدال مدروساً ومتقناً، وكذلك اختيار الآيات شاهداً، وتموضعها في الخطبة كان مدروساً ومتقناً بدوره، لتتماهى بذلك الفواصل مع السّياقات النصيّة لكل من النص القرآني ونص الخطبة، من جهة، والمضمون الدلالي لهما، من جهة أخرى.

ولا غرو في ذلك البتة، فقد اعتدنا من الخطاب القرآني الجليل أن يكون ((للعبارة القرآنية كياناً خاصاً التي عليه تراكيبه، ورسم معالم صورة نظمه الفريد على هذا الكيان الفريد))[3].

---

[1] ينظر: النكت في إعجاز القرآن: 90.

[2] ينظر: سرّ الفصاحة: 203.

[3] مباحث في إعجاز القرآن: 141.

إن فرادة العبارات القرآنية، وتراص البنيات في الآيات المختارة يضاعف تفرّد الخطاب في النص الواردة فيه بوصفها شاهداً، وهو هنا خطبة للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه واله وسلم، وعليه يتأتى للكلام مضاعفة في التفرّد، والقدسية مصدرها معينان ثريان هما القرآن الكريم، من جهة، والرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم، من جهة أخرى.

تزج الجمالية التي تتمتع بها الفاصلة هنا في مستوى دلالي عميق هو الحجاج، ويمكننا توضيح ذلك كما يلي:

الحجة 1: ما أدراك ما عليون.

الحجة2: عليون كتاب مرقوم.

الحجة 3: يشهده المقربون.

النتيجة: جزاء الأبرار علو مراتبهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى.

وتتابع الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

ما أدراك ما عليون. ⟵ عليون كتاب مرقوم. ⟵ يشهده المقربون.

⟵ جزاء الأبرار علو مراتبهم وقربهم من الله سبحانه وتعالى.

والحجاج في خطبة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم حيث تم توظيف الآيات الكريمات كان على النحو الآتي:

الحجة 1: صعود روح المؤمن البار (فيصعدون بها)

الحجة 2: دلالة طيبها عليها (فلا يمرون إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟)

الحجة 3: متابعة الصعود، واستمرار دلالة الطيب على الروح (فيقولون: فلان ابن فلان – بأحسن أسمائه التي كانوا يُسمّونه بها في الدنيا–)

الحجة 4: فتح أبواب السماء أمامها (حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم) .

الحجة 5: تكريم أهل السماء لها (فيشيّعه من كل سماء مقرّبوها إلى السماء التي تليها)

الحجة 6: استمرار الاحتفاء بها حتى بلوغها السماء السابعة (حتى ينتهي به إلى السماء السابعة)

الحجة 7: أمر الله عز وجل بأن يكون كتاب المؤمن البار في عليين (فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين)

الحجة 8: الاستشهاد بالآيات الكريمات: (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١)

النتيجة: كتاب المؤمن البار في عليين (فيكتب كتابه في عليين).

ويمكننا توضيح تتابع الحجج باتجاه النتيجة كما يأتي:

صعود روح المؤمن البار ← دلالة طيبها عليها ← متابعة الصعود، واستمرار دلالة الطيب على الروح ← فتح أبواب السماء أمامها

تكريم أهل السماء لها ← أمر الله عز وجل بأن يكون كتاب المؤمن البار في عليين استمرار الاحتفاء بها حتى بلوغها السماء السابعة ← الاستشهاد بالآيات الكريمات (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١) كتاب المؤمن البار في عليين .

وأما فعالية النص القرآني المذكور في الخطبة على المستوى الحجاجي فتتمثل بتحولها إلى حجة تتماهى في سياق الحجج، وتقوي الحجاج، وتمد الوجهة الحجاجية بالدفع باتجاه النتيجة الكبرى، ويمكننا توضيح ذلك كما يأتي:

صعود روح المؤمن البار ← دلالة طيبه عليها ← متابعة الصعود، واستمرار دلالة الطيب على الروح ← فتح أبواب السماء أمامها ← تكريم أهل السماء لها ← أمر الله عز وجل بأن يكون كتاب المؤمن البار في عليين ← استمرار الاحتفاء بها حتى بلوغها السماء السابعة ، الاستشهاد بالآيات الكريمات (وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ٢١)

ما أدراك ما عليون. ← عليون كتاب مرقوم.

يشهده المقربون. ← جزاء الأبرار علو مراتبهم وقربهم من الله

سبحانه وتعالى. ← كتاب المؤمن البار في عليين .

وهكذا نجد أن الفاصلة في الشاهد القرآني المذكور قد تم استثمار طاقاتها الجمالية، وزجّت في مستوى دلالي حجاجي، لتضاعف عملية التأثير والإقناع عبر استمالة النفس، ودعم المنطق ومخاطبة العقل بالأدلة والحجج في آن معاً، فأضيف إلى المهام البلاغية الجمالية التي أدتها الفاصلة مهام دلالية تؤدي غايات تتصل بغرض ديني، يحتاج إلى استمالة العاطفة والعقل في آن، فبث الرتم الموحد الشجي بنغماته المتقاربة المتواترة يضمن جذب انتباه المتلقي، واستمرار إصاخته السمع لمضمون الخطاب، الأمر الذي له بالغ الأثر على العملية التواصلية، وتلقف المتلقي مضمون الرسالة، ثم إقناعه به، وبالتالي توجيه سلوكياته باتجاه معين، و محدد، و مقصود بعينه في الخطبة، وهو الإيمان والصلاح، ليتسنى للمتلقي الوصول إلى النتيجة العليا، وهي كتابة كتابه في عليين.

ومن الفواصل الموظفة في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء اخترنا أيضاً قوله سبحانه و تعالى: **(وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنَّا عَٰمِلُونَ ١٢١ وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٢٢)**[هود: 121-122]. فالشاهد القرآني قد ورد في الخطبة الفدكية للزهراء (عليها السلام)، التي تقول (عليها السلام) فيها: ((فدونكموها، فاحتقبوها دِيرة الظّهر، نَقبة الخفّ، باقية العار، موسومة بغضب الله وشَنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة. فبعين الله ما تفعلون، وسَيعلم الذين ظَلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون. وأنا ابنة نذير لكم بين يدى عذاب شديد، فاعملوا إنّا عامِلون، وانتظروا مُنتظرون)) [1].

وقبل الشروع في توضيح وظيفة الفاصلة الواردة في الآية الكريمة، وأثرها الإيقاعي الإقناعي نعرض بداية لتفسير الآية؛ وفي تفسيرها يقول الطبري: إنّ جلّ جلاله يخاطب نبيّه محمد صلى الله عليه وسلم فيقول تعالى: وقل يا محمد للذين لا يصدقونك، ولا يقرّون بوحدانية الله:(**ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ**)أي: على هيئتكم، وتمكنكم ما أنتم عاملوه، فـ (**إِنَّا عَٰمِلُونَ**) ما نحن عاملوه من الأعمال التي أمرنا الله سبحانه وتعالى بها، **(وَٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ)** : وانتظروا ما

---

[1] بلاغات النساء: 22.

وعدكم الشيطان، فإنّا منتظرون ما وعدنا الله من حربكم، ونصرتنا عليكم، انتظروا مواعيد الشيطان إياكم على ما يزين لكم[1].

إن الفاصلة في الشاهد القرآني من الفواصل المتماثلة وهي الفواصل: التي تماثلت حروف رويها، وتدعى أيضاً المتجانسة أو ذات المناسبة التامة[2].

إنَّ الفواصل في الشاهد القرآني قد نهضت على روي واحد، وهو حرف النون، ولم يتوقف التماثل عند حرف الروي وحسب، بل تعداه إلى تماثل الحرف السابق للروي، وهو هنا حرف الواو (عاملون– منتظرون).

لقد اختير الروي بعناية لصفات تتوافر فيه وهي:(الجهر، الرخاوة، الاستفال، الانفتاح، الإصمات – الغنة)، لتبثّ الفاصلة نغماً وشجناً يتماهى مع الدفقة الشعورية، والانفعالية المراد إثارتها في المتلقي، يدعم هذا النغم تماثل الحرف السابق للروي وهو الواو (عاملون – منتظرون) بصفاته التي يشترك في بعضها مع حرف النون، و استثمرت طاقات حرف الواو بدورها: (الجهر – الرخاوة– الاستفال – الإنفتاح– اللين) مما ضاعف قوة الإيقاع، وتأثير النغم في المتلقي.

ولنا أن نذكر في هذا المقام أنَّ الفواصل المتشابهة في الخطاب القرآني عامة لم يكن دورها حكراً على الوظيفة الجمالية، والزخرف اللفظي، ودعم النظام الإيقاعي للسورة الموظف فيها وحسب، بل يُزج هذا كلّه في خدمة مستوى أعلى من النص، مستوى دلالي أعمق، وأكثر تعقيداً، تؤدي معه الفاصلة بجمالياتها، وموسيقاها البديعة أغراضاً على مستوى الدلالة، والمعنى، والإيحاء، والتأثير بدورها تخدم أغراضاً عليا للنص القرآني، هي أغراض يمكن وصفها بأنها وعظية، ودينية في المقام الأول.

الفاصلة في القرآن الكريم بصورة عامة جاءت ((لغرض معنوي يحتمه السياق، وتقتضيه الحكمة، ولا ضير أن يجتمع مع هذا الغرض المعنوي ما يتصل بجمال اللفظ وبديع الإيقاع))[3]

---

[1] ينظر: تفسير القرطبي: 544/15.

[2] ينظر: من بلاغة القرآن: 74.

[3] إعجاز القرآن: 202.

إنَّ الوظيفة الدلالية الأبرز التي استثمرت الفاصلة بجمالياتها وبلاغتها في أدائها هي الوظيفة التأثيرية الإقناعية، لتدخل بذلك الشاهد القرآني في أتون الحجاج في السياق النصي للخطبة، ويمكن توضيح ذلك فيما يأتي:

الحجاج في الشاهد القرآني:

الحجة1: أعملوا على مكانتكم.

الحجة 2: إنا عاملون

الحجة 3: أنتظروا

الحجة4: إنا منتظرون

النتيجة 1:تمثل أعداء الله أوامر الشيطان

النتيجة 2: تمثل المؤمنين أوامر الله سبحانه وتعالى

النتيجة الكبرى: تحدي أعداء الله وما يشدد أزرهم .

ويمكن توضيح سير الحجج باتجاه النتيجة كما يأتي:

اعملوا على مكانتكم ← إنا عاملون ← انتظروا

إنا منتظرون ← تمثل الكفار أوامر الشيطان ←

تمثل المؤمنين أوامر الله سبحانه وتعالى ← تحدي الكفار وما يشدد أزرهم.

أما الحجاج في نص الخطبة الذي ورد فيه الشاهد القرآني فكان على النحو الآتي:

الحجة 1: دونكموها.

الحجة 2: احتقبوها دِيرة الظّهر

الحجة 3: نَقبة الخفّ.

الحجة 4: باقية العار.

الحجة 5: موسومة بغضب الله.

الحجة 6: موسومة بشَنار الأبد.

الحجة 7: موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة.

الحجة8: فبعين الله ما تفعلون.

الحجة 9: وسَيعلم الذين ظَلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

الحجة 10: وأنا ابنة نذير لكم

الحجة 11: بين يدى عذاب شديد

الحجة12: فاعملوا إنّا عامِلون، وانتظروا مُنتظرون

النتيجة 1: تنازل الزهراء عليها السلام عن إرثها غير راضية

النتيجة 2: غضبها عليها السلام ودعاؤها

النتيجة3: إنذار الزهراء عليها السلام

النتيجة 4: تسليم الزهراء عليها السلام أمرها لله

النتيجة الكبرى: ثقل وقع الحدث على نفسها عليها السلام وتوكيلها الله سبحانه في مظلمتها.

إنّ الغاية العليا في النص هي التأثير في المتلقي وإقناعه بحق الزهراء عليها السلام في إرث أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فألحفت على الدعاء، والإنذار، والوعيد بعذاب أليم، ذلك أنها سلّمت حقّها غير قانعة، رافعة شكواها إلى الله سبحانه وتعالى، ليرفع عنها الظلم، وعليه جاء الشاهد القرآني في موضعه الأنسب من الخطبة حيث تماهى مع السياق النصي، وأصاب إلى جانب الأهداف الجمالية أهدافاً على مستوى دلالي حجاجي، فقوّى حضوره النصيّ في الخطبة الحجاج في النصّ عامة، وأثار انفعالات مقصودة بعينها، بعد مضاعفة التأثير في النص بفعل الهالة القدسية التي استحضرت في ذهن المتلقي مع الشاهد القرآني من موطنه الأصل، وهو القرآن الكريم، إلى جانب القدسية النابعة من العلاقة التي تربط المتكلم بنبيّ الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

إنّ هذا الإقناع يبتغي في نهاية المطاف تغييراً في سلوك المخاطب من الصمت على الظلم إلى فاعلية حقيقية، تحرّكها استثارة الانفعالات، والعواطف، والإقناع في آن معاً، فيندفع لرفع الظلم وإحقاق الحق، ونصرة أبنة سيد المرسلين عليه أفضل التسليم، ويسترد حقّها،

ويثلج صدرها الذي اعتملت فيه الحرقة، وأذاب أنفاسه وطأة الظلم، وفقدان الأمان برحيل أبيها عليه الصلاة والسلام وانتهاء الأمر فيها إلى مثل هذا الموقف.

إنّ جملة هذه الانفعالات والأحاسيس تماهت معها الفاصلة المختارة (عاملون – منتظرون) فالنون بغنتها، وصفاتها تشيع جرساً شجيّاً، يبثّ أنين الألم، ويردده في فضاء النص، ثم فضاء المتلقي الذهني، كل هذا له عظيم الأثر في استمالة المتلقي، والتأثير فيه، ثم إقناعه، ودفعه باتجاه سلوكيات يبتغيها المخاطب من النص برمته.

المبحث الثاني

التوازي وأثره الإيقاعي:

- **التوازي لغة:**

تدور الدلالة اللغوية للتوازي حول معاني المحاذاة، والاجتماع، والانقباض[1].

وهو التوازي من الجذر (وزي)، و يدل بدوره على معنى تجمع في شيء، واكتناز[2].

- **التوازي اصطلاحاً:**

إنّ التوازي في الاستعمال الاصطلاحي هو ((متواليتين متعاقبتين أو أكثر لنفس النظام الصرفي والنحوي المصاحب بتكررات، وإيقاعات صوتية، أو معجمية ودلالية))[3].

ومن التوازي في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: **(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)** [المائدة: 3].

إذ وردت في كلام للإمام الحسن (عليه السلام) حيث يقول فيها: ((ففرض عليكم الحج والعمرة وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية لنا أهل البيت، وجعلها لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض مفتاحا إلى سبيله، ولولا محمد (صلى الله عليه وآله سلم) وأوصياؤه كنتم حيارى، لا تعرفون فرضا من الفرائض، وهل تدخلون داراً إلا من بابها فلنا من الله عليكم بإقامة الأولياء، بعد نبيكم (ص) قال: **(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ)** اليوم أكملت لكم دينكم، ففرض عليكم لأوليائه حقوقاً وأمركم بأدائها إليهم، ليحلَّ لكم ما وراء ظهوركم من أزواجكم وأموالكم، ومآكلكم، ومشاربكم، ويعرفكم بذلك البركة والنماء والثروة، وليعلم من يطيعه منكم بالغيب))[4].

وقبل الخوض في دراسة التوازي وأثره الإيقاعي، ووظيفته الحجاجية في الآية الكريمة، نعرض لتفسيرها كما جاء في كتب التفاسير: أنّ المراد في قوله عز وجل: : **(ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ**

---

(1) ينظر: لسان العرب: 391/15.

(2) ينظر: معجم مقاييس اللغة: 107/6.

(3) التوازي ولغة الشعر، بحث: 79.

(4) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن: 36.

دِينَكُم)، اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون، فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي، وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم من الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم[1].

وهذه أكبر نعم الله عز وجل على الأمة إذ أكمل لهم دينهم فلا يحتاجون إلى دين آخر، ولا نبي غير نبيهم خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام[2].

(وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) وأتممت عليكم نعمتي أيها المؤمنون بإظهاركم على المشركين، ونفيي إياهم عن بلادكم، وقطعي آمالهم بعودتكم إلى الشرك. ومعنى قوله تعالى: **(وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا)** اخترت لكم الإسلام ديناً واصطفيته لكم، وكما ارتضيته لكم، ارضوه لأنفسكم، والزموه، ولا تبدوله، وتحولوا عنه[3].

لقد شكّل التوازي بؤرة دلالية، وإحدى البنيات المركزية التي نهضت عليها هيكلية الآية الكريمة، وهذه المركزية، والتنظيمية أبرز سمات التوازي؛ فالتوازي ((عنصر تأسيسي وتنظيمي في آن واحد))[4].

يقع التوازي في قوله تعالى: **(ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا)**، حيث تشكّلت حالة التساوي من تكرار التراكيب في بنية لغوية متشابهة في المتواليات المكونة للتوازي في الآية الكريمة التي صبّت في قالب لغوي واحد، وهن ثلاث متواليات:

الأولى: أكملتُ لكم دينكم.

الثانية: أتممت عليكم نعمتي.

الثالثة: رضيت لكم الإسلام.

---

(1) ينظر تفسير القرطبي: 518/9.

(2) ينظر: تفسير ابن كثير: 14/2.

(3) ينظر: تفسير الطبري: 83/8-84.

(4) والتلقي والتأويل: 149.

إذ تراصت البنيات اللغوية في التراكيب، وتشابهت في التكوين القائم على صيغة لغوية مكونة من (فعل + جار ومجرور + مفعول به)، ثم تكرار هذه الصيغة أو القالب اللغوي الواحد، مع اختلاف في الدلالة التي صبت في القالب اللغوي الموحد للمتواليات، فتنوعت التشكيلات اللغوية في المتواليات تحت إطار القالب الموحد. ويمكننا توضيح ذلك كما يأتي:

فعل ماض + ضمير متصل (تاء الفاعل) + جار ومجرور + مفعول به

أكملتُ	لكم	دينَكم
أتممتُ	عليكم	نعمتي
رضيتُ	لكم	الإسلامَ

حالة تساوي

توازي

والجدير بالذكر في هذا المقام أنّ التوازي في الآية الكريمة من التوازي التركيبي الذي ينهض على تقسيم الأحداث ((بشكل متماثل في الطول، والنغمة، والتكوين النحوي))[1].

والأحداث في النص القرآني المختار قد قسّمت ووزعت على المتواليات المتعاقبة التي بدورها تساوت في الطول، والنغمة، والتكوين النحوي، كما هو موضح أعلاه.

لقد تحقق التوازي في هذا السياق النصيّ بتعاقب ثلاث متتاليات، وقد جاءت متخمة بالطاقات الإيحائية والدلالية، وتؤدي وظائف قبلية قصدية، كانت قد أنيطت بها على مستوى الشكل والمضمون، وعلى صعيد الجمال والبلاغة، من جهة، والدلالة والتعبير، من جهة أخرى؛ فأما المهام البلاغية الجمالية فكان أبرزها: بثّ جرس موسيقي إيحائي، يتسنى له التسلل إلى نفس المتلقي، وجذبه، والاستئثار بحواسه، وذلك بفضل قدرات كامنة في طبيعة الجمل

[1] بلاغة الخطاب وعلم النص: 198.

الموزونة المتشابهة، حيث تستطيع أن ((تبعث في نفوسنا موجة من التوقع تأخذ في الدوران، فتوجد ذبذبات عاطفيّة على نحو غريب))[1].

ففي الشاهد أعلاه خلق التوازي من تكرار متعمد للنظام الصرفي الذي صيغت على سننه الجملة الأولى، وتكررت في الجمل أو المتواليات اللاحقة، مع تغير طرأ في الدلالة.

وفي الواقع إنّ التوازي في النص القرآني، من جهة، ونص الخطبة، من جهة أخرى، تمكن من إصابة أهداف عديدة، لعلَّ أبرزها أهداف تخص النظام الإيقاعي الذي ينتظم تحته النص، تتمثل بمدّ هذا النظام بالجرس الخفي المتجانس، والنغم الشفيف الرشيق الذي ينساب في السمع والقلب، وأخرى تخص الجانب التواصلي للنص؛ إذ يتأتى لمثل هذا التكرار المتعمد للإيقاع عينه تحقيق أهداف تأثيرية من استمالة المتلقي والاستحواذ على انتباهه، ودفعه إلى إصابة السمع وتلقف الرسالة المضمرة في النص وتمثلها، وأهداف تخص الجانب الدلالي؛ من إضفاء القوة والعمق على المعنى، وترسيخه في ذهن المتلقي من خلال تكراره في تشكيلات لغوية متراصة ومتلاحمة، ومتشابكة على مستوى الشكل والمضمون.

إنَّ للتوازي طاقاته الإيحائية والتأثيرية التي يبثّها في الفضاء النصي، على المستوى الأول، والفضاء الذهني للمتلقي، على المستوى الثاني، وهي طاقات تتأتّى له مما يغصّ به من الشحنات والانفعالات ((النفسية والإيحاءات الدلالية التي ترسم إحداثيات التوتر الإيقاعي المتناغم مع حركة النفس)) [2].

إنَّ التوازي بصورة عامة يصبّ جل اهتمامه على جانب التنسيق الصوتي، والإيقاع المنتظم[3].

وهذا جليّ في الشاهد المختار؛ حيث عمد الخطاب القرآني إلى صبّ المعاني في قالب لغوي نحوي واحد، تكرّرت فيه تشكيلات المتواليات الثلاث اللغوية، ووزّعت الأحداث اللغوية عليها بالتساوي، الأمر الذي كان من شأنه أن يضمن تواتر النغم والإيقاع عينه، يطرق أذن

---

[1] مبادئ النقد الأدبي، ترجمة مصطفى بدوي: 194.

[2] مباحث إيقاعية في اللغة العربية: 103.

[3] ينظر: البديع والتوازي: 32.

المتلقي، وأبواب قلبه، بارتفاع تارة، وانخفاض تارة أخرى، في تواتر يضارع التواتر الانفعالي ويوازيه، من جهة، ويتماهى مع الدفقات الشعورية والانفعالية المراد لتلك التراكيب والمتواليات، والتعبير عنها، وبثها في نفس المتلقي عبر الفضاء النصيّ، من جهة أخرى.

وفي حقيقة الأمر إنّنا لا نجانب الصواب إنْ قلنا: إنّ وظيفة التوازي ذات طابع جمالي في المقام الأول، وذلك انطلاقاً من الأثر النفسي، الانفعالي، الجمالي، الإيحائي للتوازي في النصوص، وصلته الوثيقة بالنظام الإيقاعي بشقيه الداخلي والخارجي للنصوص على تنوعها واختلاف طبيعتها، الأمر الذي يرخي سدولاً بلاغية على حضوره النصيّ، ويجعل من تموضعه النصي بؤراً تنضح بالموسيقى والنغم.

بيد أنَّ الجمال والبلاغة ليسا هدف التوازي ووظيفته الوحيدة، بل يحقق أيضاً أغراضاً دلالية حجاجية، إنما تتفجر طاقاتها في الخطابات تبعاً لقدرة المخاطب، وترويضه للغة وأساليبها، وتطويعها لتتثنى بين يديه ريشة ترسم انفعالات، وإيحاءات، ومشاعر، وأحاسيس تخاطب الجانب العاطفي من الإنسان، من جهة، وتخطّ الحجج، والبراهين، والأدلة، مخاطبة العقل والمنطق، من جهة أخرى.

ذلك أنّ تقديم المعاني في تشكيلات لغوية موحدة تتكرر في المتواليات يصيّر التوازي بؤرة جمالية، تبث النغم والإيقاع، وسحرهما، وبؤرة دلالية تنضح بالمعنى، وتراكمه، وترسخه، فبذلك يصبح التوازي في النص القرآني المذكور بؤرة دلالية جمالية في الوقت عينه، وبلا أي لبس، ولا أدنى تناقض، لأن التوازي يضمن ((تقسيم الحدث اللغوي إلى أزمنة منتظمة ذات علامات متكررة، وذات وظيفة وملمح جماليّ))[1].

وأما وظائفه على مستوى الدلالة فتحققت بفعل ميزاته التأثيرية المتأتية من طاقاته الإيحائية الكامنة، ومن التوظيف المتقن لسماته الموسيقية وقدراتها فيما يخص التأثير في المتلقي، من جهة، من جهة أخرى، زجّ التوازي بميزاته وخصائصه المتنوعة في البنية الحجاجية للنص القرآني في المستوى الأول، ونص الخطبة، في المستوى الثاني، الأمر الذي يوظف جماليات التوازي وبلاغته في مستوى الحجاج والإقناع، و يأتي في طليعة أهدافها

---

[1] علم الأصوات تعريب ودراسة: 199.

التأثير في المتلقي وضمان تفاعله، واستجابته لمضمون الرسالة التواصلية للنص، الأمر الذي يترتب عليه تغيير في قناعات المتلقي التي تؤدي بدورها إلى تغيير في أنماطه السلوكية.

يتسنى للتوازي بوصفه أحد الميكانيزمات الفعّالة إصابة الغاية التأثيرية، عبر استثمار الميزات البلاغية الجمالية، وخاصة منها ما يتعلق بالجانب الموسيقي الإيقاعي لجذب انتباه المتلقي، واستمرار إصغائه واستجابته، وذلك عبر ((إحداث إحساس مستجاب بالإفادة من جرس الألفاظ، وتناغم العبارات))[1].

وعليه تتعالق الوظيفتان البلاغية والدلالية للتوازي في النص القرآني والخطبة؛ حيث تسخّر الأولى لخدمة الثانية، وتصبّ في دعم الحجاج، ودفع الوجهة الحجاجية باتجاه حجاجي واحد يبتغيه الخطاب، ويمكننا توضيح ذلك فيما يأتي:

الحجة 1:أكملتُ لكم دينكم.

الحجة 2: أتممت عليكم نعمتي.

الحجة 3: رضيت لكم الإسلام.

النتيجة1: تمام النعمة.

النتيجة 2: كمال الدين.

النتيجة3: انعدام الحاجة إلى دين آخر.

النتيجة الكبرى: لزوم الدين وعدم التحول عنه.

ويمكننا توضيح الوجهة الحجاجية كما يلي:

أكملتُ لكم دينكم ← أتممت عليكم نعمتي ← رضيت لكم الإسلام

← تمام النعمة ← كمال الدين ← انعدام الحاجة إلى دين آخر

← لزوم الدين وعدم التحول عنه

والنتيجة كما نلاحظ ليست معلنة بل يقود إليها السياق.

---

[1] المعجم الأدبي: 44.

أمّا في الخطبة فقد زجت الآية الكريمة في الحجاج أيضاً، والآية صارت حجة في السياق النصي للخطبة تدعم الوجهة الحجاجية، وتدفعها باتجاه النتيجة الكبرى:

الحجة 1: الحج والعمرة فريضة .

الحجة 2: الصلاة فريضة.

الحجة 3:الزكاة فريضة.

الحجة 4: الولاية فرض من فروض الله عز وجل: (ففرض عليكم الحج والعمرة وأقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والصوم، والولاية لنا أهل البيت).

الحجة 5: الولاية باب الفرائض(وجعلها لكم باباً لتفتحوا به أبواب الفرائض).

الحجة 6: الولاية مفتاح سبيل الله عز وجل(مفتاحا إلى سبيله).

الحجة 7: النبيّ محمد صلى الله عليه واله وسلم نعمة الله ومنته على هذه الأمة (ولولا محمد صلى الله عليه وسلم وأوصياؤه كنتم حيارى).

الحجة 8: النبي (ص) علمكم الفرائض (لا تعرفون فرضا من الفرائض).

الحجة 9: إقامة الأولياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه واله وسلم حق (وهل تدخلون داراً إلا من بابها فلنا من الله عليكم بإقامة الأولياء، بعد نبيكم (ص)).

الحجة 10: النبي على لسان الوحي قال: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا).

النتيجة1: للأولياء عليهم السلام حقوق على المسلمين.

النتيجة 2: أداء حقوق الأولياء عليهم السلام فرض (ففرض عليكم لأوليائه حقوقا وأمركم بأدائها إليهم).

النتيجة الكبرى: للأولياء حقوق أداؤها فريضة والولاية باب الفرائض أجمعها.

ويمكننا توضيح الوجهة الحجاجية على النحو الآتي:

الحج والعمرة فريضة . ← الصلاة فريضة. ← الزكاة فريضة.

الولاية فرض من فروض الله عز وجل ← الولاية باب الفرائض

الولاية مفتاح سبيل الله عز وجل ← النبيّ محمد (صلى الله عليه واله وسلم)

نعمة الله ومنته على هذه الأمة ← النبي (ص) علمكم الفرائض ←

إقامة الأولياء عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم حق ←

النبي على لسان الوحي قال: (اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينا). ← للأولياء عليهم السلام حقوق على المسلمين ←

النتيجة: أداء حقوق الأولياء عليهم السلام فرض ← للأولياء حقوق أداؤها فريضة والولاية باب الفرائض أجمعها.

وعليه يمكننا القول إنّ التوازي قد نجح في أداء وظائفه الدلالية والجمالية في الخطبة، وأسدل عليها حضوره النصيّ ستاراً من البلاغة والألق، فاستحوذ على انتباه المتلقي بفضل رتمه الخاص الذي أخذ القارئ معه في فضاء من سحر النغم، يمتطي جواد الإيقاع، ويتأرجح بين سماء الإيقاع، وأرض الجرس الشفيف الخفي، بيد أنّ خطف القارئ في رحلة مع النغم لم يخرج التوازي من حقل الحجاج والدلالة، بل وظف هذا السحر الموسيقي في خدمة الحجاج، وقيادة الوجهة الحجاجية، وأداء ربقة من الوظائف على المستوى الدلالي، فكان التوازي في الآية الكريمة، ثم في تموضعه من نص الخطبة ينضح بطاقات إيحائية، ودلالية في آن معاً، واستطاع أن يتم مهامه المتنوعة التي أنيطت به بصورة قبلية على أكمل وجه، سواء في إطار الآية الكريمة أم في نص الخطبة.

المبحث الثالث

التكرار وأثره الإيقاعي:

- **التكرار لغة:**

تشير الدلالة اللغوية للتكرار إلى معان عدة منها الرجوع، والإعادة؛ و الكرّ: مصدر كرّ عليه، ويكرّ كرّاً تكراراً، عطف وكرّ عنه: رجع، وكرّ على العدو يكرّ، ورجل كرّار، ومكرّ، وكذلك الفرس. و كرّ الشيء، وكركره أي: أعاده مرّة بعد أخرى، والكرّة: المرّة، والجمع الكرّات. ويقال: كررت عليه الحديث، وكركرته إذا رددته عليه، والكرّ هو الرجوع على الشيء[1].

- **التكرار اصطلاحاً:**

إنّ التكرار في الاستعمال الاصطلاحيّ هو: الإثبات بشيء مرة بعد مرة[2].

ويعرف كذلك بأنّه: دلالة اللفظ على المعنى مرددا[3].

ومن التكرار في الشواهد القرآنية اخترنا مثالاً قوله تعالى: **(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ)** [الأنعام: 103].

إذ وردت الآية الكريمة في كلام للإمام الحسن (عليه السلام)، يقول فيها: ((الحمد لله الواحد بغير شبيه، الدائم بغير تكوين، القائم بغير كلفة، الخالق بغير منصبة، الموصوف بغير غاية، المعروف بغير محدودية، العزيز الذي لم يزل قديماً في القدم، ردعت القلوب لهيبته، وذهلت العقول لعزته وخضعت الرقاب لقدرته، فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته، ولا يبلغ الناس كنه جلاله، ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته، ولا تبلغه العلماء بألبابها، ولا أهل التفكير بالتفكر بتدبير أمورها، أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه، يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير)) [4].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الطبري[5]: اختلف في تأويل قوله تعالى**(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ)**، فمنهم من قال: إنّ المقصود هو أنّ الأبصار لا تحيط به جل وعلا، وهو

---

(1) ينظر: لسان العرب : مادة (ك رر)390/5.

(2) ينظر: التعريفات: 13.

(3) ينظر: المثل السائل في أدب الكاتب والشاعر: 146/2.

(4) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن: 7.

(5) ينظر: تفسير الطبري: 14/12.

يحيط بها، ذلك أن الإحاطة به غير جائزة؛ فالمؤمنون يرون ربّهم بأبصارهم، ولا تدركه أبصارهم، حيث كان غير جائز أن يوصف الله تعالى بأن شيئاً ما يمكنه الإحاطة به.

وقيل: إنّ المعنى هو: لا تراه، بعيد؛ فالشيء قد يدرك الشيء، ولا يراه. وقيل: إنّ عدم إدراك أبصار الخلائق له جل وعلا يقتصر على الحياة الدنيا، أما في الآخرة فإنّها تستطيع إدراكه سبحانه تعالى، والإدراك هنا هو الرؤية.

(وهو اللطيف الخبير): والله تعالى ذكره يتسنى له من إدراك الأبصار، ويتأتى لطفه من الإحاطة بها رؤية ما يعسر على الأبصار من إدراكها إياه، وإحاطتها به، ويتعذر عليها.

(الخبير): أي العليم بخلقه، وأبصارهم، والأمر الذي ترد إليه عدم قدرتها على إدراكه، فلطف بقدرته فيها إبصار خلقه هيئة لا تدركه، وخبر بعلمه كيف تدبيرها وشؤونها، وما هو أصلح بخلقه. وقيل: إنّ المراد هو أنه جل وعلا اللطيف باستخراجها، والخبير بمكانها.

إنّ التكرار في الشاهد القرآني يصيب أهدافاً على مستويات عدة من النص، ولعلّ أبرزها المستوى الدلالي الحجاجي؛ حيث تنزاح الطاقات الجمالية البلاغية للتكرار عن مسارها لتنتقل إلى مستوى أعمق من النص، وتقحم في مجال تواصليّ حجاجي؛ ويمكننا توضيح ذلك فيما يأتي:

الحجاج في الشاهد القرآني:

الحجة1: عجز الأبصار عن إدراكه تعالى (لا تدركه الأبصار)

الحجة 2: إدراكه تعالى للأبصار (وهو يدرك الأبصار)

النتيجة1: وهو اللطيف

النتيجة 2: هو الخبير

النتيجة3: ضعف المخلوق

النتيجة4: وجوب خضوع المخلوق للخالق

النتيجة الكبرى: عظمة الله سبحانه، ووجوب الخضوع له.

وسير الحجج باتجاه النتيجة كما يلي:

عجز الأبصار عن إدراكه تعالى ⟸ إدراكه تعالى للأبصار

وهو اللطيف ← هو الخبير

ضعف المخلوق ← وجوب خضوع المخلوق للخالق

عظمة الله سبحانه وتعالى، ووجوب الخضوع له

الحجاج في نص الخطبة:

الحجة1: الله الواحد

الحجة2: لامثيل له سبحانه (بغير شبيه)

الحجة3: الدائم بغير تكوين

الحجة4: القائم بغير كلفة

الحجة5: الخالق بغير منصبة

الحجة6: الموصوف بغير غاية

الحجة 7: المعروف يغير محدودية

الحجة 8: العزيز

الحجة 9: القديم في القدم (الذي لم يزل قديما في القدم)

الحجة 10: هيبته تعالى (ردعت القلوب لهيبته)

الحجة 11: العزيز (وذهلت العقول لعزته)

الحجة 12: القدير (وخضعت الرقاب لقدرته)

الحجة 13: الجبار (فليس يخطر على قلب بشر مبلغ جبروته)

الحجة 14: جلاله تعالى (ولا يبلغ الناس كنه جلاله)

الحجة 15: عظمته (ولا يفصح الواصفون منهم لكنه عظمته)

الحجة 16: بعده عن الإدراك البشري (ولا تبلغه العلماء بألبابها- ولا أهل التفكير بالتفكر بتدبير أمورها)

الحجة 17: علمه (أعلم خلقه به الذي بالحد لا يصفه)

الحجة 18: الشاهد القرآني (يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير)

النتيجة1: وحدانية الله تعالى

النتيجة 2: عظمة الخالق

النتيجة الكبرى: عظمة الخالق، ووجوب الخضوع له.

ويمكننا توضيح سير الوجهة الحجاجية التي قادت الحجج وانتظام الحجج باتجاه النتيجة فيما يأتي:

الله الواحد ← لامثيل له سبحانه ← الدائم بغير تكوين

القائم بغير كلفة ← الخالق بغير منصبة

الموصوف بغير غاية ← المعروف يغير محدودية

العزيز ← القديم في القدم ← هيبته تعالى

العزيز ← القدير ← الجبار

جلاله تعالى ← عظمته ← بعده عن الإدراك البشري

علمه ← الشاهد القرآني : **(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ)** (يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير).

وحدانية الله تعالى ← عظمة الخالق

عظمة الخالق، ووجوب الخضوع له.

أما عن فعالية الشاهد القرآني الحجاجية، وتماهيه مع السياق النصي فكانت على النحو الآتي:

الله الواحد ← لامثيل له سبحانه ← الدائم بغير تكوين

القائم بغير كلفة ← الخالق بغير منصبة

الموصوف بغير غاية ← المعروف يغير محدودية

العزيز ← القديم في القدم ← هيبته تعالى

العزيز ← القدير ← الجبار

جلاله تعالى ← عظمته ← بعده عن الإدراك البشري

الشاهد القرآني : **(لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ)** (يدرك الأبصار، ولا تدركه الأبصار، وهو اللطيف الخبير). ← علمه

عجز الأبصار عن إدراكه تعالى ← إدراكه تعالى للأبصار

وهو اللطيف ← هو الخبير

ضعف المخلوق ← وجوب خضوع المخلوق للخالق

عظمة الله سبحانه وتعالى، ووجوب الخضوع له

وحدانية الله تعالى ← عظمة الله سبحانه وتعالى

عظمة الخالق، ووجوب الخضوع له

إنّ أسلوب التكرار – كما هو بيّن– شكّل في الشاهد القرآنيّ بؤرة دلالية، وبنية محورية تتضدت حولها بقية البنيات، وتواءم التكرار مع الدفقات الشعوريّة، وطبيعة الانفعالات التي يهدف النص لإستثارتها في المتلقي.

ولا نجانب الصواب إن قلنا بمركزية التكرار، ومحوريته في النص؛ فالتكرار حقيقة ((هو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى)) [1].

وحيث كان المعنى العميق للنص إثبات عظمة الله سبحانه وتعالى، واستعصائه على الإدراك والفهم البشريّ، ولطفه، وخبرته، ولا محدوديته مقابل تناهي الكيان البشري في المحدودية والصغر، والضعف، والعجز أمامه جل وعلا، صبّ المعنى في قالب لغويّ تنوعت تشكيلاته، لتؤدي في نهاية المطاف المعنى عينه، والمتلخص في عظمة الخالق، وضعف المخلوق، ووجوب الخضوع لله سبحانه وتعالى:

لا تدركه الأبصار ← عظمة الخالق ← ضعف المخلوق

---

[1] بناء الأسلوب في شعر الحداثة: 109.

ووجوب الخضوع لله سبحانه وتعالى

هو يدرك الأبصار ← عظمة الخالق ← ضعف المخلوق

ووجوب الخضوع لله سبحانه وتعالى

والتكرار جاء في تشكيلتين لغويتين لمعنى واحد (إدراك البصر)، صبّ في صيغ لغوية متباينة بعض الشيء:

(فعل + مفعول به + فاعل) ← لاتدركه الأبصار

(فعل + مفعول به) ← يدرك الأبصار

إنّ الاختلافات بين الصيغتين تصبّ في خدمة المعنى العميق المشترك؛ فجاءت الأولى مع النفي (لاتدركه الأبصار)، لتؤكد عجز المخلوق عن إدراك الخالق، ثم يتكرر معنى العجز مرة أخرى لكن بإزاحة الفاعلية والقدرة بعد نفيها من القطب الأول وهو المخلوق، باتجاه القطب الآخر، وهو الخالق عز وجل، فجاءت الصيغة الثانية مثبتة (يدرك الأبصار)؛ فهو يدرك الأبصار التي تعجز عن إدراكه.

وبشيء من التأمل نجد أن التكرار كان أيضاً على مستوى اللفظ، بتكرار كلمة (الأبصار) مع تغيير في تموضعها داخل الصيغة اللغوية، فكانت في التشكيل الأول فاعلاً، فأصبحت في التشكيل الثاني مفعولاً به.

كما كان التكرار في الفعل المختار مع تغيير في إسناده إلى الضمير أنيط به تغيير في المعنى بالضرورة (تدركه – يدرك) .

والتكرار كان على مستوى الدلالة بصورة رئيسة؛ حيث أفضت الصيغتان اللغويتان إلى ترسيخ معنى واحد مشترك هو (عظمة الخالق وضعف المخلوق) الذي يؤدي بدوره إلى دعم النتيجة الكبرى للحجاج في النص، وهي عظمة الخالق ووجوب الخضوع له.

إنّ التكرار بصورة عامة له أغراض على مستوى الجمال والدلالة تتمثل بـ: بلاغة التعبير، والتوكيد، والإشارة إلى أهمية المعنى المكرر، وإيلائه العناية، إلى جانب الجمال في الأداء اللغوي[1].

---

[1] التكرار في الشعر السوري المعاصر: 55.

والتكرار في الشاهد القرآني أصاب ذلك كله؛ فأما الجمال فتحقق بفضل قدرته على بث نغم متواتر، تأتى من تكرار فونيمات بعينها، مع تلوين في النغم، نابع من تغيير بسيط في التشكيل اللغوي، نجم عنه تغيير عميق في الدلالة، الأمر الذي كان له عظيم الأثر في نفس المتلقي الذي سقط في جاذبية النغم القرآني، وانساب معه في سيل المعنى والموسيقى.

ولبعض الفونيمات حضور مكثّف في العبارتين القصيرتين؛ حيث تكرر حرف الراء أربع مرات، والراء بصفاته (الجهر – القوة – التكرير – التفخيم) استطاع بث نغمة، ترددت صادحة في الرتم الكليّ للتشكيلات اللغوية في الآية الكريمة.

دعم الإيقاع في الشاهد القرآني الاختيار الدقيق للفونيمات التي تواءمت في انسجام تام مع الانفعالات، والدفقات الشعورية، والمحتوى المضموني للتراكيب، واستثمرت صفاتها لتبث نغماً مقصوداً بعينه؛ فالباء من أبرز صفاته (الشدة – الجهر – الانفتاح – القلقلة) والصاد (الصفير – همس– الإطباق– الاستعلاء– الرخاوة)، (الكاف)، (الهمس – الشدة – الانفتاح)، الهاء (الهمس – الرخاوة– الإستفال)، والتاء (الهمس– الشدة – الاستفال– الانفتاح)، والدال (الجهر – الشدة – الاستفال– الانفتاح – القلقة)، والألف (انفجار – جهر – الشدة– الاستفال– الانفتاح).

فكل فونيم بث نغمة خاصة منوطة بصفاته، ثم تكررت تلك النغمة مع تكرار التركيب في التشكيل اللغوي الثاني أو الصيغة اللغوية الثانية، ومع التقاطع في الصفات لبعضها، والاختلاف في بعضها الآخر خلق رتم تردد في النص، ورجع صداه في نفس المتلقي.

هذه التأثير الناجم عن الإيقاع يوظف في خدمة المستوى الدلالي الحجاجي في نص الخطبة؛ حيث يضاعف التأثير بعد اقترانه بالوجهة الحجاجية للشاهد القرآني، في المقام الأول، ولنص الخطبة الذي وظف فيه، في المقام الثاني.

وعمق التأثير إنّما ينبع من قوة الحجاج في الخطاب في حالتي الإيجاب والسلب، مما ضاعف القدرة على توليد المعنى، وتأطيره في الفضاء النصي[1].

---

[1] ينظر: فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري، بحث: 30.

وعلى هذا النحو كان استثمار طاقات التكرار بجمالياته الإيقاعية الموسيقية، والإيحائية التعبيرية في خدمة الحجاج والدلالة في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء عليهم السلام حيث تماهى مع السياقات النصية، وتنوع بتنوعها.

المبحث الرابع

الجناس وأثره الإيقاعي:

- **الجناسُ لغةً:**

إنّ الجنسُ في اللغة هو الضربُ من كلِّ شيءٍ، وهو من النّاسِ، ومن الطيرِ، ومن حدود النحو والعروض والأشياء بصورة عامة . ويُقالُ: هذا يجانسُ هذا أي يشاكلُه، وفلان يجانس البهائم ولايجانس الناس إذا لم يكن له تمييز ولاعقل[1].

- **الجناس اصطلاحاً:**

إن الجناس في الاستعمال الاصطلاحي هو:((أن يوردَ المتكلّم – في الكلام القصير نحو البيت من الشعر، والجزء من الرسالة أو الخطبة– كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما

---

[1] ينظر: لسان العرب: مادة: (جنس):383/2.

صاحبتها في تأليف حروفها))[1]. ويعرف السكاكي الجناس على أنّه ((تشابه الكلمتين في اللفظ))[2].

ومن الجناس في الشواهد القرآنية المختارة في كلام أصحاب الكساء نذكر قوله تعالى: **(يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ)** [إبراهيم: 27].

والآية الكريمة وردت في كلام للرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم، اخترنا منها قوله (عليه الصلاة والسلام): ((فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: مادينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟. فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيقولان له: وما علمك بهذا؟، فيقول: قرأت كتاب الله؛ فآمنت به وصدقت، فينتهره، فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ – وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن– فذلك حين يقول الله عز وجل(يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)، فينادي مناد في السماء: أنْ صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة))[3].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا) إنّ الله تعالى يوجه كلامه للمؤمنين، أي الذين قاموا بما عليهم من الإيمان القلبيّ التامّ، الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبّتهم الله: وهذا التثبيت يكون على عدة مستويات منها: في الحياة الدنيا: من مثل حالات ورود الشبهات يكون تثبيتهم عبر الهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات يكون تثبيتهم بالإرادة الجازمة على إيثار ما يحبه الله على هوى النفس ومرادها.

---

[1] كتاب الصناعتين: 33.

[2] مفتاح العلوم: 429.

[3] خطب الرسول: 74.

وأما المستوى الآخر في الآخرة: فيكون تثبيتهم عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي، وحسن الخاتمة.

وأما في القبر: عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ يثبتهم جل وعلا بهدايتهم إلى الجواب الصحيح؛ بأن يقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي[1].

وللجناس في الشاهد القرآني ألقه وتميزه، وفيما يأتي سنتقفي آثاره الجمالية والدلالية في السياقات النصية للشاهد من جهة، ولنص الخطبة، من جهة أخرى:

الجناس جاء في قوله جل وعلا: (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا) في اللفظتين (يثبت – الثابت)، وتنوعت الصيغة اللغوية للجذر عينه بين الفعل (يثبت) واسم الفاعل (الثابت) في تشكيلتين لغويتين تربطهما علاقات مجاورة، ويمدان المعنى الكلي بالقوة والعمق الدلالي.

إن الجناس في الشاهد القرآني المذكور من جناس الاشتقاق، وهو أن يتفق أصل اللفظتين في الإشتقاق[2]. الأمر الذي يعمق ارتباط اللفظتين في ذهن المتلقي، ويحفزه للبحث عن طبيعة العلاقة بينهما في النص.

إنَّ الدقة في انتقاء الألفاظ من على محور الاختيار، وربطها بشبكة علاقات متقنة على المحور الأفقي في النص القرآني المختار شاهداً يمثل الجناس الاشتقاقي هنا أحد تجلياته؛ فالتجانس بين اللفظتين (ثبت – ثابت) كان له بالغ الأثر في نزولهما موقعاً أثيراً من نفس المتلقي، إذ حقق اشتراك اللفظتين المتجانستين في الحروف مع تغيير في ترتيبها بما يتماهى مع السياق النصي جمالية تأتت من بث جرس متلون، مصدره الفونيمات التي استثمرت في صيغتين لغويتين متنوعتين،و مشتركتين في الاشتقاق، الأمر الذي ضمن للجناس إصاخة المتلقي السمع لرجع صداه، ونغمه الشفيف الذي يمد الإيقاع الداخلي للبناء النصي برتم خاص، ومميز، يلفت انتباه المتلقي، ويقحمه في عملية إنتاج النص، باحثاً عن كنه هذا

---

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان – تفسير السعدين: 849/4.

[2] ينظر: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح: 82/4.

الصدى الموسيقي، وألقه، ودواله ومدلولاته في رحلة جمالية دلالية الطابع، تبدأ بالبحث عن مصدر النغم، وتنتهي بربط الدوال بمدلولاتها بغرض القبض على الدلالة.

ونحن نعلم أن بلاغة الجناس – على اختلاف أنواعه– تنبع من استحسان القارئ له بفعل ((تجانس اللفظتين إلّا إذا كان وقع معنييهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيداً))[1].

واللفظتان المختارتان للجناس الاشتقاقي المذكور لا يخفى ما بينهما من تناغم، وانسجام، الأمر الذي يضاعف تأثيره، وقدرته على استمالة المتلقي، وجذب انتباهه، وإصاخته السمع للقول ومضمونه، ويضاعف قدرتهما على بث النغم، ودعم الإيقاع الداخلي في النص القرآني أولاً، ونص الخطبة ثانياً.

أما فيما يخص الوظيفة الدلالية للجناس فشأنه شأن مصادر الإيقاع الأخرى وظفت طاقاته الإيحائية والتعبيرية في مستوى دلالي حجاجي، ويمكننا توضيح ذلك فيما يأتي:

الحجاج في الآية الكريمة:

الحجة1: تثبيت المؤمنين (يثبت الله الذين آمنوا)

الحجة2: هدايتهم إلى الثبات في القول (بالقول الثابت)

الحجة3: التثبيت داخل حدود الحياة الدنيا حتى القبر (في الحياة الدنيا)

النتيجة 1: تثبيت الله عز وجل للمؤمنين في دنياهم

النتيجة 2: هدايتهم إلى الثبات على دينهم وقولهم عند السؤال

النتيجة الكبرى: ثبات المؤمنين

وتتعاقب الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

تثبيت المؤمنين ⟵ هدايتهم إلى الثبات في القول

⟵ التثبيت داخل حدود الحياة الدنيا حتى القبر ⟵

⟵ تثبيت الله عز وجل للمؤمنين في دنياهم ⟵ ثبات المؤمنين

⟵ هدايتهم إلى الثبات على دينهم وقولهم عند السؤال

---

[1] أسرار البلاغة: 7.

الحجاج في نص الخطبة:

الحجة1: حضور الملكين (فيأتيه ملكان شديدا الانتهار)

الحجة2: انتهارهما للمؤمن في قبره (فينتهرانه، ويجلسانه)

الحجة 3: مساءلة الملكين للمؤمن عن ربه (فيقولان له: من ربك؟)

الحجة 4: إجابة المؤمن الله (فيقول: ربي الله)

الحجة 6: سؤاله عن دينه (فيقولان له مادينك؟)

الحجة 7: إجابة المؤمن الإسلام (فيقول: ديني الإسلام)

الحجة 8: سؤاله عن الرسول (ص) (فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟)

الحجة9: إجابة المؤمن هو رسول الله عليه الصلاة والسلام (فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) .

الحجة10: سؤاله عن مصدر علمه (فيقولان له: وما علمك بهذا؟)

الحجة 11: إجابة المؤمن كتاب الله (فيقول: قرأت كتاب الله)

الحجة 12: إيمانه بكتاب الله (فآمنت به)

الحجة 13: تصديقه كلام الله تعالى في كتابه (وصدقت)

الحجة 14: إلحاف الملكين على السؤال (فينتهرانه، فيقول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟)

الحجة 15: الشاهد القرآني فذلك حين يقول الله عز وجل(يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا).

الحجة 16: ثبات المؤمن والتزامه قوله عينه (فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم)

النتيجة 1: التصديق على أقواله في السماء (فينادي مناد في السماء: أنْ صدق عبدي)

النتيجة2: فرشه من الجنة (فافرشوه من الجنة)

النتيجة 3: إكساءه من الجنة (وألبسوه من الجنة)

النتيجة 4: فتح باب الجنة له (وافتحوا له باباً إلى الجنة)

النتيجة الكبرى: ثبات المؤمن، وفوزه بالجنة ونعيمها

أما سير الحجج باتجاه النتيجة فكان على النحو الآتي:

حضور الملكين ← انتهارهما للمؤمن في قبره ← مساءلة الملكين للمؤمن عن ربه

← إجابة المؤمن الله ← سؤاله عن دينه ← إجابة المؤمن الإسلام

← سؤاله عن الرسول (ص) ← إجابة المؤمن هو رسول الله عليه الصلاة والسلام

← سؤاله عن مصدر علمه ← إجابة المؤمن كتاب الله

← إيمانه بكتاب الله ← تصديقه كلام الله تعالى في كتابه

← إلحاف الملكين على السؤال

الشاهد القرآني فذلك حين يقول الله عز وجل(يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا). ← ثبات المؤمن والتزامه قوله عينه ← التصديق على أقواله في السماء ← فرشه من الجنة ← إكساءه من الجنة فتح باب الجنة له ← ثبات المؤمن، وفوزه بالجنة ونعيمها.

أما فيما يخص فاعلية الشاهد القرآني في تقوية الحجاج، والتماهي مع السياق النصي، ودفع الحجج في الوجهة الحجاجية باتجاه النتيجة الكبرى والعليا في نص الخطبة، فكانت على النحو الآتي:

حضور الملكين ← انتهارهما للمؤمن في قبره ← مساءلة الملكين للمؤمن عن ربه

← إجابة المؤمن الله ← سؤاله عن دينه ← إجابة المؤمن الإسلام

← سؤاله عن الرسول (ص) ← إجابة المؤمن هو رسول الله (ص)

← سؤاله عن مصدر علمه ← إجابة المؤمن كتاب الله

إيمانه بكتاب الله ← تصديقه كلام الله تعالى في كتابه

إلحاف الملكين على السؤال

الشاهد القرآني فذلك حين يقول الله عز وجل: (يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا).

تثبيت المؤمنين ← هدايتهم إلى الثبات في القول

التثبيت داخل حدود الحياة الدنيا حتى القبر

تثبيت الله عز وجل للمؤمنين في دنياهم ← ثبات المؤمنين

هدايتهم إلى الثبات على دينهم وقولهم عند السؤال

ثبات المؤمن والتزامه قوله عينه ← التصديق على أقواله

في السماء ← فرشه من الجنة ← إكساءه من الجنة

فتح باب الجنة له ← ثبات المؤمن، وفوزه بالجنة ونعيمها

وعليه لا نجانب الصواب إن قلنا بتفرد الحضور النصي للجناس في الشاهد القرآني، أولاً، ونص الخطبة، ثانياً، حيث شكل الجناس بؤرة دلالية، تنضح بالموسيقى والنغم، والإيحاء، والتعبير والتأثير، والإقناع، في آن معاً .

ومن أمثلة استثمار الجناس وأثره الإيقاعي في الشواهد القرآنية لأداء وظائف حجاجية في الخطب اخترنا أيضاً قوله عز وجل: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)**[الأحزاب: 33].

إذ وردت الآية الكريمة في كلام للإمام الحسن عليه السلام، يقول فيها: ((فأخرج جدي معه من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين، ومن النساء أمي فاطمة، فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا، وقد قال الله تبارك وتعالى: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا)** فلما نزلت هذه جمعنا جدي: وأخي وأمي وأبي ونفسه في كساء خيبري في حجرة أم سلمة رضي الله عنها فقال: اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. فقالت أم سلمة أنا أدخل معهم يا رسول الله ؟ فقال: قفي مكانك يرحمك الله أنت على خير، وأنها خاصة لي ولهم)) [1].

---

[1] الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن: 57.

وتفسير الآية الكريمة كما جاء في كتب التفاسير: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا)** نزلت في خمسة: النبي عليه الصلاة والسلام، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين عليهم السلام[1]، هم أهل البيت طهرهم الله من كل سوء، واختصهم برحمته[2].

إنَّ الجناس في الشاهد القرآني المذكور وقع في قوله (يطهركم تطهيراً)، وهو جناس اشتقاقي حيث تشترك اللفظتان في أصل الاشتقاق، وجاء الجناس في صيغتين نحويتين متغايرتين (فعل – يطهركم) و (اسم – تطهيرا) متماثلتين في الحروف وعددها، مع تغيير بسيط فيهما باستبدال بعض الحروف، نجم عنه تغيير في الصيغة اللغوية، رافقته عملية توليد، ومضاعفة للمعنى المراد وهو الطهارة .

وفي الواقع أنّ ((مناسبة الألفاظ تحدث ميلاً وإصغاء إليها، ولأن اللفظ المشترك إذا حمل على معنى، ثم جاء والمراد به آخر كان للنفس تشوق إليه))[3].

وتواؤم اللفظتين واشتراكهما في أصل الاشتقاق ضاعف الطاقة الإيحائية والتأثيرية، كما ضاعف قوة المعنى، بتأكيده وترسيخه في ذهن المتلقي، وعليه شكل الجناس أحد ركائز الدلالة الرئيسة بدعمه للمعنى، ودعمه للإيقاع الداخلي، ببثه جرساً موسيقياً متواتراً، وذلك كله بفضل استثمار الطاقات اللغوية والصرفية للكلمتين المشكلتين للجناس.

وفيما يخص الوظائف الدلالية، وظّف الجناس بجمالياته في مستوى حجاجي إقناعي، يمكننا توضيحه فيما يأتي:

الحجاج في الآية الكريمة:

الحجة 1: إرادة الله تعالى (إنما يريد الله)

الحجة 2: ذهاب الرجس عن أهل البيت (ليذهب عنكم الرجس أهل البيت)

الحجة 3: نقاء أهل البيت من كل مفسدة وسوء (ويطهركم تطهيرا)

---

(1) ينظر: أسباب النزول، المسمى لباب النقول في أسباب النزول: 185/1.

(2) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور: 37/12.

(3) الإتقان في علوم القرآن: 244/2 .

النتيجة: طهارة أهل البيت

تتدافع الحجج في الآية باتجاه النتيجة على النحو التالي:

إرادة الله تعالى ← ذهاب الرجس عن أهل البيت

← نقاء أهل البيت من كل مفسدة وسوء ← طهارة أهل البيت

الحجاج في الخطبة:

الحجة 1: اصطفاء علي وولديه عليهم السلام (فأخرج جدي معه من الأنفس أبي، ومن البنين أنا وأخي الحسين)

الحجة 2: اصطفاء الزهراء عليها السلام (ومن النساء أمي فاطمة)

الحجة 3: فاطمة وزوجها وولداها عليهم السلام هم أهل النبي (ص) (فنحن أهله ولحمه ودمه ونفسه، ونحن منه وهو منا).

الحجة4: الشاهد القرآني، وقد قال الله تبارك وتعالى: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا)**

الحجة 5: اجتماع أهل البيت تحت كساء النبي (ص) (فلما نزلت هذه جمعنا جدي: وأخي وأمي وأبي ونفسه في كساء خيبري)

الحجة6: رفض النبي (ص) دخول أم سلمة الكساء (فقالت أم سلمة أنا أدخل معهم يا رسول الله ؟ فقال: قفي مكانك يرحمك الله أنت على خير)

الحجة 7: خص النبي(ص) وأهله بالتطهير والآية الكريمة (وأنها خاصة لي ولهم)

النتيجة: اصطفاء النبي (ص) وأهل بيته وخصهم بالتطهير والنقاء

سير الحجج باتجاه النتيجة كان على النحو الآتي:

اصطفاء علي وولديه عليهم السلام ← اصطفاء الزهراء عليها السلام

← فاطمة وزوجها وولداها عليهم السلام هم أهل النبي عليه الصلاة والسلام

← اجتماع أهل البيت تحت كساء النبي (ص) ← الشاهد القرآني (وقد قال الله تبارك وتعالى: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا)**

رفض النبي (ص) دخول أم سلمة الكساء ← خص النبي (ص) وأهله

بالتطهير والآية الكريمة ← اصطفاء النبي (ص) وأهل بيته وخصهم بالتطهير والنقاء

أما فاعلية الشاهد القرآني الحجاجية في نص الخطبة فكانت كما ياتي:

اصطفاء علي وولديه عليهم السلام ← اصطفاء الزهراء عليها السلام

← فاطمة وزوجها وولداها عليهم السلام هم أهل النبي عليه الصلاة والسلام

اجتماع أهل البيت تحت كساء النبي (ص) ← الشاهد القرآني (وقد قال الله

تبارك وتعالى: **(إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرًا)**

إرادة الله تعالى ← ذهاب الرجس عن أهل البيت

← نقاء أهل البيت من كل مفسدة وسوء ← طهارة أهل البيت

رفض النبي (ص) دخول أم سلمة الكساء ← خص النبي (ص) وأهله

بالتطهير والآية الكريمة ← اصطفاء النبي (ص) وأهل بيته وخصهم بالتطهير والنقاء

وعلى هذا النحو تمّ توظيف طاقات الجناس البلاغية والجمالية في مستوى دلالي حجاجي أدى فيه الجناس مهام على صعيد الدلالة، والتعبير، والإقناع، والتأثير، مع الانسجام التام بين المهام البلاغية والدلالية.

المبحث الخامس

المقابلة وأثرها الإيقاعي:

- **المقابلة لغةً:**

إنّ الدلالة اللغوية للمقابلة تشتمل على معان أبرزها المواجهة والمعاينة؛ القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تحيل كلها إلى مواجهة الشيء للشيء[1]. والمقابلة هي المواجهة، والتقابل مثلها وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك[2]. ويقال: لقيته قِبلاً وقُبُلاً أي مواجهة وعياناً[1].

---

[1] ينظر: معجم مقاييس اللغة: مادة (ق ب ل) 51/5.

[2] ينظر: لسان العرب:مادة (ق ب ل) 57/14.

- **المقابلة اصطلاحاً:**

المقابلة في الاصطلاح هي إيراد الكلام ثمّ مقابلته بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة[2].

فيما يعرف الخطيب القزويني المقابلة في الإيضاح بقوله: ((هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثمّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب)) [3].

ومن المقابلة في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى: (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**)[الأنفال: 42] وهو من كلام للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ يقول فيه: ((وإنّ تقوى الله تبيّض الوجه، وترضى الرب، وترفع الدرجة، خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين.. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**). ولا قوة إلا بالله، فأكثروا ذكر الله، واعملوا لما بعد الموت، فإنّه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر، ولا قوة إلا بالله العلى العظيم)) [4].

وفي تفسير قوله تعالى يقول الطبري: والمقصود بقوله جل وعلا: (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**) هو المعنى الآتي: ليموت من مات من خلقه، عن حجة لله قد أثبتت له، وقطعت عذره، وعبرة قد عاينها ورآها. وأما قوله جلّ وعلا: (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**) فالمقصود به: وليعيش من عاش منهم عن حجة الله قد أثبتت له، وظهرت لعينة فعلمها[5].

---

(1) ينظر: أساس البلاغة: 350.

(2) ينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني): 72.

(3) الإيضاح في علوم البلاغة: 485.

(4) خطب الرسول: 8.

(5) ينظر: تفسير الطبري: 569/13.

نشير بداية إلى الوظيفة الجمالية البلاغية التي حققتها المقابلة، وأثرها الإيحائي النفسي، قبل الخوض في فاعلية المقابلة وأثرها الإيقاعي على المستوى الدلالي الحجاجي كما تجلى في حضورها النصي: في النص القرآني المختار شاهداً، وفي حضورها النصي في الخطبة التي وظف فيها الشاهد .

إنّ المقابلة في الشاهد القرآني (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة) جاءت على امتداد بنيته النصية؛ حيث قسمت الأحداث اللغوية، ووزعتها على تشكيلتين لغويتين متضادتين (ليهلك من هلك – ليحيا من حيي).

إن للمقابلة هنا ألقها الخاص؛ حيث تجاوزت حدود الطباق الذي جعل التضاد حكراً على لفظتين واتسعت ممتدة إلى تخوم الجمل، الأمر الذي يوسع مجال تأثيرها، وينقله إلى مستوى أعلى وأشمل، ولهذا نجد الباحثين في ميدان البلاغة يرون أن التقيد ((بإيراد طرفي الطباق داخل مستوى الجملة أو البيت الشعري، فإنّ دور هذه الوسيلة البديعيّة ينحصر في إيجاد الانسجام في هذا المستوى، ولكن حين نجاوز الطباق مستوى الجملة، حدث انسجام بين الجملتين، فهذا التجاوز هو المطلوب))[1].

إن تقسيم الأحداث اللغوية، وتوزيعها على كتلتين لغويتين متناقضين أشاع في الفضاء النصيّ موجتين من النغم تواترتا صعوداً وانخفاضاً، وانسابتا في أذنه عميقاً إلى فؤاده، وإثارت عواطفه وانفعالاته، ونقلتا موجات الدفقات الشعورية بدقة، متجسدة في نغمات متواترة متغايرة صبت في القوالب اللغوية التي اختارت لنفسها لبوسها الأنسب من الكلمات من على محور الاختيار، لتنزاح الكلمات المتماثلة باتجاه قطب واحد (ليهلك من هلك – ليحيا من حيي) فينضوي الجناس تحت عباءة المقابلة، الأمر الذي كان من شأنه مضاعفة الإيقاع، وتقويته، وتعميق أثره في نفس المتلقي.

والمقابلة بأثرها الإيقاعي زجت في مستوى حجاجي عبر توظيف الشاهد القرآني في الخطبة على النحو الآتي:

الحجاج في الشاهد القرآني:

---

[1] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: 111.

الحجة1:ليموت من مات من خلق الله (ليهلك من هلك)

الحجة2: ليعيش من عاش من خلق الله (ويحيا من حيي)

الحجة 3: البينة ثابتة والحجة قائمة (عن بينة)

النتيجة: إقامة الحجة والبينة على الخلق أجمعين

سير الحجج في الوجهة الحجاجية للنص القرآني المختار شاهداً في نص الخطبة كان على النحو الآتي:

ليموت من مات من خلق الله ← ليعيش من عاش من خلق الله

← البينة ثابتة والحجة قائمة ← إقامة الحجة والبينة على الخلق أجمعين

الحجاج في نص الخطبة:

الحجة1:التقوى تنعكس على وجه المؤمن (وإنّ تقوى الله تبيّض الوجه)

الحجة 2: التقوى تجلب رضى الله تعالى (وترضي الرب)

الحجة3: التقوى ترفع مكانة العبد (وترفع الدرجة)

الحجة 4: الله تعالى علم عباده الكتاب (قد علمكم الله كتابه)

الحجة5: الله تعالى مهد سبيل عباده (ونهج لكم سبيله)

الحجة 6: اصطفاء الله تعالى عباده (هو اجتباكم وسماكم المسلمين)

الحجة 7: الشاهد القرآني (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**)

الحجة 8: القوة في الله وحده (ولا قوة إلا بالله)

الحجة 9: لله مقاليد الأمور (يقضى على الناس ولا يقضون عليه)

الحجة 10: لله الملك (ويملك من الناس ولا يملكون منه)

الحجة 11: الله عليّ عظيم لاقوة إلا به (ولا قوة إلا بالله العلى العظيم)

النتيجة 1: وجوب التزام التقوى (خذوا بحظكم)

النتيجة 2: وجوب تأدية الفروض والواجبات (ولا تفرطوا في جنب الله)

النتيجة 3: التقوى والطاعة الفيصل بين الصادق والكاذب من المؤمنين (ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين)

النتيجة 4: وجوب رد إحسان الله تعالى بالإحسان (فأحسنوا كما أحسن الله إليكم)

النتيجة5: وجوب إعلاء كلمته جل وعلا (وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده)

النتيجة 6: وجوب ذكر الله تعالى باستمرار (فأكثروا ذكر الله)

النتيجة 7: الله تعالى يكفي عبده المؤمن الناس (فإنه من أصلح ما بينه وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس).

النتيجة8: العمل الصالح زاد المؤمن للآخرة (واعملوا لما بعد الموت)

النتيجة الكبرى: عدم التفريط في جنب الله، والتزام تقواه وطاعته زاداً للآخرة

وسير الحجج في نص الخطبة كان على النحو الآتي:

التقوى تنعكس على وجه المؤمن ← التقوى تجلب رضى الله تعالى

← التقوى ترفع مكانة العبد ← الله تعالى علم عباده الكتاب

← الشاهد القرآني (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**)

الله تعالى مهد سبيل عباده ← اصطفاء الله تعالى عباده ←

← القوة في الله وحده ← لله مقاليد الأمور ←

لله الملك ← الله عليّ عظيم لاقوة إلا به ←

وجوب التزام التقوى ← وجوب تأدية الفروض والواجبات

← التقوى والطاعة الفيصل بين الصادق والكاذب من المؤمنين ←

وجوب رد إحسان الله تعالى بالإحسان ← وجوب إعلاء كلمته جل وعلا

← وجوب ذكر الله تعالى باستمرار ←

الله تعالى يكفي عبده المؤمن الناس ← العمل الصالح زاد المؤمن للآخرة

← عدم التفريط في جنب الله، والتزام تقواه وطاعته زاداً للآخرة

أما فاعلية الشاهد القرآني الحجاجية، ومساهمته في قيادة الوجهة الحجاجية، ودفع الحجج باتجاه النتيجة في نص الخطبة فيمكننا توضيحها فيما يلي:

التقوى تنعكس على وجه المؤمن ← التقوى تجلب رضى الله تعالى

التقوى ترفع مكانة العبد ← الله تعالى علم عباده الكتاب

الشاهد القرآني (**لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ**)

ليموت من مات من خلق الله ← ليعيش من عاش من خلق الله

البينة ثابتة والحجة قائمة ← إقامة الحجة والبينة على الخلق أجمعين

الله تعالى مهد سبيل عباده ← اصطفاء الله تعالى عباده

القوة في الله وحده ← لله مقاليد الأمور

لله الملك ← الله عليّ عظيم لاقوة إلا به

وجوب التزام التقوى ← وجوب تأدية الفروض والواجبات

التقوى والطاعة الفيصل بين الصادق والكاذب من المؤمنين

وجوب رد إحسان الله تعالى بالإحسان ← وجوب إعلاء كلمته جل وعلا

وجوب ذكر الله تعالى باستمرار

الله تعالى يكفي عبده المؤمن الناس ← العمل الصالح زاد المؤمن للآخرة

عدم التفريط في جنب الله، والتزام تقواه وطاعته زاداً للآخرة

وهكذا تجانست المهام الجمالية البلاغية والدلالية للمقابلة في الشاهد القرآني في تناغم تام، تضاعف فيه كل منهما قوة الأخرى، وتعطف عليها، فالأثر الإيقاعي للمقابلة ضاعف طاقاتها التأثيرية، والإقناعية التي تتغير تغييراً في سلوك المخاطب، ودفعه إلى تبني سلوك مقصود بعينه في الخطاب، لتدخل المقابلة التي هي من المحسنات البديعية في إطار وعظي، و ديني، حجاجي الطابع .

ومن المقابلة التي وظفت في الشواهد القرآنية اخترنا أيضاً قوله جل وعلا:**(فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ٨)** [الزلزلة: 7-8]

والنص القرآني ورد في كلام للنبيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيها: ((يا أيها الناس إنّ الدنيا عرضٌ حاضرٌ يأكل منها البرّ والفاجرُ، إلا وإن الآخرة وعد صادق، يحكم فيها

ملكٌ عادلٌ قادرٌ، يحق فيها الحق، ويبطل الباطل، أيها الناس فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها، ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة، ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار، اعملوا وأنتم من الله على حذر، واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم، وأنكم ملاقوا الله ربكم لابد منه،

(فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨)

ومما جاء في كتب التفاسير عن الآية الكريمة: (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ٨) الذرة هي النملة الصغيرة، وقيل هي ما يرى في شعاع الشمس من الهباء، و المقصود رؤية ما يضارعها في الوزن من خير وشر، وعليه ف (من) الأولى يختص بها السعداء والثانية للأشقياء[1].

إن المقابلة شأنها شأن سابقتها امتدت أفقياً لتشمل البنية اللغوية للآيتين مقسمة الأحداث على اللغوية إلى حدثين رئيسين، موزعاً في كتلتين لغويتين، صبّت فيهما الدلالتين المتناقضتين، حيث انزاح المعنى الإيجابي من عمل الخير ومآله باتجاه القطب الأول (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ)فيما انزاح المعنى السلبي المقترن بعمل الشر ومآله باتجاه القطب الثاني وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ)، وتقابل المتضادان في تشكيلتين لغويتين متقابلتين، متشابهتين في الصيغة اللغوية؛ حيث تكرر التركيب برمته في القطب الثاني مع اختلاف في كلمة واحدة فقط (خيراً– شراً) مما قلب المعنى رأساً على عقب، وانزاح به بعيداً إلى الاتجاه الآخر.

إنَّ تكرار الكتلة اللغوية الأولى ثانية مع التغيير الطارئ عليها كان له بالغ الأثر على مستوى الإيقاع الداخلي، حيث تكرر النغم الذي بثّته الكتلة الأولى في تواتر مدروس، يسلب المرء لبّه، ويقحمه في عالم النغمة في رحلة خلف الدلالة، ومصدر النغم.

يؤدي الإيقاع الناجم عن المقابلة بخصوصيتها وفرادتها في الشاهد القرآني المذكور مهامّ جمالية بلاغية وتأثيرية، تصب جميعاً في خدمة المستوى الدلالي والحجاجي في الفضاء النصي للخطبة، ونبين ذلك فيما ياتي:

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم على مزايا الكتاب الكريم: 189/9.

الحجاج في الشاهد القرآني:

الحجة1: يرى الله تعالى عمل الخير مهما تناهى في الصغر(فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره)

الحجة 2: يرى الله تتعالى عمل الشر مهما تناهى في الصغر (ومن يعمل مثقال ذرة شراَ يره)

النتيجة1: مراقبة الله تعالى أعمال الخلق

النتيجة: جزاء الله تعالى العمل بمثله.

تتدافع الحجج في الشاهد القرآني باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

مراقبة الله تعالى أعمال الخلق ← يرى الله تعالى عمل الشر مهما تناهى في الصغر

← يرى الله تعالى عمل الخير مهما تناهى في الصغر

← مراقبة الله تعالى أعمال الخلق ← جزاء الله تعالى العمل بمثله.

الحجاج في نص الخطبة:

الحجة1: الدنيا عرض زائل (إن الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر)

الحجة2: الآخرة وعد صادق (إلا وإن الآخرة وعد صادق)

الحجة 3: الحكم في الآخرة للقدير (يحكم فيها ملك قادر)

الحجة 4: إحقاق الحق (يحق فيها الحق)

الحجة 5: يبطل الباطل (ويبطل الباطل)

الحجة 6: كل أم يتبعها بنوها (فإن كل أم يتبعها ولدها)

الحجة7: الجنة موطن الخير (ألا وإن الخير كله بحذافيره في الجنة)

الحجة 8: النار موطن الشرور (ألا وإن الشر كله بحذافيره في النار)

النتيجة1: وجوب اختيار الآخرة أماً (أيها الناس فكونوا من أبناء الآخرة)

النتيجة2: وجوب نبذ الدنيا (ولا تكونوا من أبناء الدنيا)

النتيجة 4: وجوب الاحتراز من الحساب في العمل (اعملوا وأنتم من الله على حذر)

النتيجة5: ملازمة نتائج العمل لصاحبه (واعلموا أنكم معرضون على أعمالكم)

النتيجة6: ملاقاة الخالق لامحالة (وأنكم ملاقوا الله ربكم لابد منه)

النتيجة 7: الشاهد القرآني (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَهُ)

النتيجة الكبرى: جزاء الخالق للإنسان مقدار عمله خيراً أم شراً

والحجج في النص توالت نحو النتيجة كما يأتي:

الدنيا عرض زائل ← الآخرة وعد صادق ← الحكم في الآخرة للقدير

إحقاق الحق ← يبطل الباطل ← كل أم يتبعها بنوها

النار موطن الشرور ← وجوب اختيار الآخرة أماً

← وجوب نبذ الدنيا ← وجوب الاحتراز من الحساب في العمل

← ملازمة نتائج العمل لصاحبه ← جزاء الخالق للإنسان مقدار عمله خيراً أم شراً

← ملاقاة الخالق لامحالة ← الشاهد القرآني(مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَهُ) ← جزاء الخالق للإنسان مقدار عمله خيراً أم شراً

أما عن الاداء الحجاجي للشاهد القرآني في نص الخطبة فكان كما يلي:

\الدنيا عرض زائل ← الآخرة وعد صادق ← الحكم في الآخرة للقدير

← إحقاق الحق ← يبطل الباطل ← كل أم يتبعها بنوها

← النار موطن الشرور ← وجوب اختيار الآخرة أماً

← وجوب نبذ الدنيا ← وجوب الاحتراز من الحساب في العمل

← ملازمة نتائج العمل لصاحبه ← جزاء الخالق للإنسان مقدار عمله خيراً أم شراً

← ملاقاة الخالق لامحالة ← الشاهد القرآني (مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرَاً يَرَهُ

وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ← الله تعالى عمل الخير مهما تناهى في الصغر

← يرى الله تعالى عمل الشر مهما تناهى في الصغر ← مراقبة الله تعالى أعمال الخلق

← جزاء الله تعالى العمل بمثله ← جزاء الخالق للإنسان مقدار عمله خيراً أم شراً

وعليه تم استثمار طاقات المقابلة على المستويين البلاغي والحجاجي في الشاهد القرآني أولاً ثم في نص الخطبة ثانياً.

الفصل الرابع

الحجاج البياني وأثره الإقناعي في الشواهد القرآنية في كلام أصحاب الكساء (ع)

- توطئة.
- المبحث الأول : التشبيه الحجاجي
- المبحث الثاني : الاستعارة الحجاجية
- المبحث الثالث : الكناية الحجاجية
- المبحث الرابع : المجاز الحجاجي

الفصل الرابع:

الحجاج البياني وأثره الإقناعي في الشاهد القرآني في كلام أصحاب الكساء (ع)

توطئة:

تعد تقنيات الحجاج البياني من أهم العناصر التي استندت إليها حجاجية الشواهد القرأنية في كلام أصحاب الكساء (عليهم السلام) بأعتبارها علاقة قائمة بين الامتاع والاقناع، ذلك حين تتحول الاساليب البيانية من مجرد زخرفة تعبيرية في سياق الخطاب الى آليات حجاجية تسهم في تماسك أجزاء النص ووحدته وتعمل على التأثير والاستمالة والابإنة والوضوح تفضي الى اقناع المتلقي ومن ثم التأثير فيه مما تجعله في حالة من الاعتقاد لذالك الخطاب الذي جاء متآزرا بين الكتاب والعتره مما أسهم في دعم الطاقة التعبيرية الحجاجية ، واتضح ذلك بفضل ما رسمته مباحث الحجاج البياني المتمثلة بـ (التشبيه ،الاستعارة ،الكناية والمجاز) وهذا ما يسلط عليه الضوء في هذا الفصل.

المبحث الأول:

التشبيه الحجاجي

- **التشبيه لغةً:**

تدور دلالة التشبيه اللغوية حول معنى المماثلة، ومما ورد في لسان العرب عن معنى التشبيه في اللغة: الشِّبه والشَّبَه والشَّبيه: المِثلُ، وأشبهَ الشيءُ الشيءَ: ماثَلَهُ، والتشبيه مصدر من شبّهَ. ويُقال: شبّهتُ هذا بهذا، وأشبهَ فلان فلاناً. والشِّبْهُ، والشَّبَه: هو النحاس يتم صبغه فيصفرّ، و إنّما سمّي النحاس به لأنّه إذا فعل به أشبه الذهب بلونه[1].

- **التشبيه اصطلاحاً:**

إنّ التشبيه في الاستعمال الاصطلاحي هو: مشاركة أمر لأمر آخر في معنى أو أكثر، من خلال أداة ملفوظة أو مقدّرة[2].

و التشبيه في عرف البلاغيين هو: ((صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكن إياه))[3]

إن التشبيه ميكانيزم بلاغي فعال يجري توظيفه بغرض تهذيب الشكل، وتشذيب اللفظ، وتقريب المعنى من الأذهان، وذلك عبر إضفاء حيوية وديناميةٍ عليه، تمكنه من العبور باللفظ من صورة إلى صورة أكثر وضوحاً، وأقرب مسافة، وفق مايبتغي له المصور أن يكون، فإن كان يريد صورة متناهية في الجمال، والأناقة شبه الشيء بما هو أكثر منه في الجمال والحسن، وإن كان يريد صورة متداعية في القبح، والتفاهة شبه الشيء بما هو أكثر رداءة منه في الصفات[4].

إنّ هذه الفاعلية البلاغية الجمالية يمكن للمتكلم استثمار طاقاتها في مجال الحجاج، فتؤدي إلى جانب الوظيفة الجمالية والزخرف الذي تمنحه للكلام، وظائف حجاجية، دلالية،

---

(1) ينظر: لسان العرب: مادة (شبه).

(2) ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة: 6/3.

(3) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: 286/1.

(4) ينظر: أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة: 63-64.

غاياتها تأثيرية، إقناعية في المقام الأول، بيد أن هاتين المهمتين لاتتناقضان البتة، بل تتناغمان، وتتفاعلان في السياقات النصية، وينتقل عبرها الكلام إلى مستوى أكثر عمقاً، وأشد تأثيراً واستمالة للنفوس، فلايكون الحجاج بمخاطبته للعقل عائقاً أمام الجمال والبلاغة اللتين تخاطبان الحس، والعواطف والانفعالات، والعكس كذلك؛ فلايكون الجمال والبلاغة عائقاً أمام توالي الحجج المنطقية، وسير عملية الإقناع.

ومن توظيف التشبيه الحجاجي في الشواهد القرآنية في خطب أصحاب الكساء اخترنا قوله تعالى:(**وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ**)[الحج: 31].

لقد اخترنا الآية الكريمة من كلام للرسول الكريم محمد صلى الله عليه واله وسلم، حيث جاءت في سياق الخطبة لأغراض حجاجية بلاغية في آن؛ ومما جاء في خطبته عليه (أفضل الصلاة والتسليم): ((ثم يقال أعيدوا عبدي الى الأرض، فإني وعدتهم أني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، فتطرح روحه من السماء طرحاً حتى تقع في جسده، ثم قرأ: :(وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ). فتعاد روحه في جسده، قال: فإنّه ليسمع خفق نعال أصحابه إذا ولّوا عنه، ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه))[1]

وقبل المضي في بيان آلية استثمار التشبيه الحجاجي في الآية الكريمة ضمن سياق الخطبة، نوضح تفسير الآية الكريمة كما تردد في كتب التفاسير. يقول البغوي في تفسيرها[2]:(وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ) ومعنى خرّ: سقط، (مِنَ ٱلسَّمَآءِ)إلى الأرض، (فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ) والمقصود: تتلقفه الطير، و تستلبه، وتأخذه بعيداً. والخطف والاختطاف هو: تناول الشيء بسرعة.

(أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ)يقصد أنها تميل به، وتأخذه ذاهبة به، (فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ)أي: بعيد. والمراد: توضيح مدى بعد من أشرك من الحق، فيستحضر التشبيه: كبعد من سقط من السماء

---

[1] خطب الرسول: 75.

[2] ينظر: معالم التنزيل تفسير البغوي: 384/5.

فذهبت به الطير، أو هوت به الريح، فلا يصل إليه بحال من الأحوال. وقيل: شبه حال المشرك بحال الهاوي من السماء في أنهُ لا حيلة له، ولا يملك من أمر نفسه شيئاً حتى يقع بحيث تسقطه الريح، فلا مناص من هلاكه؛ وذلك إماّ باستلاب الطير لحمه، وإما بسقوطه إلى المكان السحيق. وقال الحسن: شبه أعمال الكفار بتلك الحال في أنها تبطل، وتخطف منهم، فلا يقدرون على شيء منها البتة.

يشكّل التشبيه محور البناء اللغويّ للآية الكريمة حيث تتنضد حوله سائر البنيات اللغوية الأخرى مشكلة جسد الآية الكريمة؛ إذ ينهض جسد الآية الكريمة على أساس متين دقيق من التشبيه التمثيلي الذي تتعالق في أتونه صورتان حركيتان حسيتان، وتنصهران مشكلتين صورة فنية غاية في الإتقان، والجمال يتأتى لها من القدرة على الجمع بين عناصر لا صلة بينها على أرض الواقع، وتلتحم داخل التشبيه.

يشبه الله سبحانه وتعالى حال المشرك وأعماله، وهو هنا طرف التشبيه الأول، المشبه: (وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ) ، بحال من سقط من السماء، وحتمية هلاكه بالاحتمالين المذكورين آنفاً، وهو الطرف الثاني للتشبيه، المشبه به: (فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ)، تأسر الصورة الكلية المتلقي، وتشغل حواسه عبر توالي الصور البصرية والسمعية التي يتم توليدها في ذهنه لحظة تلقي التشبيه، وتحفز خياله، فتبدأ الصور والمعاني بالتوالد في خياله، وتستحضر الصور من الخبرات الحسية المتراكمة، فالصور منفصلة مألوفة ومعروفة بيد أن اجتماعها هو سر طرافتها وغرابتها وجمالها؛ فالصورة الأولى (الطرف الأول للتشبيه– المشبه) وهي المشرك وأعماله يمكن للمتلقي استحضارها بسهولة، فتلوح في أفق ذهنه صور حسية نمطية للمشرك وطبيعة أعماله وأفعاله وحركاته وسكناته، وكذلك الصورة الثانية (الطرف الثاني للتشبيه– المشبه به) وهي صورة بدورها تقوم على صور حسية جزئية:(شخص سقط من السماء، والطير يختطفه– يأكل لحمه– يسقط إلى موضع سحيق– موته المحتم نتيجة السقوط من علو شاهق– جثته على الأرض).

إنّ هذا النوع من التشبيهات الذي يتكئ إلى عملية التجسير بين صور حسية دينامية متباعدة، وصهرها في وحدة كلية متجانسة، يعدّ ((من بديع التشبيهات وجليلها لأنّ التقاطها، وهي جادة

في حركتها، واضطرابها دليل المقدرة، والوعي، وقوة الملاحظة، ثم تصويرها وهي تتحرك، أعني المحافظة على هذه الحركيّة الحيّة الباعثة للنفس التي تنفي عنها ملل الجمود))[1].

إنّ طرافة الصورة، وغرابتها ضمنت لها الجمال الفني، والبلاغة، فكيف وظفت في الحجاج، وأدت مهمة الإقناع؟.

وفي حقيقة الأمر تم توظيف الجانب الجمالي البلاغي عينه والانتقال به إلى مستوى الحجاج والإقناع، وذلك عبر قيادة دفة الوجهة الحجاجية، والتحكم بها، لتؤدي ثلة مهام دلالية، حجاجية، إقناعية، يأتي في طليعتها الوعظ، والإرشاد، و الترهيب، بغية تحقيق هدف أسمى هو استمالة المخاطب ودفعه إلى تغيير أنماطه السلوكية، وتبني سلوك مقصود بعينه.

إن استثمار ميزات التشبيه المتنوعة أضفى على السياق النصي الذي وردت فيه طابعاً خاصاً، وقدرة تأثيرية عالية.

ومن تلك المزايا انزياح تلقائي لسمات المشبه به، وميزاته على مستويات اللغة والحقيقة باتجاه المشبه، مما يضاعف التماسك اللغوي والمعنوي، وبعمق الدلالة، ويقوي المعنى، وعليه يصبح المشبه هو عينه المشبه به في كيان التشبيه؛ فالمشرك بأعماله وجحوده بات في النص هو عينه الشخص الذي هوى من علو شاهق في السماء ليلاقي موته المحتم إما بسقوطه أو باختطاف الطير له.

تدخل هذه الآلية في تدعيم استراتيجية حجاجية تأثيرية تم استثمارها في النص؛ تقوم هذه الاستراتيجية في جوهرها على ما يعرف بالديناميّة النفسيّة التي تعالقت بدورها مع ديناميّة الصورة التشبيهيّة، فبثت حيوية في جسد النص تتصف بالاستمرارية والتجدد، وقدرة على ترسيخ الدلالة، وذلك عبر خلق صلات قربى بين المألوف من الصور، وغير المألوف منها، مما يتصل بالمعنى الأصلي بشكل أو بآخر[2].

لقد أضفى حضور الآية الكريمة في السياق النصي إلى جانب الحيوية والدينامية، وضوحاً، وإبرازاً للمعاني، والدلالات، وهذا حقيقة تأتى لها من بنيتها اللغوية المتكئة إلى التشبيه

---

[1] التصوير البياني دراسة تحليلية لمسائل البيان: 66.

[2] ينظر: البلاغة فنونها وأفنانها: 18.

بصورة رئيسة، و التشبيه – بصورة عامة– له هذه الميزة؛ إذ يعمل التشبيه في السياقات النصية المتنوعة على ((إبراز المعنى المراد في أجمل صورة لتكون أشد تأثيراً في النفوس وأعظم وقعاً في القلوب))[1].

استثمرت طاقات التشبيه في الآية الكريمة التي وظفت بدورها في سياق الخطبة لغاية حجاجية، وذكرنا ميزاته الموظفة من الحيوية، والدينامية، وتوضيح المعاني، والبلاغة، والجمال، وتوحيد طرفي التشبيه عبر انتقال ميزات المشبه به إلى المشبه، بقي أن نذكر بأهم ميزات التشبيه اللغوية وهي القدرات الإيحائية؛ ففي الآية الكريمة بث التشبيه طاقة إيحائية عالية، تضاعفت في سياق الخطبة الذي وردت فيه.

وبشيء من التأمل يمكننا أن نلاحظ كيف اكتسب طرفا التشبيه طاقة إيحائية لم يكن يتسنى لهما امتلاكها لولا اتحادهما معاً في كيان كلي هو التشبيه التمثيلي، مما يضاعف الأثر النفسي للصورة الفنية التشبيهية الموظفة هنا، ويمنحها وقعاً خاصاً في النفوس، ونحن نعلم أن ((الأثرَ النفسيَّ للصورةِ عند المتلقي يعدُّ أهمَّ شيءٍ فيها، إذ إنّها تقصدُ إثباتَ الخيالِ في النفسِ، والصورة الفنيّة هي العنصر الأساس في تكوين مفهوم واضح للأسلوب، لأنّها مجموعة العلاقات اللغويّة والبيانيّة والإيحائيّة القائمة بين اللفظ والمعنى))[2].

بعد استمالة النفوس، واستثارة العواطف والانفعالات الناجمة عن تخيل مصير المشرك، وصور هلاكه المروعة، لا يبقى أمام المتلقي سوى التسليم والإذعان، والإنصات إلى مضامين القول في الخطبة، وتمثل ما يقوله النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم، وأخذ تحذيراته على محمل الجد، والإقتناع بصحة ما يقوله، وحقيقته، وضرورة الاستجابة له، للنجاة بالنفس من هول المصير المحتوم الذي تم تجسيده في الصورة الفنية، في عملية فنية بديعة تمكنت من تبسيط المعنى وتوضيحه، باستخدام لغة المتلقي، وتجاربه المألوفة بوصفها مادة رئيسة، وعناصر فعالة في تشكيل هيكلية الصورة برمتها..

---

[1] التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير، رسالة ماجستير: 48.

[2] الصورة الفنية في المثل القرآني: 37.

وعليه لا نجانب الصواب إن قلنا: إنّ التشبيه التمثيلي في الآية الكريمة، تم توظيفه بدقة وإتقان، والآية بدورها وظفت في سياق الخطبة فجاءت متماهية مع الغرض العام للخطبة، والغرض الخاص للسياق النصي المحدد الذي وردت فيه. ونجح هذا التوظيف في إصابة أهدافه على مستوى الجمال، والحجاج، فأدى الخطاب الإلهيّ داخل الخطاب النبوي مهام دلالية، تأثيرية، إيحائية، وجمالية عالية، فأصاب بغيته من الإقناع، والتأثير، والوعظ عبر الاتكاء إلى التشبيه واستثمار طاقاته المتنوعة، الدينامية، والإيحائية منها على وجه الخصوص. فاستطاع الخطاب إقحام المتلقي في عالمه، ووجوه الخاص، عبر تحفيز حواسه، وانفعالاته، وخياله، وعاطفته، ومخاوفه، ثم محاكماته العقلية المنطقية.

ومن التوظيف الحجاجي المتقن للتشبيه في خطب أصحاب الكساء اخترنا أيضاً قوله عز وجل: **(وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا)**[الكهف: 45].

وقد جاءت الآية الكريمة في كلام للإمام علي بن أبي طالب (ع)، ووظفت في السياق على النحو التالي: ((أمّا بعد، فإنّي أحذّركم الدنيا، فإنّها حلوةٌ خضرة، حُفَّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة، وراقت بالقليل، وتحلّت بالآمال، وتزيّنت بالغرور. لا تدوم حَبْرتها، ولا تؤمن فَجْعَتُها. غرّارةٌ ضرّارة، حائلة زائلة، نافذة بائدة، أكّالة غوّالة، لا تعدو –إذا تناهت إلى أمنية أهل الرغبة فيها والرضاء بها– أن تكون كما قال الله تعالى:(كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا)[1].

وقبل توضيح آلية استثمار طاقات التشبيه في الآية الكريمة، وفي الخطبة، نذكر ما ورد في تفسير هذه الآية الكريمة؛ يقول الطبري: ((يقول عز ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واضرب لحياة هؤلاء المستكبرين الذين قالوا لك: أطرد عنك هؤلاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، إذا نحن جئناك الدنيا منهم مثلاً يقول: شبهاً (كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ) يقول: كمطر أنزلناه من السماء (فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ) يقول: فاختلط بالماء نبات الأرض (فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا)يقول: فأصبح نبات الأرض يابساً متفتتا(تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ)يقول تطيره الرياح

---

[1] صفوة شروح نهج البلاغة: 279.

وتفرقه، يقال منه: ذرته الريح تذروه ذرواً، وذرته ذرياً، وقوله (وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ مُّقۡتَدِرًا) يقول وكان الله على تخريب جنة هذا القائل حين دخل جنته (ما أظن أن تبيد هذه أبدا وما أظن الساعة قائمة)، وإهلاك أموال ذي الأموال الباخلين بها عن حقوقها، وإزالة دنيا الكافرين به عنهم، وغير ذلك مما يشاء قادر، لا يعجزه شيء أراده، ولا يعييه أمر أراده))[1].

إن البنية التشبيهية التي نهضت عليها الآية الكريمة، تتكئ بدورها إلى التشبيه التمثيلي، حيث تم دمج صور حسية حركية جزئية متباعدة في حقيقتها اللغوية والدلالية، لتشكل صورة فنية كلية موحدة، تتحرك داخلها تلك الصور.

وفي عملية تفكيك للصورة التشبيهية الكلية نجد أنها تقوم على صورتين حركيتين شكلت الأولى الطرف الأول من التشبيه (المشبه) وهو هنا: (دنيا الكافرين وأموالهم)، و الطرف الثاني من التشبيه شكلته الصورة الثانية وهو المشبه به (كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ فَأَصۡبَحَ هَشِيمٗا تَذۡرُوهُ ٱلرِّيَٰحُۗ).

وتغص الصورة الثانية بالصور الجزئية الحسية الحركية، السمعية منها والبصرية؛ فمن السمعية البصرية معاً: (كماء أَنزَلناهُ مِنَ السَّماءِ – تَذروهُ الرِّياحُ) والبصرية: (فَاختَلَطَ بِهِ نَباتُ الأَرضِ – فَأَصبَحَ هَشيمًا).

تتوالى الصور الحسية التي تتوالد في خيال المتلقي عند تلقي الصورة: (مشاهد للكفار وطريقة عيشهم وأفعالهم ونمط حياتهم في الدنيا– صوت المطر – رائحة التراب عند نزول المطر – مشهد نزول المطر– مشهد نمو النبات– مشهد الهشيم – مشهد الريح التي تذرو الهشيم– صوت الريح – رائحة النبات).

تنصهر تلك الصور الحسية الحركية الجزئية في أتون صورة تشبيهية أكبر، تدخل تلك الأخيرة في علاقة مشابهة مع صورة حركية حسية أخرى، لتكون في المحصلة التشبيه التمثيلي الذي استطاع تقديم المعنى في أبهى صورة او حلة.

تشهد الدلالات والمعاني، والصفات التي يستحوذ عليها المشبه به عملية انزياح باتجاه المشبه، هذا في الآية الكريمة، ثم يطرأ انزياح آخر عند توظيف الآية الكريمة في الخطبة،

---

[1] تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 31/18.

حيث يصبح المشبه في سياق الخطبة هو الدنيا بزينتها وسرعة زوالها بصورة عامة، لا دنيا الكافرين وحدهم.

إن الصور الحسية التي اتكأ إليها الخطاب الإلهي في الآية الكريمة؛ نجحت في خلق علاقات لغوية جديدة، وحيوات جديدة للمفردات التي كانت تتبع إلى حقول لغوية معجمية شديدة التباعد، و لا شيء يربط بينها، لتصبح في البنية التشبيهية للآية كلاً واحداً منسجماً كل الانسجام، بعد أن منحها التشبيه حياة جديدة عرفت معها علاقات إسنادية جديدة، ربطتها بمفردات غريبة باتت لتوها قريبة، ومألوفة.

وبهذه الميزة بالذات تكمن فاعليّة الصورة الفنيّة؛ بتلك القدرة على الجمع بين الحقائق المتباعدة، وخلق العلاقات الطريفة الغريبة بين العناصر، و الأشياء، و فاعلية الصورة تتناسب طرداً مع طرافة هذه العلاقات[1].

وبشيء من التأمل نجد أن الصورة الفنية التشبيهية التي نهضت عليها الآية الكريمة قد جمعت بين عناصر تتفاوت في تباعدها بين تباعد جزئي، وآخر مطلق؛ فالعناصر المشكلة للصور التشبيهية الجزئية التي قامت عليها الصورة التشبيهية الكلية كانت: (الدنيا، والمطر، النبات، الهشيم، الريح، ماء، سماء، النزول، الاختلاط، الأرض، الزوال، الزينة)، ورغم تباعدها استطاعت تشكيل كل متآلف، متماسك، حقق غايته الجمالية البلاغية، من جهة، والتأثيرية، الانفعالية، الدلالية، من جهة أخرى. وكل هذا الجمال، وتلك الطرافة، سيتم زجه في مهمة حجاجية، وذلك عبر الاستشهاد بالآية الكريمة في نص الخطبة، لتؤدي مهمة إقناعية، تضاف إلى مهمتها البلاغية.

وبفضل الآلية الدينامية للتشبيه التمثيلي، يتم تقديم الدلالات المعنوية المجردة، و فوق الحسية المراد إيصالها إلى المتلقي، في صورة حسية، تقوم على خبرات حسية مألوفة، وتستمد عناصرها من بنى لغوية دلالية، تنتمي إلى معجم المتلقي، ومفاهيمه، وحقول خبراته، ومدركاته الأرضية.

---

[1] ينظر: الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير: 27.

ينهض وجه الشبه في التشبيه الموظف في الآية الكريمة (الزينة وسرعة الزوال) بوصفه الخلاصة التي ستترسخ في ذهن المتلقي عند تلقف الخطبة على المستوى الأول، والآية الكريمة على المستوى الثاني، فتتضاعف الدلالة التي تم الإلحاح عليها في مستويين من الخطاب؛ الآية والخطبة، مما يقوي الدلالة، ويضاعف طاقاتها التأثيرية، والتعبيرية.

وبيّن ما تنضح به الصورة التشبيهية من طاقة إيحائية، تبثها في السياق النصي للآية، على المستوى الأول، وللخطبة – حيث وردت فيها – على المستوى الثاني. تعمل هذه الطاقة الإيحائية على توليد الدوال في نفس المتلقي، وإقحامه في رحلة البحث عن المدلولات، و متعة القبض على الدلالة بنفسه، وكل ذلك يتأتى للبنية التشبيهية بفعل طاقاتها الإيحائية التأثيرية التي تجعلها تتمتع بخفة عالية، وانسيابية، ومرونة، وذلك مرده إلى حقيقة أن الإيحاء هو ((إلقاء المعنى في النفس بخفاء وسرعة))[1].

يشكل التمازج البديع بين الحسي والإيحائي في الصورة الفنية القائمة على البنية التشبيهية في الآية الكريمة معيناً ثريّاً يمد السياق بالطاقات على مستويات الدلالة، والتأثير، والانفعال، والبلاغة، والجمال، الشكل، والمضمون؛ حيث تتمكن الصورة من مخاطبة الحسي والخفي الماورائي في المتلقي، المجرد المعنوي، والحسي على تباين مصادره، مشكلة بذلك تقنية عالية التأثير، شديدة الإتقان، يتأتى لها ترسيخ الرسالة المقصودة في ذهن المتلقي، عبر تحفيز الحس والفكر في آن معاً.

إنّ ما يكفل الفاعلية، والتأثير، والبلاغة للصورة التشبيهية التي قامت عليها الآية الكريمة، لا يقتصر على متانة سبك البنى اللغوية، و براعة تنضيدها في هيكليتها البنائية، و ما تحمله العلاقات القائمة فيما بين تلك البنى اللغوية المكونة للصورة التشبيهية من دقة، ولطافة، وغرابة، ودهشة، بل أيضاً مواءمتها التامة للسياق النصي من الخطبة الذي تماهت في جسده، حتى لكأنها جزء منه، في انسيابية تامة، وتلاحم، ودقة في علاقات المجاورة التي ربطتها بالبنيات اللغوية السابقة واللاحقة لها في نص الخطبة.

---

[1] كتاب التعريفات: 59.

إن استثمار الطاقات المتنوعة للبنية التشبيهية التي قامت عليها الآية الكريمة يضمن لها التأثير، والفاعلية، وتأدية الوظيفة الدلالية، الإقناعية المتمثلة بقيادة الوجهة الحجاجية نحو الغاية المقصودة، والتي تأتي في طليعتها الغاية التأثيرية المتمثلة باستمالة المتلقي، ثم دفعه إلى تبني مواقف، وأفكار، وسلوكيات بعينها.

إن اختيار موضع الآية الكريمة في الخطبة مختار بدقة وعناية؛ فبعد سلسلة التحذير من الدنيا، وتوالي الحجج التي غايتها الوصول إلى نتيجة محددة، على النحو الآتي:

الحجج:

1- الدنيا حلوةٌ خضرة.

2- حُفَّت بالشهوات.

3- تحبّبت بالعاجلة.

4- راقت بالقليل.

5- تحلّت بالآمال.

6- تزيّنت بالغرور.

7- لا تدوم حَبْرتها.

8- لا تؤمن فَجْعَتُها.

9-غرّارةٌ ضرّارة.

10-حائلة زائلة.

11- نافذة بائدة،.

12-أكّالة غوّالة.

الوجهة الحجاجية: التحذير من الدنيا.

النتيجة: سرعة زوال الدنيا رغم زينتها وجمالها.

في الآية الكريمة حجاج ينتهي إلى نتيجة مشابهة، وهي سرعة الزوال:

الحجج:

1-ماء أنزلناه من السماء.

2- اختلط به نبات الأرض.

النتائج:

1-أصبح هشيماً.

2- تذروه الرياح. ⟸ النتيجة الكبرى: سرعة الزوال رغم الزينة والجمال.

في دمج الخطابين في سياق نصي واحد مضاعفة للدلالة، وإلحاف على النتيجة، ولاسيما أنّ الآية الكريمة جاءت بعد سرد الحجج، فشكلت بحد ذاتها حجة تدعم الوجهة الحجاجية المقصودة وهي التحذير من الدنيا.

فتصبح الوجهة الحجاجية وفق الآتي:

الدنيا (بصفاتها المذكورة) ⟸ ماء أنزل من السماء ⟸ اختلط به نبات الأرض ⟸ أصبح هشيما ⟸ تذروه الرياح ⟸ سرعة الزوال وجوب الحذر من الدنيا.

المبحث الثاني :
الاستعارة الحجاجية

- **الاستعارة لغةً:**

تدورُ الدلالة اللغويّة للاستعارة حول معنى الأخذ، والتحويل؛ يقالُ استعارَ فلانٌ سهماً من كنانتِه: ويقصد بذلك أنّه رفعَه وحوّلَه منها إلى يدِه[1]. وقيل: وأرى الدهرَ يستعيرني شبابي: أي يأخذُه منّي[2].

---

[1] ينظر: لسان العرب: 620/4.

[2] ينظر: أساس البلاغة: 316.

- **الاستعارة اصطلاحاً:**

إنّ الاستعارة في الاستعمال الاصطلاحيّ هي: ((مجاز بلاغي فيه انتقال معنى مجرد إلى تعبير مجسد، من غير التجاء إلى أدوات التشبيه أو المقارنة))[1].

كما يعرّف البلاغيون الاستعارة على أنّها: ادعاء معنى الحقيقة للشيء من باب المبالغة في التشبيه[2].

وفي الواقع لا يخفى ما تتمتع به الاستعارة بوصفها أحد أبهى أساليب البيان من البلاغة والجمال، بيد أنّ هذا الجمال يوظّف في الشواهد القرآنيّة الواردة في خطب أصحاب الكساء ليؤدي وظيفة حجاجية أيضاً، تضاف إلى مهمة الاستعارة الجمالية البلاغية.

اخترنا من توظيف الاستعارة الحجاجي في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء قوله تعالى:(**نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧**)[الهمزة: 6-7].

والآية الكريمة وردت في كلام للزهراء عليها السلام، تقول فيه: ((ألا وقد قلت الذي قلت على معرفة منّي بالخذلان الّذي خامر صدوركم، واستشعرته قلوبكم، ولكن قلته فيضة النفس، ونَفْثَة الغيظ، وبثَّةُ الصدر ومعذرة الحُجة. فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر. ناكبة الحق. باقية العار. موسومة بشَنار الأبد، موصولة :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧)، فبعين الله ما تفعلون))[3].

وقبل توضيح كيفية استثمار الاستعارة التي نهضت عليها الآية الكريمة حجاجياً، نورد تفسير الآية الكريمة الذي تداولته بعض كتب التفسير: يقول الله جل وعلا: :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧) أي النار التي يبلغ ألمها القلوب، والاطلاع والبلوغ بمعنى واحد، ويقال: متى طلعت أرضنا؟ أي: بلغت. والمراد أن النار تلتهم كل جزء منه حتى تبلغ فؤاده[4].

---

(1) معجم مصطلحات الأدب: 315.

(2) خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب: 254/1.

(3) خطب سيدة النساء: 134.

(4) ينظر: تفسير البغوي: 530/8.

والبعض ذهب إلى القول إن المقصود بقوله تعالى هنا هو أن النار تبلغ الفؤاد، وإنما خص الأفئدة بالذكر لبداهة كونها موطن العقيدة، والنوايا، والملكات والأعمال السيئة، ولأنها الألطف في الجسد، والأكثر تأثراً بالألم لأدنى أذى يمس الجسد، ويجوز أن المقصود هو الاطلاع العلمي والكلام يصبح انزياحاً عن المعنى الحرفي؛ فحيث كان لكل كافر ومعذب قدر من العذاب يكافئ ذنوبه، تطالع النار تلك الأفئدة التي هي معادن الذنوب والمعاصي ومواطنها، فتعطي من العذاب على قدر تلك المعاصي والذنوب، وذهب البعض إلى أن المراد هو العذاب الروحاني الذي هو أشد العذابات على الإطلاق[1].

وبناء على التفسير الذي يرى المعنى الروحاني والاطلاع العلمي تكون الصورة الفنية التي نسجت بخيوطها الآية الكريمة هي الاستعارة المكنية؛ حيث شبه (نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ) بالإنسان العاقل الذي يطلع ويعي ويقدر الظروف ويمتلك المحاكمات المنطقية التي على أساسها يطلق الأحكام والقرارات، فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقي على شيء من لوازمه وهو فعل الإدراك والاطلاع :(ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ) على سبيل الاستعارة المكنية.

تنزاح هذه الاستعارة باتجاه ما يعرف بالتشخيص أو الأنسنة، ذلك أن الخطاب الإلهي هنا قد منح النار سمات بشرية. والتشخيص في عرف البلاغيين هو: تجسير علاقة بين مفردتين أو كلمتين ((إحداهما تشير إلى خاصيّة بشرية، والأخرى إلى جماد أو حيّ أو مجرّد))[2].

إن التشخيص من الميكانيزمات المحورية التي كثيراً ما يتكئ إليها الخطاب الإلهيّ بصورة عامة، ولعل أبرز ما تتميز به تقنية التشخيص أنّها فاعليّة فنيّة يمكن من خلالها تحويل المفهومات والمجردات فوق الحسية إلى أشياء مدركة ومحسوسة[3].

وهكذا صارت نار الحطمة التي أعدّها الله سبحانه وتعالى –بفضل تقنية التشخيص– إنساناً عاقلاً، ومدركاً، يوازن، ويقيس، ويطالع، و يؤدي وظيفته التي أسندت إليه، فإذا بها تلتهم

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير: 541/30.

[2] في النص الأدبي دراسة أسلوبية إحصائية: 190.

[3] تشكيل الخطاب الشعري دراسة في الشعر الجاهلي: 116.

المعذب الكافر حتى إذا ما بلغت قلبه، اطلعت على مقدار ذنوبه القابعة في ذلك القلب، وآتته من الألم والعذاب ما يعادلها، دون زيادة أو نقصان.

إن أهم ما يميز هذه الاستعارة التي نهضت عليها الآية الكريمة هو خاصية التكثيف؛ حيث استطاعت أن تختزل في كلمات معدودات معاني كثيرة، تتوالد في ذهن المتلقي، بعد أن تحفّز خياله، وتدخله في جو الصورة العام، بعيداً عن الإطار والمشاهدة، فيختبر بنفسه انفعالات وأحاسيس مهولة تتولد و تعتمل في داخله جراء تداعي الصور الحسية للعذاب وحجمه اللامتناهي، ولتلك النار المهولة القادرة على تجديد آلامه، وتعذيبه حتى لانهاية، ولا مناص له منها فهي مطبقة عليه ومحيطة به.

لقد كان كافياً تلقف تلك الاستعارة :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ ٧) ليتدفق في ذهن المتلقي سيل الدلالات (نار – عذاب أبدي – أفئدة تذوق ألوان العذاب..).

إذ يفجر هذا التكثيف انفعالات قوية، وأحاسيس شديدة الوطء لها عظيم التأثير في نفس، وذلك بفعل قدرته على التلاعب بالحواس، وتحفيز المخيال، وإقحام الحواس والأخيلة في عملية تفكيك الصورة الفنية وإعادة تركيبها للقبض على المعنى المراد.

لقد تماهت الآية الكريمة مع السياق النصي للخطبة بصورة تامة حتى لكأنها بعض منها، بفضل الدقة في اختيار الآية الملائمة للسياق أولاً، وتموضعها في السياق النصي للخطبة ثانياً، وطبيعة علاقات المجاورة والعلاقات الإسنادية التي ربطتها بالبنيات اللغوية السابقة لها واللاحقة على حد سواء: ((فدونكموها فاحتقبوها مدبرة الظهر. ناكبة الحق. باقية العار. موسومة بشَنار الأبد، موصولة :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْئِدَةِ ٧) ، فبعين الله ما تفعلون)).

وعليه أسهمت الآية الكريمة في الحفاظ على الوجهة الحجاجية لنص الخطبة، حيث في سياق الخطبة حجة ونتيجة في آن؛ هي نتيجة حتمية للمخاطب المعني في الخطبة الذي اهتضم حق الزهراء عليها السلام، وافترى، وناور، وتجاوز كتاب الله جل وعلا، ونتيجة حتمية لأفعالهم، ولصمت الناس الشاهدين على الباطل، ووقوفهم مكتوفي الأيدي، يشاهدون ما تقاسيه

عليها السلام من ظلم، وما يعتمل في قلبها الطاهر من حرقة، وغصة، وألم، من دون أن يحركوا ساكناً.

توالي الحجج في سياق الخطبة:

الحجة الأولى: فدونكموها.

الحجة الثانية: فاحتقبوها (مدبرة الظهر. ناكبة الحق. باقية العار).

الحجة الثالثة: موسومة بشَنار الأبد.

الحجة الرابعة: موصولة بـ :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧).

النتيجة: بعين الله ما تفعلون.

بيد أن هذا الانزياح الطفيف لايغير من جوهر المقصود، ولا من طبيعة الحجج والنتائج؛ فمن ظلموا الزهراء عليها السلام، ومن صمتوا أمام ظلمها، ولم ينتصروا لحقها الواضح وضوح الشمس، المؤيد بكتاب الله عز وجل، وببركة والدها النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أولئك لاريب سينتهون إلى نتيجة كبرى بعد توالي الحجج هي :(نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦ ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ ٧) ذلك أن ما يفعلون يراه الله (بعين الله ما تفعلون) والله وكيلها فيما فعلوه بها، فقد سلمته زمام أمرها، وأسلمت له مصيرها، ومصيرهم، وحسبها الله ونعم الوكيل.

إن الآية الكريمة كانت في سياق الخطبة حجة، ونتيجة، ودعاء في الوقت عينه، ودعاؤها عليها السلام لاريب مستجاب، والله ناصرها كما نصر والدها محمداً صلى الله عليه وآله وسلم. ولأن الآية الكريمة كثفت في استعارةٍ عالية البلاغة، أفرغت محمولاتها الدلالية، والجمالية، والبلاغية والإقناعية، والحجاجية، والتأثيرية في فضاء الخطبة التي تلقفت تلك المحمولات، واستمدت منها بدورها.

إن الطاقة التأثيرية للاستعارة تأتت لها من خلال ما تركته في نفوس المتلقين من أثر، فهي في موضعها من السياق المختار لها بإحكام أكثر قدرة على إثارة انتباه المتلقي، والاستحواذ على حواسه، وبالتالي أكثر قدرة على التأثير في المتلقي، وذلك يزداد بازدياد ما تتمتع به من غرابة، وطرافة، وبقدر ما تحققه من انحراف عن العادي المألوف[1].

---

[1] الحجاج في النص القرآني سورة الأنبياء أنموذجاً، رسالة ماجستير: 78.

ولذا استطاعت الاستعارة التي نسجت منها الآية الكريمة أن تضمن لنفسها قدرة تأثيرية عميقة منذ لحظة تلقفها الأولى، وجملة الأحاسيس والمشاعر والانفعالات المتواترة في شدتها التي تولدها في نفس المتلقي بعد تضاعف قوتها المتأتية من مصدرين الأول كونها آية من القرآن الكريم فتلقي بظلال من القداسة حولها بصورة تلقائية، وثانياً باقتراتها بكلام الزهراء عليها السلام، وما نقلته من انفعالاتها وغصتها وحرقتها إلى المتلقي عبر استثمار الآية في موضعها الملائم من جهة، وورودها كحجة ودعاء ونتيجة في آن معا من جهة ثانية، ويستمر التأثير حتى نجاح المهمة الموكلة إلى هذه الاستعارة التي وظفت في المقام الأول لأدائها وهي مهمة حجاجية إقناعية وتأثيرية جمالية معاً، فلايجد المتلقي بداً – بعد كل ما مرّ به من انفعالات أقحم فيها في هذا المقام– من أن يذعن، ويتعظ، ويغير في سلوكه، بعد اقتناعه بمضمون الخطاب، وحق صاحبته، وتأثره الكبير بهما، يضاعف ذلك موقع المتكلم (السيدة الزهراء عليها السلام)، واستشهادها بالقرآن الكريم، وما يسدلانه على أجواء الخطبة من هالة تشكل القداسة والطهارة والروحانية أبرز مكوناتها.

استثمرت الآية الكريمة بنجاح تام نتيجة لقوة التقنيات الموظفة؛ البيانية: متمثلة بالاستعارة وجمالياتها، والنفسية: متمثلة باستمالة المتلقي، ومخاطبة حسه وعواطفه، وحجاجية: متمثلة بمخاطبة الفكر، والتوجه نحو إقناع المتلقي بتبني سلوك محدد، ومقصود قبلاً، لا يقف عند حدود الخطبة الزمنية (نصرة الزهراء عليها السلام، واستعادة حقها المسلوب)، بل تمتد، وتستطيل لتشمل الزمن اللاحق (نصرة المظلوم في كل زمان ومكان).

ومن التوظيف الحجاجي للاستعارة في الشواهد القرآنية الواردة في خطب أصحاب الكساء اخترنا أيضاً قوله سبحانه وتعالى: **(وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)** [الزمر: 67].

والآية الكريمة وظفت في كلام للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومنها: ((يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده (وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها) ثم يقول: أنا الجبار! أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟.. قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية وهو على المنبر: (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) قال: يقول الله: أنا

الجبار أنا المتكبر، أنا العزيز، أنا الكريم، أنا المتعال، يمجّد نفسه. قال ابن عمر: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يرددها حتى رجف بها المنبر حتى ظننا أنه سيخرّ بنا))[1].

يقول الطبري في تفسير الآية الكريمة: يقول تعالى ذكره: والأرض برمتها قبضته في يوم القيامة، (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ) كلها (مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ) والمقصود أنّ الأرض والسموات بأجمعها بيمينه، وأما يده اليسرى فهي خلو لا شيء فيها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقبض الله عز وجل الأرض يوم القيامة، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟. وعن أبي أيوب الأنصاري قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود، قال: أرأيت إذ يقول الله في كتابه: **(وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ)** [الزمر: 67] فأين الخلق عند ذلك؟ قال: هم فيها كرقم الكتاب[2].

لقد جاء الشاهد القرآني غاية في الانسجام مع سياق الخطبة، وجوها العام، ووجهتها الحجاجية، مرخياً سدوله الجمالية، بفعل استثمار طاقات الاستعارة المكنية الثرية من الإيحائيّة، والتعبيريّة، والتكثيفية، والتأثيرية.

إنّ المتلقي لاريب تتملكه ربقة من المشاعر والانفعالات عند تلقي هذه الاستعارة؛ تشكل الغرابة، والدهشة، والرهبة، والخوف، أبرز مكونات تلك الربقة، فتأخذ بلبّ القارئ، وتستحوذ على انتباهه، وحواسه التي يتم إقحامها في عملية إنتاج الصورة الفنية البديعة، الغريبة، المهيبة.

ونحن نعلم أن الصورة الفنية – بصورة عامة– تتضمن معنى الاستعادة الذهنية لمدرك حسي ما قابع في موضع ما في الذهن بيد أنّه غير متوافر للتو واللحظة، أو بتعبير آخر هو غير موجود في الإدراك المباشر[3].

إنّ مكونات الصورة الفنية ذات البنية الاستعارية التي قامت عليها الآية الكريمة، مستمدة من عالم البشر، ومكونات محيطهم المادية، ومناسب للمستوى الإدراكي، والخبرات الحسية

---

[1] خطب الرسول: 120-121.

[2] ينظر: تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: 324/21.

[3] ينظر: الصورة الفنية في القرآن الكريم، أطروحة دكتوراه: 7.

التراكمية؛ فالأرض والسموات، والقبضة، واليمين، كلها منفردة ليست غريبة على القارئ، وهي معطيات مألوفة، بسيطة، بيد أن اجتماعها في أتون الاستعارة، وبناء علاقات تركيبية جديدة، والتجسير بين تلك المفردات عبر علاقات مجاورة، وعلاقات إسنادية جديدة هي الأخرى هو مامنح الصورة فرادتها، وأخرجها عن إطار المألوف، والعادي، إلى أعتاب الماورائيات، والخوارق.

تتكئ الصورة الفنية (الاستعارة المكنية) في الآية إلى استراتيجية متكاملة تشتمل على جملة تقنيات، وميكانيزمات لعل أبرزها الدينامية النفسية؛ بتعبير آخر إنّ الاستحواذ على حواس القارئ أو المتلقي وإدراكه، وتملكه برمته عقلاً وحساً، يتطلب جملة من الأدوات من أهمها الدقة والحذق في استثمار العامل النفسيّ عند المتلقي.

إنّ الخوف، والرهبة، والمهابة، والإذعان، والاستسلام، والخضوع وما شابهها هي الحالة المراد الوصول إليها، وبعد جملة الانفعالات هذه ينتقل الخطاب الإلهي بالمتلقي إلى مستوى حجاجي، يرسخ فيه خلاصة قوامها تمجيد الله، وعظمته وجبروته سبحانه.

وحسب القارئ أن يتخيل الأرض بمن عليها، وما في باطنها، وبضخامتها، وكبرها، ومحيطاتها، وبحارها، وأنهارها، وجبالها الراسخات الشامخات، جميعها قبضة الله عز وجل، ويكفيه أن يتخيل كيف تطوى السموات بمداها غير المدرك، وحدودها التي لم يتسنى للبشر إدراكها ولا الوصول إليها، كل تلك المساحات اللانهائية، وكل ما في تلك السموات من معلوم ومجهول لا يعلمه إلا الله، جميعها تطوى في يمينه جل وعلا.

إن طيّ السماء حدث مهول، يبث الذعر والخوف في نفس المتلقي، وفيه ما فيه من ترهيب، وينطوي على سلسلة من الدلالات التي تتوالد في المستوى الضمني للعبارة من مثل (قدرة خارقة، عظمة، مجد، جبروت، سؤدد، سلطة مطلقة...).

لقد كان حسب الاستعارة ما طرقته من الخارق، والعجيب، وما بلغته في نفس القارئ من تأثير، بيد أن الاتكاء إلى تقنية الدينامية منحها قدرة مضاعفة على التأثير؛ فقد عرض المشهد في إطار واحد، حشدت في داخله جزئيات حركية ذات طابع حسي شكلت بمجموعها الصورة الكلية، ثم تزج الصورة في مقارنة غير متكافئة القوى، فهذه الصورة المهيبة المهولة يليها في

سياق الخطبة صورة بشرية (ملوك الأرض – الجبارون – المتكبرون) الذين يأخذون بالتناهي في الصغر حتى لايجد المتلقي فائدة من تلك المقارنة المحسومة قبلاً، وتذوب أمام الصورة الأولى سائر الصور الأرضية البشرية.

في الواقع تشكل الحركة قوام هذه الاستهارة المكنية؛ فالمشبه وهو (السموات) بات بفعل غياب أداة التشبيه في الاستعارة عامة هو عينه المشبه به (صحف– كتب– أشياء تطوى يترك للمتلقي تخيلها) بفعل غياب الحاجز اللغوي بغياب الأداة، مما يضمن لطرفي الاستعارة مزيداً من التلاحم. وهنا – كما نلاحظ– حذف المشبه به وأبقي على شيء من لوازمه وهو الطي على سبيل الاستعارة المكنية.

أما الحركة فتتأتى من فعل الطي الذي يلازم المشبه (السموات) ويحفز في مخيال القارئ صورة تخييلية لكتاب يفتح ويطوى، ثم يقترن فعل الطي بالسماوات في ذهن المتلقي، فيحاول تخيل عملية طي السموات في يمين الله عز وجل.

إنّ الحركية في الصورة دعمها في السياق النصي للخطبة حركية أخرى، تمثلت بحركات جسد الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (وقبض بيده فجعل يقبضها ويبسطها)، وكذلك الإلحاف على تكرار العبارات (فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يرددها) الأمر الذي ولّد بدوره حركيّة أخرى (حتى رجف بها المنبر حتى ظننا أنه سيخرّ بنا).

إنّ تلك المشاهد الحركية التي استطاعت التأثير في المتلقي الأول أو بتعبير آخر المتلقي الذي حضر الخطبة في زمنها، يتسنى لها التأثير في المتلقي اللاحق مهما امتد الزمن واستطال بعد الخطبة، يدعم ذلك ليس فقط مضمون الخطبة وما فيها من مشاهد حركية، بل أيضاً السرد السابق، واللاحق، والمرافق لرواية الخطبة الذي يكفل إحياء المشهد الكلي مع كل قراءة.

وبذلك دعمت الإشارة الجسدية تشكيل الصورة الفنية، وترسيخها في ذهن المتلقي، وساهمت في زيادة وضوح المعنى، وأضفت عليه حيوية، وديناميةً، وتأثير فوق ما امتلكته من ذلك كله.

إن التقنية المحورية الأخرى التي اتكأت إليها الصورة الاستعارة في الآية الكريمة هي تقنية التكثيف، وهذه التقنية ألفنا اعتماد الخطاب الإلهي عليها في إنتاج كثير من صوره الفنية البديعة، ولا يخفى على قارئ القرآن الكريم أن الصور ((القرآنيّة مضغوطة بقليل من الألفاظ موجزة أشد الإيجاز، سواء أكانت أنماطاً بلاغيّة(تشبيهاً، استعارة، وكناية) أم تعبيراً حقيقيّاً يحمل بين طيّاته صورة يتملّاها الحس))[1].

والاستعارة في الآية الكريمة مكثفة للغاية، اختزلت في كلمات قليلة معاني عميقة، كثيرة، ودلالات قوية، غنية، تتوالد في ذهن المتلقي، في رحلة القبض على المعنى المقصود، حيث يدخل المتلقي إطار الصورة الفنية بوصفه عنصراً فاعلاً في عملية الإنتاج، الأمر الذي يضاعف قدراتها وطاقاتها التأثيرية، والتعبيرية، والإيحائية، ويضمن لها استجابة المتلقي، بل وحتى إذعانه بعد رحلة الدهشة التي عبرها في رحاب الخطاب الإلهي البديع.

كل هذا الجمال، وكل هذه البلاغة، وكل ما حققته الاستعارة المكنية الطريفة الغريبة المدهشة البديعة، يضاف إلى ذلك كله مساهمتها في قيادة الوجهة الحجاجية للسياق النصي للخطبة التي اختيرت شاهداً فيها، وتم نسج البنيات اللغوية للخطبة في الموضع الذي اختير لها فيها، لتوائم حضورها النصي، وهالته القدسية، وما تفرغه من محمولات دلالية، وإيحائية، وتعبيرية، وتأثيرية عظيمة تأتت لها من منبعها الأصل وهو القرآن الكريم.

الحجج في الخطبة وقيادة الشاهد القرآني للوجهة الحجاجية:

الحجة 1: (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ).

الحجة 2: كلام الله (يقول الله).

الحجة 3: أنا الجبار.

الحجة 4: أنا المتكبر.

الحجة 5: أنا العزيز.

الحجة 6: أنا الكريم.

الحجة 7: أنا المتعال.

---

[1] أثر القرآن في الشعر العربي الحديث: 114.

الحجة 8:يمجّد نفسه.

النتيجة 1: تمجيد الله وتعظيمه.

النتيجة 2: تنزيه الله سبحانه عن الشرك (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)

ويكون توالي الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

الحجة 1: (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ). ← الحجة 2: كلام الله (يقول الله).

الحجة 3: أنا الجبار. ← الحجة 4: أنا المتكبر. ← الحجة 5: أنا العزيز. ← الحجة 6: أنا الكريم ← الحجة 7:أنا المتعال. ←

الحجة8: يمجّد نفسه ← النتيجة 1: تمجيد الله وتعظيمه. ←

النتيجة2: تنزيه الله سبحانه عن الشرك (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ).

وعلى هذا النحو شكلت الآية الكريمة منطلق الوجهة الحجاجية (وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ)، والنتيجة الكبرى: تنزيه الله سبحانه عن الشرك (سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ)،. فمن كانت السماوات مطويات بيمينه فهو لاريب حقيق بأن ينزه عن الشرك.

وهكذا تم استثمار طاقات الاستعارة، والانتقال بها من مستوى الجمالي البلاغي البحت إلى مستوى حجاجي إقناعي، تسهم فيه الاستعارة بوصفها تقنية عالية التأثير في عملية الإقناع، وقيادة الوجهة الحجاجية للسياق النصي باتجاه النتيجة المراد ترسيخها في ذهن القارئ، وبالتالي إقناعه، ودفعهم باتجاه تبني سلوك مقصود محدد قبلاً.

وهذا التنظيم المتقن ليس بغريب عن الخطاب القرآني البتة؛ فقد ألفنا البراعة والإتقان، والإبداع في خلق الصور الفنية، وصب المعاني والدلالات في قوالبها اللغوية المناسبة لها، من جهة، والموائمة للسياقات النصية، والغرض العام للسور والآيات، والمقاصد العليا، والأهداف الجمالية منها والحجاجية والدلالية، من جهة أخرى.

ووفق ما بيناه في المثالين المذكورين يتم استثمار طاقات الاستعارة حجاجياً في الشواهد القرآنية الواردة في خطب أصحاب الكساء، بصورة غاية في الإتقان، والتنظيم، والبراعة التي

تفرض نفسها على المتلقي، وتأسره لبّه، وتستحوذ على حواسه، مقحمة إياه في عمليات إنتاج المعنى، لتأخذ بيده نحو الغاية العليا من الحجاج، بصورة متدرجة، انسيابية تراعي قدرات بوصفه كائناً بشرياً محدود الإدراك، والتجارب والخبرات، فتلقنه السماوي برداء الأرضي بشكل مبسط بديع مركب معقد في آن معاً.

المبحث الثالث:

الكناية الحجاجية

- **الكناية لغةً:**

إن الكنايةُ في اللغةِ مصدر من كنيت كذا عن كذا أي: تركت التصريح به[1]. و الكناية هي: أن تتكلّمَ بشيءٍ ما، و أنت تقصد غيره. ويقال: كنى عن الأمر يكني كنايةً أي: تكلّم بغيرِه مما يستدلُّ عليه[2].

- **الكناية اصطلاحاً:**

إن الكناية في الاستعمال الاصطلاحي هي: ((ترك التصريح بذكر الشيء إلى ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك))[3].

تعرف الكناية في عرف البلاغيين على أنها: العدول عن التصريح بالمعنى إلى ما هو أليق منه، و أكثر منه حسناً، وذلك بقصد إصابة أهداف تتعلق بالأدب، ورهافة الحس، و بالمعنى أيضاً[4].

وعلى تنوع التعريفات تبقى الكناية قصد معنى ما والانزياح عن التعبير الصريح، و المباشر عنه إلى الإلماح، والإشارة، والإيماء؛ فالكناية ((أن يريد المتكلم إثبات معنى من

---

(1) ينظر: مختصر المعاني: 257.

(2) ينظر: كتاب العين: 174/12.

(3) شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع: 201.

(4) ينظر: الكناية في البلاغة العربية: 113.

المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكنه يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه))[1].

والكناية شأنها شأن التشبيه والاستعارة في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء؛ تم استثمار طاقاتها البيانية، والجمالية، والبلاغية في مستوى حجاجي إقناعي، وفيما يأتي نعرض بعض الشواهد على ذلك:

من كلام للرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم اخترنا قوله سبحانه وتعالى: (**لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ**) [الأعراف: 40].

هذه الآية الكريمة جاءت متماهية مع سياق الخطبة؛ يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((وتغلق أبواب السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون ألا تعرج روحه من قَبلهم، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟، فيقولون فلان ابن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا– حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فسيفتح له، فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله صلى الله علبه واله وسلم: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) ، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى))[2].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول ابن كثير: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ) قيل المراد: لا يرفع لهم منها عمل صالح ولادعاء. وقيل المراد: لا تفتح لأرواحهم أبواب السماء. (وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) وفسروه بأنه البعير زوج الناقة، وقال الحسن البصري: حتى يدخل البعير في خرق الإبرة))[3].

---

[1] ينظر: نظرية اللغة في النقد العربي: 236.

[2] خطب الرسول: 75.

[3] تفسير القرآن العظيم، تفسير ابن كثير: 412/3.

في حقيقة الأمر إنّ الكناية بدورها إحدى أهم أساليب البيان، وألطف طرق البلاغة، تتمتع بإشراق دائم مرده إلى جملة أسباب البلاغة التي تمتلكها في ميدان التصوير الأدبي الفني ما يجعلها، كما أنها بارزة الملامح، واضحة المعالم، تتمتع بدقة عالية في التعبير والتصوير، إذ تعمل الكناية على عرض الدلالة أو المعنى مرفقاً بالدليل، كما تستحضر القضية وفي أطوائها برهانها، ولاريب أن عرض الشيء مقترناً ببرهانه أشد تأثيراً في النفوس[1].

هذه المزايا التي تتمتع بها الكناية تجعل من عملية استثمارها في ميدان الحجاج أكثر يسراً، وأشد فاعلية ذلك أنها – كما ذكر آنفاً– تحمل القضية والبرهان في آن، وتفرغهما في فضاء السياقات النصية، إلى جانب الخصائص الجمالية والبلاغية، الأمر الذي يضمن لها قوة التأثير والإقناع، ويجعلها أبرز الميكانيزمات في قيادة الوجهة الحجاجية للنص.

تتفق الكناية التي بنيت عليها الآية الكريمة (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) عن ثلة من الصور الحسية التي شكلت جسداً لغوياً لمعنى مجرد، لا يصعب على القارئ القبض عليه، بعد التدرج في تلقف الحجج وصولاً إلى النتيجة:

الحجة 1: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ) .

الحجة 2: (وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ) .

يقتطع سيل المعنى المثقل بالنفي باستثناء هو في الحقيقة مزيد من النفي، ومضاعفة له لكنه بصيغة إثبات:

الحجة 3:(حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ).

هذا الاستثناء المخاتل يوهم المتلقي أن الأرواح الخبيثة للكفار يمكن أن تفتح لهم أبواب السماء ويمكن أن يدخلوا جنات الله سبحانه وتعالى، يتولد عن هذا الاستثناء سؤال في ذهن المتلقي: لكن متى؟ لتأتي الإجابة: عندما يدخل الجمل في سم الخياط. والإجابة تولد سؤال آخر: لكن متى يدخل الجمل في سم الخياط؟. والإجابة: محال أن يدخل الجمل في سم الخياط. وعليه يتحول مسار الإثبات الظاهر إلى النفي الأول ليضاعفه مؤكداً الدلالة، ومقوياً

---

[1] البيان: 60.

المعنى، مرسخاً في ذهن المتلقي معنى استحالة أن تفتح لهم أبواب السماء، واستحالة دخول أولئك الجنة واستحالة.

وبالاتكاء إلى الحجاج، والمحاكمات المنطقية تصبح تراتبية الحجج باتجاه النتيجة على النحو الآتي:

الحجة 1: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآ) . ← الحجة 2: (وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ ۚ) .

الحجة 3: (حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ) . ← النتيجة: استحالة أن تفتح لهم أبواب السماء، واستحالة دخول أولئك الجنة واستحالة.

بإزالة النفي تبقى الوجهة الحجاجية عينها:

الحجة 1: تُفتَح لهُم أبوابُ السَّماءِ.

الحجة 2: يَدخُلونَ الجَنَّةَ.

الحجة 3: ولوج الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط.

الحجة 4: محال أن يلج الجمل سم الخياط.

الحجة الرابعة تنسخ الحجج السابقة وتنفيها لينعطف الإثبات باتجاه النفي مرة أخرى مضاعفاً إياه وصولاً إلى النتيجة الكبرى: استحالة أن تفتح لهم أبواب السماء، و استحالة دخول أولئك الجنة واستحالة.

وعليه يكون توالي الحجج بعد إزالة النفي على النحو الآتي:

الحجة 1: تُفتَح لهُم أبوابُ السَّماءِ. ← الحجة 2: يَدخُلونَ الجَنَّةَ. ←

الحجة 3: ولوج الجَمَلُ في سَمِّ الخِياط. ← الحجة 4: محال أن يلج الجمل سم الخياط. ← النتيجة: استحالة أن تفتح لهم أبواب السماء، و استحالة دخول أولئك الجنة.

إنّ الآية الكريمة وبمعزل عن سياق الخطبة تقوم على الحجاج المبين أعلاه، وتؤدي مهام حجاجية إقناعية تأثيرية، مدعمة بجمالية الكناية وبلاغتها، وطرافتها، هذا كله يطلقه في

فضاء الخطبة النصي استحضاره شاهداً فيها، تقويه طبيعة العلاقات الجديدة التي تربطها بالبنيات اللغوية المجاورة لها، بصورة خاصة، وبجو الخطبة، وغرضها العام، بصورة عامة.

وفي حقيقة الأمر إن الاستعمال الحجاجي للأساليب البلاغية – بصورة عامة– يقتضي الانحراف بتلك الأساليب عن سياقها البلاغي الجمالي، و يقتضي أن تتخطى حدود وظيفتها الجمالية البلاغية إلى وظيفة إقناعية استدلالية، وذلك بفضل ما تتميز به من خصائص وقدرات تسمح بمثل هذا التحول لخدمة الوظيفة الدلالية التي تتغيا إصابة مجموعة من الأهداف ذات الطبيعة التواصلية، مثلما تهدف لإنجاز مقاصد حجاجية، إقناعية قبلية، إضافة إلى جملة من المهام التأثيرية، التعبيرية[1].

وعليه لا تكون الكناية في هذا المقام محض انزياح لغوي طرأ على التركيب والدلالة محملة بغايات ذات طبيعة جمالية بحتة، بل أدت الكناية فوق جماليتها، مهمة حجاجية، وإقناعية وتأثيرية، الأمر الذي يزيد من أهمية حضورها النصي على مستوى الوظائف الدلالية، الحجاجية التي كان تواليها في الخطبة كما يأتي:

الحجة 1: تغلق أبواب السماء.

الحجة 2: يأخذها.

الحجة 3: يجعلوها في تلك المسوح.

الحجة 4: ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض.

الحجة 5: فيصعدون بها.

الحجة 6: إجماع الملائكة على خبث تلك الروح.

الحجة 7: ينتهي به إلى السماء الدنيا.

الحجة 8: فسيفتح له.

الحجة 9: فلا يفتح.

الحجة 10: (لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ) .

النتيجة: استحالة أن تفتح للروح الخبيث أبواب السماء، و استحالة دخولها الجنة.

---

[1] ينظر: الإقناع في الخطاب القرآني صورة الشعراء نموذجا دراسة حجاجية، رسالة ماجستير: 136.

جاءت الآية الكريمة في سياق الخطبة النصي بوصفها أقوى الحجج التي أفضت إلى النتيجةالتي مفادها استحالة أن تفتح للروح الخبيث أبواب السماء، و استحالة دخولها الجنة.

والآية الكريمة التي كانت في الخطبة حجة تدفع الحجاج باتجاه النتيجة الكبرى تحمل في أطوائها حجاجها الخاص الذي يصحبها من منبعها الأصل وهو القرآن الكريم، وعليه يصبح حضورها في سياق الخطبة حجاجاً على حجاج، الأمر الذي يضمن سير الوجهة الحجاجية باتجاه النتيجة، وترسيخ تلك النتيجة في ذهن المتلقي، وإقناعه بها.

ومن استثمار الكناية في الحجاج اخترنا أيضاً قوله جل وعلا: **(أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ)** [الزمر: 56].

والآية الكريمة جاءت في سياق خطبة الغدير للرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وفيها يقول صلى الله عليه وآله وسلم: ((معاشر الناس، إنّه جَنْبُ الله الّذي ذكر في كتابه العزيز، فقال تعالى مخبراً عمّن يخالفه: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) معاشر الناس، تدبّروا القرآن وافهموا آياته، وانظروا إلى محاكماته، ولا تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبيّن لكم زواجره، ولن يوضح لكم تفسيره إلّا الذي أنا آخذٌ بيده، ومُصعده إليّ، وشائلٌ بِعَضُده، ورافعه بِيدي، ومُعْلِمكم: أنّ من كنتُ مولاه فهذا عليّ مولاه))[1].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الطبري: يقول تعالى ذكره: وأنيبوا إلى ربّكم، وأسلموا له (أَن تَقُولَ نَفْس) بمعنى: لئلا تقول نفس (يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)، وهو نظير قوله: (وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ)[النحل: 15] والمقصود: لا تميد بكم. و يا حسرتا أي: يا ندما. والألف في يا حسرتا كناية المتكلم، وإنما يريد يا حسرتي(عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) أي: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله[2].

---

[1] الاحتجاج: 1/76.

[2] ينظر: تفسير الطبري: 313/21.

لقد تم في هذا المقام استثمار خصائص الكناية برمتها، على صعيد الجمال والبلاغة، وعلى صعيد الحجاج والإقناع.

ولعل من أهم خصائص الكناية التي تعرف بها، والتي تمثّل عنوان مناقبها، أنّ بمقدورها أن تمنحك الكثيرَ من المعاني بالقليل من اللفظ، حتى أنها تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصنِ الواحد أنواعاً من الثمر. إنْ شئت أرتك المعاني اللطيفة وهي من خفايا العقل وكأنّها قد جسمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطفت الأوصاف الجسمانيّة حتى تعود روحانيّة لا تنالها إلّا الظنون[1].

وهذا التكثيف لا يخفى على المتلقي الذي تتوالد في ذهنه الدلالات عند تلقفه للكناية في الآية الكريمة، و يمكنه أن يرى كيف غلّفت المعاني العقليّة، المجردة، وفوق الحسية بلباس الحسي الذي يدخل في حيز خبرات المتلقي وإمكاناته الحسية.

إن الكلمات القليلة التي نسجت منها الكناية في الآية الكريمة: (يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ) يتراكم تحتها في البنية المضمرة سيل من المعاني والدلالات التي يمكن للقارئ أو المتلقي أن يتتبعها، وهي تنطلق من عقالها في خياله واحدة تلو الأخرى، فكل دال يسبح في فضاء المتلقي الذهني حتى يرتبط بمدلوله مشكلاً الدلالة التي بدورها تقود إلى أخرى، وهكذا حتى يكتمل تشكيل المشهد، ويتم القبض على النتيجة العليا، والمقاصد القبلية التي يبتغي الخطاب الإلهي الوصول إليها، وتنبيه المتلقي إليها، وتثبيت معانيها في ذهنه، بقصد التأثير فيه، وبقصد تحقيق غايات وعظية دينة في آن معاً.

ولعلَّ الخصيصة التكثيفية هذه هي أبرز ما يميز الكناية بوصفها هذا النوع من التصوير من استثمار ((أقل ما يمكن من اللفظ، لتوليد أكثر ما يمكن من المعاني، ولا يجاوز سبيل القصد، ولا يميل إلى الإسراف، فهو ينتقي الألفاظ الجامعة المانعة))[2].

تتوالى البنيات الجزئية المشكلة للمشهد الكلي في عملية التفكيك الأولية عند تلقي الكناية: (حسرتي– تفريط – جنب الله) ثم تتبعها الدلالات المنوطة بها في المستوى الأعمق:

---

[1] ينظر: أسرار البلاغة: 32–33.

[2] الصورة الأدبية في القرآن الكريم: 140.

(حسرة –ندم – تقصير – طاعات– أعمال– حق الله– جنب الله– جزاء..)، ثم يكتمل المشهد: (إنسان مثقل بذنوبه غارق في ندمه بعدما رأى ما أعدّ له من عذاب، وعاين مصيره الأبدي المحتم الذي كان حذّر منه في الحياة الدنيا، و يتحسر على سوء عمله في الدنيا، وتقصيره في طاعة الله سبحانه، يتمنى لو يعود به الزمن فيغير سلوكه ليغير مصيره بيد أنه يوم الحساب ولات ساعة مندم).

إن كل تلك المعاني والدلالات وما يرافقها من صور حسية بصرية سمعية تتولد في ذهن المتلقي اختزلت في كلمات قليلة (يُحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)، والتفريط في جنب الله هنا كناية عن التقصير في طاعة الله، وضياع الأعمال هباء.

إن القصد في اللفظ لم يؤثر قط على غنى المعنى، وغزارته، وقوته، وهذا من مميزات الكناية أيضاً؛ فهي تجمع بين ((القصد في اللفظ، والوفاء بحق المعنى))[1].

ومن الميكانيزمات المستثمرة في البنية الكنائية التي نهضت عليها الآية الكريمة الاستراتيجية النفسية، والاستراتيجيّة الديناميّة النفسيّة توجه اهتمامها إلى العوامل العاطفيّة، من جهة، والعوامل الإدراكيّة، من جهة أخرى. وتسعى الاستراتيجيّة النفسية الدينامية إلى جعل الإثارة الانفعاليّة منوطة بأنماط محددة من السلوك؛ وإن كانت العواطف هي الركيزة المحورية لهذه الاستراتيجيّة بيد أن استخدامها يبقى مقتصراً على مواقف محددة، تتعلق بالجوانب الإنسانيّة. بينما تعد العوامل الإدراكيّة من أهم المؤثّرات على السلوك الإنسانيّ، وبناء عليه، إذا أتيح تغيير هذه العوامل، سيلحق به تغيير سلوكي لامحالة[2].

إنّ هذه الديناميّة النفسية واضحة المعالم والتأثير في البنية الكنائية التي قامت عليها الآية الكريمة؛ فتحفيز خيالات دينامية، حسية، تشكل مشهداً متكاملاً، يتجسّد على مرأى من المتلقي، وكأنه ماثل أمامه، وجزء منه، يشاهده من داخله، مشهد يصوّر حالة ذلك الآثم المقصر في طاعة الله سبحانه، والمضيع لعمله هباء، النادم على ما اقترفت يداه في حق نفسه، وفي حق الله سبحانه وتعالى، تعلو عقيرته بالحسرة (يُحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ)،

---

[1] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم: 109.

[2] ينظر: نظريات الإعلام، ترجمة: كمال عبد الرؤوف: 384.

تعتمل في صدره الندامة ولا أمل، يترتب عليه استثارة انفعالات بعينها، تجعل المتلقي يتخيل نفسه في مثل هذا المصير في حال قصر، وفرط في جنب الله، فيتعظ، بعد أن أدرك سوء عاقبة هذا السلوك، وبئس المصير الذي يفضي إليه، مما يدفعه إلى تبني السلوك المقصود قبلاً في الخطاب الإلهي، وهو طاعة الله سبحانه، والعمل الصالح.

في الحقيقة إن الاستراتيجية النفسية تستثمر قدرات خاصة في عملية استمالات عاطفيه، تقود موجات الانفعال، والدفقات الشعورية لدى المتلقي؛ و تسعى إلى ((التأثير على وجدان المتلقي وانفعالاته، وإثارة حاجاته النفسية والاجتماعية، ومخاطبة حواسه، بما يحقق أهداف القائم بالاتصال))[1].

ولعلّ أكثر الاستمالات العاطفية انتشاراً في الخطاب القرآني في السياقات التي تخص الوعظ، والتحذير من مصير الكفر والشرك والعصيان هي استمالات الخوف؛ إذ تنبه هذه الاستمالة إلى النتائج غير المرغوبة التي يقتضيها انحراف سلوك المتلقي عن النمط السلوكي المؤطر بتوصيات القائم بفعل الاتصال، وتدفع استمالات الخوف المتلقي إلى الإذعان للمتصل أو المتكلم والاستجابة لمطالبه، بفعل قوة الإثارة العاطفية، وإدراك المتلقي أن ثمة احتمال يفسح له المجال لتجنبه أهوال ذلك المصير وذلك عبر الاستجابة، وتبني النمط السلوكي الذي يقصده المتكلم أو صاحب الخطاب منذ البداية[2].

ومن الخصائص التي تتمتع بها الكناية الخصيصة الإيحائية التي تجعل من الكناية بؤرة دلالية، تتضح بالطاقات التعبيرية، والإيحائية التي من شأنها ((تنبيه الملكات، واستثارة الأذواق من خال اللمحة والإشارة، والتعريض، والرمز، والإيحاء، والمبالغة، ووضع المعنويات في صور المحسوسات))[3].

لقد تمكنت الكناية في الآية الكريمة من تصوير مشهد ماورائي، غيبي، وفوق حسي في صور حسية مألوفة، بمفردات بسيطة، وواضحة للغاية، اكتنزت في باطنها طاقة إيحائية ثرية،

---

[1] من أساليب الإقناع في القرآن الكريم: 53-54.

[2] ينظر: المصدر نفسه: 60.

[3] الصورة الفنية معياراً نقدياً: 373.

تحيل بدورها إلى حالات شعورية، وجملة انفعالات، ومفاهيم مجردة من مثل الطاعة، والتقصير، والصلاح، والإيمان، والجزاء، والضياع وما شابهها مما يتعلق بسياق الآية النصي، وصور حسية بصرية وسمعية تجسد هيئة الآثم النادم وملامحه وتحركاته وسكناته، وصوت صراخه الذي يعلو بإعلان حسرته، وحرقته على ما ضيع من العمل، وعلى تقصيره في طاعة الله سبحانه الذي أفضى به إلى مثل هذا المصير.

إن تلك الخصائص التكثيفية، والإيحائية، والاستراتيجية النفسية للكناية الآنفة الذكر جميعها توظف في سياق الخطبة ضمن مستوى دلالي، و فوق جمالي، هو المستوى الحجاجي، ويمكننا توضيحه وفق الآتي:

الحجة1: التفريط في جنب الله عز وجل (فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ).

الحجة 2: اعتراف النفس (أَن تَقُولَ نَفۡسٞ) (يوم تقول نفس).

الحجة 3: الحسرة (يَٰحَسۡرَتَىٰ).

النتيجة: العذاب وسوء المآل.

ويمكن تمثيل ذلك كما يأتي:

الحجة1: التفريط في جنب الله عز وجل (فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ).

الحجة2: اعتراف النفس (أَن تَقُولَ نَفۡسٞ) (يوم تقول نفس).

الحجة 3: الحسرة (يَٰحَسۡرَتَىٰ).

النتيجة: العذاب وسوء المآل.

هذا الحجاج عينه يدخل في بنية حجاجية أخرى ليسهم في عملية توجيه الحجاج وقيادتها باتجاه نتيجة أخرى على النحو الآتي:

الحجة1: إنّه جَنْبُ الله الّذي ذكر في كتابه العزيز.

الحجة2: (أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ).

الحجة3: تدبّروا القرآن.

الحجة 4: افهموا آياته.

الحجة 5: انظروا محاكماته.

الحجة 6: لن يبين لكم زواجره.

الحجة 7: لن يوضح لكم تفسيره.

الحجة 8: إلا الذي أنا آخذ بيده.

الحجة 9: مصعده إليّ.

الحجة 10:شائل بعضده.

الحجة 11: رافعه بيدي.

الحجة 12: معلمكم.

النتيجة 1: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

النتيجة الكبرى 2: نكران ولاية علي عليه السلام، ومخالفته تفريط في جنب الله عز وجل.

وتكون الوجهة الحجاجية كما يلي:

الحجة1: إنّه جَنْبُ الله الّذي ذكر في كتابه العزيز. ← الحجة2(أَن تَقُولَ نَفْسٌ يٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ). ← الحجة3: تدبّروا القرآن. ←

الحجة 4: افهموا آياته. ← الحجة 5: انظروا محاكماته. ←

الحجة 6: لن يبين لكم زواجره. ← الحجة 7: لن يوضح لكم تفسيره. ←

الحجة 8: إلا الذي أنا آخذ بيده. ← الحجة 9: مصعده إليّ ←

الحجة 10: شائل بعضده. ← الحجة 10: رافعه بيدي. ←

الحجة11: معلمكم. ← النتيجة 1: من كنت مولاه فهذا علي مولاه.

النتيجة الكبرى 2: نكران ولاية علي عليه السلام، ومخالفته تفريط في جنب الله عز وجل.

ويفضي الحجاج أعلاه إلى الحجاج التالي:

الحجة 1: إقرار المخاطب بأن الرسول صلى الله عليه وسلم مولاه (من كنت مولاه).

النتيجة 1: إقرار المخاطب أن علياً عليه السلام مولاه (فهذا علي مولاه).

وتترتب كما يأتي:

الحجة 1: إقرار المخاطب بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مولاه (من كنت مولاه).

إقرار المخاطب أن علياً عليه السلام مولاه (فهذا علي مولاه).

وهذا الحجاج بدوره يفضي إلى الحجاج التالي:

الحجة2: نكران ولاية علي عليه السلام، ومخالفته.

النتيجة 2: تفريط في جنب الله عزم وجل.

ويمكن تمثيل ذلك على النحو الآتي:

نكران ولاية علي ومخالفته ⟸ تفريط في جنب الله عز وجل.

إن النتيجة الكبرى لمجموع الحجاج في السياقات النصية المتداخلة في الخطبة هي (نكران علي عليه السلام ومخالفته تفريط في جنب الله عز وجل). وهذه هي النتيجة التي تسعى الخطبة إلى تثبيتها في ذهن المتلقي، وتم استثمار الحجاج في الآية الكريمة، وسائر الخصائص والميزات التي تتمتع بها الكناية – وتم توضيحها أعلاه– بوصفها أسلوباً بيانياً، بلاغياً، رفيعاً بغرض التأثير في المتلقي، وإقناعه بها.

وبعد هذا كلّه لا يبقى أمام المخاطب إلا الإذعان للمتكلم وهو سيّد المرسلين، وخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالتقنيات البلاغية الحجاجية، والاستمالات العاطفية، تضاعفها هالة القدسية التي تحيط بالخطبة من الناطق بها صلى الله عليه وآله وسلم، ومن الاستشهاد بالقرآن الكريم.

المبحث الرابع:

المجاز الحجاجي

- **المجاز لغة:**

إن المجاز في اللغة من جازَ الشيء يجوزه أي: تعدّاه، وعدل باللفظ عما يقتضيه أصل اللغة، ووسم بالمجاز، لإنهم جازوا به موضعه الأصليّ، أو لأن المجاز قد جاز مكانه الذي وضع فيه في البداية[1].

- **المجاز اصطلاحاً:**

إن المجاز في الاستعمال الاصطلاحي يقصد به اللفظ المستخدم في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب، وذلك بسبب علاقة معينة، فضلا عن أنه يتطلب وجود قرينة مانعة، تحول دون إرادة المعنى الوضعيّ[2].

ولاستثمار المجاز حجاجياً في الشواهد القرآنية الموظفة في خطب أصحاب الكساء اخترنا مثالاً قوله تعالى: **(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا)** [الفتح: 10].

والآية الكريمة من كلام للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول فيه: ((معاشر الناسِ، إنّي قد بيّنتُ لكم وأفهمتُكم، وهذا عليٌّ يُفهمكم بَعدي. ألا وإنّي عند انقضاءِ خُطبتي أدعوكم إلى مُصافقتي على بيعته والإقرارِ به، ثمّ مصافقته بَعدي. ألا وإنّي قد بايعتُ الله وعليٌّ قد بايعني، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجل(إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا)))[3].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الطبري: ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه واله وسلم (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) بالحديبية من أصحابك على أن لا يفروا عند لقاء العدو، ولا

---

(1) ينظر: الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل: 126.

(2) ينظر: جواهر البلاغة: 285.

(3) الاحتجاج: 1/76.

يولوهم الأدبار (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) يقول: إنما يبايعون ببيعتهم إياك الله لأن الله ضمن لهم الجنة بوفائهم له بذلك.

(فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ) وهم الذين بايعوا يوم الحديبية. وفي قوله (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ) وجهان للتأويل: أحدهما: يد الله فوق أيديهم عند البيعة؛ لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، والآخر: قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على نصرته على العدو))[1].

إن التوظيف الحجاجي للمجاز في خطب أصحاب الكساء شأنه شأن الاستعارة والتشبيه والكناية كان متقناً، بديعاً، متناسقاً، ومنسجماً مع السياق النصي للخطبة الموظف فيها، وهذا التنوع في ألوان الخطاب البلاغية، وانتقاء الأسلوب الملائم للمواقف والأفكار والدلالات المعبر عنها هو أمر ألفناه بين دفتي القرآن الكريم.

ولا يختلف اثنان على حقيقة تفرّد القرآن الكريم ((بطريقةٍ فذّةٍ في الأداء الذي يقوم على رعاية مقتضيات الأحوال، والأداء بحسب ما يقتضي بذلك تنوع الغرض وطبيعة الموقف))[2].

إنّ المجاز شكل بؤرة دلالية محورية تموضعت حولها سائر البنيات اللغوية في الآية الكريمة التي اختيرت شاهداً في الخطبة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا).

والمجاز وقع في قوله سبحانه وتعالى: (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ) وهو مجاز مرسل علاقته سببية؛ فاليد هي مصدر المنح والعطاء أو أداته التي يصدر عنها، والمعنى هنا أن قوة الله سبحانه جل وعلا تضاف إلى قوة الذين يبايعون الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ) ، وعليه انزاح التركيب اللغوي عن أصل وضعه، مع التغير الذي طرأ على مستوى التبديل والاختيار من على محور الاختيار، ففضل الخطاب الإلهي صبّ المعنى (قوة الله فوق قوتهم تدعمها وتضاعفها وتنصرها) في تركيب لغوي مغاير لأصل الوضع المعتاد والمألوف، ليخرج التعبير عن إطار العادي، ويكسر جليد المألوف، متعمداً إثارة الدهشة،

---

[1] تفسير الطبري: 210/22.

[2] النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: 58.

وتحفيز الانفعالات، وتحريك الدفقات الشعورية، لضمان قوة الأداء البياني البلاغي، والحجاجي الإقناعي في آن معاً.

إن اختيار التعبير بأسلوب بلاغي، والانزياح عن التعبير التقريري المباشر أدى دوراً مهماً في عملية الاستمالات العاطفية، وتحريك الوجدان، في إطار اعتماد الاستراتيجية النفسية من جملة استراتيجيات الإقناع؛ فالمتلقي الذي تلقف الآية تتفجر في أفقه الدلالات التي تتضافر، وتتنضد لترسم المشهد الكلي القائم على تتابع مشاهد جزئية تتوارد في خيال المتلقي تترى: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ): جماعة من المؤمنين يبايعون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويعاهدونه على نصرته والوقوف إلى جانبه، والقتال في سبيل إعلاء كلمة الله التي أوحي له بها، لتحقيق مشيئة الله، يلحق بهذا المشهد هامش مفتوح لخيال المتلقي وخلفياته الثقافية وخبراته المعرفية تتيح له تخيل هيئة أولئك المؤمنين، وهيئة الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وهيئة المكان الذي أطر هذا الحدث والشخوص.

يتبع المشهد السابق مشهد الآخر: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ) وهو منوط بالأول، وناتج عنه؛ فمن يبايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنما في حقيقة الأمر يبايع من أرسله، وكلفه بمهمة تبليغ رسالته الله سبحانه وتعالى. وهنا يترك لمخيال المتلقي رسم هامش المشهد.

يلي هذا المشهد مشهد آخر هو بدوره نتيجة للمشهدين السابقين: (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ): ويطلق العنان لمخيال المتلقي لمحاولة رسم المشهد سواء بحرفيته، أم بمجازيته؛ فله أن يتخيل أولئك المؤمنين وهم متحلقون حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ويضعون أيديهم فوق يده، في إشارة إلى تعهدهم بنصرته، وفوق تلك الآيادي يد الله سبحانه وتعالى في هالة من نور قدسية تضفي على المشهد طابعاً سوريالياً، غيبياً مهيباً، وجذاباً، ومثيراً للحماس والانفعال. وله أن يتخيل المعنى بمجازيته؛ أي ينحرف عن المعنى الحرفي إلى المعنى المضمر وهو قوة الله عز وجل ونصرته للمؤمنين، ولنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ويترك له هامش تخيل إطار الزمان والمكان الذي يضم الحدث.

ثم يأتي المشهد: (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نفسه)، وهنا يرسم القارئ في خياله مشهداً مستلاً من مشهد المبايعة السابق (مبايعة الرسول – مبايعة الله – يد الله فوق أيديهم) وتأتي

قوة الانفعال ودفقاته الشعورية من هول حدث نكث مثل هذا العهد، فبارتسام هيئة أولئك الذين غرهم الشيطان، ونازعهم، فخانوا مثل هذا العهد، ونكثوا به، يتفجر سيل من الانفعالات والدفقات الشعورية من الغضب، والنقمة، والاستغراب، والخزي والعار والخجل من رسول الله، والتأسف له نيابة عن أولئك الذين امتلكوا جرأة خيانة عهده.

أما المشهد الأخير: (وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا): فيؤدي مفعولاً معاكساً للمشهد السابق، يتبعه تخيل جنات النعيم التي وعد بها المؤمنون، وجزاؤهم في الآخرة، ومصير النعيم الأبدي الذي ينتظرهم؛ فمن أوفى العهود لله ورسوله هو حقيق بذلك الأجر العظيم. ويلحق بهذا المشهد سلسلة الانفعالات، وجملة المشاعر التي تثار في نفس المتلقي من الغبطة، والسرور لأولئك الذين أوفوا العهد، والفرح لمآلهم، وغبطتهم لما ينتظرهم من نعيم، وتمني نظيره، وللفرصة التي أتيحت لهم لمقابلة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والعيش في زمنه،، ومرافقته ونصرته، وما يتصل بجملة هذه المشاعر.

إنّ اكتناز العبارات لسيل من المعاني، والإيحاء، والقوة يؤكد حقيقة أن النص في مستويات إبداعية معينة يستحيل ((انزياحاً بين اللغة الطبيعية التي تمثل الأشياء، وبين ما تحتها من حجم، أو سماكة للاستعمالات الدالة، فتخمر الدلالات بنفس ماديتها، من داخل اللغة، حسب لعب عملي، غريب عن الإيصال، يكسب المفردات قياسيتها))[1].

في الحقيقة ليس ثمة تركيب أو تعبير ولا حتى لفظة في القرآن الكريم كان بمحض الصدفة، أو من دون غايات، ومقاصد على تنوع تلك الغايات والمقاصد، واختلافها باختلاف المواقف، والمعاني، والحالات التي يتم تصويرها، والمواضيع التي يجري الحديث عنها، وتنوعها، وتعددها.

إنّ بلاغة القرآن الكريم أكثر ما تتأتى من معين لا ينضب وهو الإعجاز النفسي الذي يعد أحد أبرز أسراره المعجزة التي يكتنزها في ذاته، من جهة، وفي وقعه الخاص في الأسماع، والنفوس، وفي قدراته التأثيرية، واستحواذه على الأفئدة، والحواس؛ إذ إنه يتوجه الخطاب الإلهي في القرآن الكريم نحو ملكات خفية قابعة في دواخلنا، نحن أنفسنا لا نعيها، ولا ندركها، ولا

---

[1] النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق: 20.

نعرف عنها، بل يعرفها من أبدعها، ووضعها في النفوس جل وعلا، ولا جناح على تلك الملكات أن تنفعل حيثما يتلى عليها كلام خالقها، ومبدعها (القرآن الكريم)[1].

والاستراتيجية النفسية التي بينت آنفاً هي محض أداة من الأدوات، وواحدة من ميكانيزمات ثرية، عديدة، متنوعة يلجأ إليها القرآن الكريم، ويستعمل ما شاء منها في الموضع الملائم، ليرسمنا ويخطنا كما شاء لنا، وشاء لكلماته أن تكون.

وعليه لا نجانب الصواب إن قلنا: إنّ الخطاب الإلهي خطاب منظّم للغاية، ومثقل بالمقاصد والغايات، ويتمثل هذا التنظيم عند التلفظ بالخطاب بما يعرف باستراتيجية الخطاب؛ بتعبير آخر إنّ الخطاب المنجز – بصورة عامة– هو خطاب مخطط له مسبقاً، بشكل دائم وشعوري. وبناء عليه يتم انتقاء الاستراتيجية الملائمة للمقاصد والأهداف القبلية في حقيقتها[2].

والحقيقة التي تفرض نفسها في هذا المقام، والتي لا نجد بداً من التنويه إليها هي حقيقة كون لغة الخطاب الإلهيّ لغة تتمتع بخصائص، وسمات أسلوبية تجعل منها لغة، أقل ما يقال فيها إنها لغة مبتكرة، إبداعية، ثرية على مستويات النص جميعها الدلالي منها والجمالي، الشكل والمضمون، الزخرف والموضوع، كله على حد سواء. ولا تخفى على المتلقي تلك البراعة، والدقة، والإتقان في واختيار الكلمات من على محور الاختيار، وتنضيدها، وسبك العبارات، وبناء العلاقات النصية، والعلاقات الإسنادية بين الألفاظ والتراكيب في كل نص بما يتماهى مع السياقات النصية، ومضامينها، ومقاصدها، وغاياتها، ومواضيعها، ومواقفها الخاصة بها، ويتنوع بتنوعها.

إنّ كل هذه البلاغة يتم استثمارها حجاجياً؛ والمستوى الأول للحجاج قابع في حدود الآية الكريمة عينها: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا):

الحجة 1: مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ).

الحجة 2: مبايعة الله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ).

---

[1] ينظر: الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل: 48.

[2] ينظر: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية: 101.

الحجة 3: قوة الله سبحانه ستنصرهم (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ).

الحجة 4: من ينكث هذا العهد مردود عليه فعله (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ).

النتيجة 1: من أوفى عهده سيجزى أجره الذي (وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا).

النتيجة 2: الله غنيّ عن نصرة البشر وعهودهم.

ويمكننا تمثيل ذلك وفق الآتي:

الحجة 1: مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ).

الحجة 2: مبايعة لله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ)

الحجة 3: قوة الله سبحانه ستنصرهم: (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ)

الحجة 4: من ينكث هذا العهد مردود عليه فعله: (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ).

النتيجة 1: من أوفى عهده سيجزى أجره الذي يستحق:(وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا).

النتيجة 2: الله غنيّ عن نصرة البشر وعهودهم.

والآية الكريمة عينها وظفت في مستوى حجاجي آخر داخل الخطبة على النحو الآتي:

الحجة 1: إنّي قد بيّنتُ لكم.

الحجة 2: أفهمتُكم.

الحجة 3: علي عليه السلام يفهم الناس من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وهذا عليٌّ يُفهمكم بَعدي).

الحجة 4: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بايع الله سبحانه وتعالى (وإنّي قد بايعتُ الله).

الحجة 5: علي عليه السلام بايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وعليٌّ قد بايعني).

الحجة 6: أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البيعة لعلي عليه السلام عن الله جل وعلا (وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجل).

الحجة 7: الآية الكريمة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖوَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا).

النتيجة 1: مصافقة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على بيعة علي عليه السلام (مُصافقتي على بيعته).

النتيجة 2: الإقرار بعلي عليه السلام (والإقرارِ به).

النتيجة 3: مصافقة علي عليه السلام (مصافقته بَعدي).

ويمكننا تمثيل دور الآية الكريمة في الوجهة الحجاجية في الخطبة وفق الآتي:

الحجة 1: إنّي قد بيّنتُ لكم. ← الحجة 2: أفهمتُكم. ←

الحجة 3: علي عليه السلام يفهم الناس من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (وهذا عليٌّ يُفهمكم بَعدي). ← الحجة 4: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بايع الله سبحانه وتعالى (وإنّي قد بايعتُ الله). ← الحجة 5: علي عليه السلام بايع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (وعليٌّ قد بايعني). ← الحجة 6: أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم البيعة لعلي عليه السلام عن الله جل وعلا (وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عزّ وجل).

الحجة 7: الآية الكريمة: (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا). ←

الحجة 8: مبايعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم (إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ). ←

الحجة 9: مبايعة الله سبحانه وتعالى: (إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ). ←

الحجة 10: قوة الله سبحانه ستنصرهم: (يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ). ←

الحجة 11: من ينكث هذا العهد مردود عليه فعله: (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ) .

النتيجة 1: مصافقة الرسول صلى الله عليه وسلم على بيعة علي عليه السلام (مُصافقتي على بيعته). ←

النتيجة 2: من أوفى عهده سيجزى أجره الذي يستحق: (وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمًا). ←

النتيجة 3: الله غنيّ عن نصرة البشر وعهودهم. ←

النتيجة 4: الإقرار بعلي عليه السلام (والإقرارِ به). ⟸ النتيجة 5: مصافقة علي عليه السلام (مصافقته بَعدي).

لقد جاءت الآية الكريمة متماهية مع السياق النصي للخطبة، ومع الحجاج الوارد فيها، وساهمت في قيادة الوجهة الحجاجية نحو النتيجة الكبرى المقصودة من الحجاج في الخطبة والمتضمنة في خلاصات النتائج الجزئية، وهي (مبايعة علي عليه السلام).

وبناء على ما سبق نجزم بأن البلاغة في القرآن الكريم هي بلاغة ممنهجة، وانطلاقاً من حقيقة أن البلاغة – بصورة عامة– هي في كنهها منهج منوط بأهم ميزات الإنسان التي يتفرد بها وهي الكلام[1].

إن تلك البلاغة القرآنية – التي لا جدال فيها – تفرض نفسها على السياقات النصية جميعها، وتتمثل منهجيتها بانتقاء الأساليب، والاستراتيجيات، والأدوات الأكثر مواءمة لطبيعة المواقف، والموضوعات، والمشاعر، والعواطف، والانفعالات التي تدور حولها الآيات؛ فحيث يستدعي السياق النصي زخرفاً، وبياناً، وجمالاً، تتنوع الأساليب البيانية البديعة المبتكرة، وحيث يحتاج الموقف الحقيقة، والبساطة في التعبير، يباشر الخطاب الإلهي الموضوع ويلجأ إلى التقرير، وحيث يحتاج الموقف تأدية وظائف دلالية جمالية في آن، نرى الأساليب البيانية البلاغية تستثمر طاقاتها المتنوعة، وينتقل بها الخطاب الإلهي إلى مستوى أعلى وأعمق تصبح معه أداة حجاجية إقناعية، من دون أن تفارقها خصائصها الجمالية البلاغية، بل تستحيل تلك الخصائص معيناً للطاقات التأثيرية الإقناعية.

ولا غرو فالقرآن الكريم هو الكلام الذي لا ضد له، ولم يشهد تاريخ البشرية مثيلاً له، ولم يسجل في دفتيه أن ثمة كلاماً قد استطاع أن يلامس طرف الثوب، ولا يقترب من القرآن الكريم لا في البلاغة، ولا في القدرة على الاستحواذ على النفوس، بقوة الأداء، وشدة التأثير في العقول والقلوب[2].

---

[1] ينظر: البلاغة والأسلوب نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، ترجمة: محمد العمري: 23.

[2] ينظر: تفسير المنار: 204.

ومن أمثلة الاستثمار الحجاجي للمجاز نذكر قوله تعالى: **(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)** [المائدة: 66].

والآية الكريمة وردت في خطبة للإمام الحسن (عليه السلام) ومنها قوله: ((أيها الناس لو أذكر الذي اعطانا الله تبارك وتعالى وخصنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسانه نبيه لم أحصه، وأنا ابن البشير النذير، وأنا ابن السراج المنير الذي جعله رحمة للعالمين، وأقسم بالله لو تمسكت الأمة بالثقلين، لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم، ومن تحت أرجلهم من غير اختلاف بينهم غلى يوم القيامة، قال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)، وقال الله عز وجل: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ)[الأعراف: 96]، نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم)) [1].

ومما جاء في تفسير الطبري حول معنى الآية الكريمة: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ) ولو أنهم عملوا بما في التوراة والإنجيل: (وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ) يقول: وعملوا بما أنزل إليهم من ربهم من الفرقان الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه واله وسلم: (لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ) يعني: لأنزل الله عليهم من السماء قطرها، فأنبت لهم به الأرض حبها ونباتها، فأخر ثمارها. وأما قوله(وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)، فإنه يعني تعالى ذكره: لأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض، وذلك ما تخرجه الأرض من حبها ونباته وثمارها، وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض))[2].

تنهض بنية الآية الكريمة على البنية المجازية، والمجاز فيها موضعه قوله سبحانه وتعالى: (وَلَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)، وهو مجاز مرسل علاقته مسببية، فالسماء مسبب للرزق من فوقهم، وذلك من خلال الماء الذي ينزل من غيومها نحو الأرض فتحيا به، وتنمو أنواع النبات والشجر بأصنافها التي تصل من التنوع ما يثير الدهشة، ويحيل إلى عظمة

---

[1] الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع): 58.

[2] تفسير الطبري: 463/10.

الخالق، وسعة رحمته، والأرض مسبب لحصولهم على الرزق من تربتها وذلك من خلال النبت والزرع والشجر وثماره، وخيرات الأرض عامة؛ بتعبير آخر السماء مسبب للرزق عبر الماء الذي هو مسبب لنمو النبات والزرع في الأرض، التي هي بدورها مسبب لحصول الإنسان على الرزق لأنها تحتضن في جوفها البذور، وتوفر التربة اللازمة لحياة النبات والشجر، فيؤتي كل منها أكله، ويحصل الإنسان بالتالي على الرزق.

لقد كان بإمكان الخطاب الإلهي أن يسلك التعبير المباشر والتقريري بيد أنه آثر الانحراف عن المألوف، والانزياح عن أصل الوضع، وتجاوز حدودها نحو معنى أعمق، تتم الإحالة المستمرة إليه بفضل الطاقات الإيحائية والترميزية والتعبيرية التي يكتنزها المجاز.

إنّ طبيعة العلاقة بين نصّ ما ولغة هذا النص هي علاقة كلّ بجزء، وتبلغ من التعقيد والتركيب مبلغاً يصبح معه القول ببساطتها إجحافاً بحقها؛ فقد يقتضي النصّ التطوير والتغيير فيفرضه بالقوة على اللغة، وقد يحتاج التحوير، والتوليد، والابتكار، والتضمين، والإشارة، والرمز بغرض تحقيق الانسجام، والتماهي مع الموضوعات والقضايا المطروحة[1]، فيثنيها، وينحرف بها عن أصل وضعها، بعيداً عن الجمود، والثبات إلى مالا حصر له من احتمالات السبك، والتراص، الصياغة.

وهنا يحضرني قول الباقلاني عن مصدر الجمال في القرآن الكريم؛ يقول إن: ((جماليّة الألفاظ في انتقائها، واختيار موقعها من الجملة القرآنيّة، ووضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فضول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإمّا ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة))[2].

وفي سائر الأساليب البلاغية الآنفة الذكر يزج المجاز في ميدان الحجاج على مستوى الآية الكريمة أولاً، ثم على مستوى الخطبة ثانياً:

- على مستوى الآية الكريمة:

---

[1] سلطة النص قراءات في توظيف النص الأدبي: 316.

[2] إعجاز القرآن، الباقلاني: 16.

الحجة 1: ولو أنهم أقاموا التوراة.

الحجة2: و أقاموا الإنجيل.

الحجة3: أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم

النتيجة 1: لأكلوا من فوقهم.

النتيجة 2: لأكلوا من تحت أرجلهم.

ويمكننا تمثيل الوجهة الحجاجية كما يلي:

الحجة 1: ولو أنهم أقاموا التوراة. ← الحجة2: و أقاموا الإنجيل.

← الحجة3: أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم.

النتيجة 1: لأكلوا من فوقهم. ← النتيجة 2: لأكلوا من تحت أرجلهم.

- على مستوى الخطبة:

الحجة1: أنا ابن البشير النذير.

الحجة2: وأنا ابن السراج المنير.

الحجة 3: لو تمسكت الأمة بالثقلين.

الحجة 4: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ).

الحجة 5: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ).

الحجة 6: نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

النتيجة1: استحالة إحصاء فضائله سبحانه وتعالى (لو أذكر الذي اعطانا الله تبارك وتعالى وخصنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسانه نبيه لم أحصه).

النتيجة 2: لأعطتهم السماء قطرها.

النتيجة 3: لأعطتهم الأرض بركتها.

النتيجة4: ولأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم.

النتيجة 5: و لأكلوا نعمتها من تحت أرجلهم.

النتيجة 6: العدل والسلام (من غير اختلاف بيهم إلى يوم القيامة).

ويمكننا توضيح موقع الآية الكريمة في الحجاج، ودورها في الوجهة الحجاجية على النحو الآتي:

الحجة1: أنا ابن البشير النذير. ← الحجة2: وأنا ابن السراج المنير. ←

الحجة 3: لو تمسكت الأمة بالثقلين. ← الحجة 4: " ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم". ← الحجة 5: ولو أنهم أقاموا التوراة. ←

الحجة6: و أقاموا الإنجيل. ← الحجة7: أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم.

الحجة 8: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون". ←

الحجة 9: نحن أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

النتيجة1: استحالة إحصاء فضائله سبحانه وتعالى (لو أذكر الذي اعطانا الله تبارك وتعالى وخصنا به من الفضائل في كتابه، وعلى لسانه نبيه لم أحصه).

النتيجة 2: لأعطتهم السماء قطرها. ← النتيجة 3: لأعطتهم الأرض بركتها.

النتيجة4: لأكلوا نعمتها خضراء من فوقهم. ←

النتيجة 5: لأكلوا نعمتها من تحت أرجلهم. ← النتيجة 6: العدل والسلام (من غير اختلاف بينهم إلى يوم القيامة).

إن النتيجة الكبرى المتضمنة في جملة النتائج الجزئية الآنفة الذكرى والتي يتقصدها الحجاج هي إقامة ما أنزل الله سبحانه وتعالى تورث من الفضائل والنعم و الرزق ما لاحصر له.

الخاتمة

خاتمة:

في ضوء ما سبق توصل البحث إلى نتائج نوجز أهمها فيما يلي:

1-إن أواصر القربى بين الحجاج والتداولية متينة للغاية، وثمة نقاط مشتركة كثيرة، وتقاطعات عديدة، تتيح دمجهما في مواضع متباينة، وتبيح انفراد لون حجاجي قائم بذاته يدعى الحجاج التداولي.

2- تم استثمار طاقة العامل الحجاجي بصورة متقنة ليست غريبة عن أسلوب الخطاب القرآني البتة؛ حيث توافرت للتعبير أو للقول الحجاجي الموظفة فيه كل من القوة، والعمق، والجمال في المعنى،تحقق ذلك عبر انزياحات لغوية عملت على هز أفق التوقع عند القارئ أو المتلقي.

3-حقق التقديم والتأخير الذي قام عليه بناء بعض الآيات الكريمات أغراضاً جمالية وحجاجية في آن؛أما الجمال فقد تسنى لهذا الأسلوب نتيجة تقنية هز أفق التوقع،وإطالة مدة المتعة المتحصلة من إثارة مدركات القارئ، وانتباهه للقبض على المعنى، و إعادة تنضيد البنى اللغوية، ثم ربط هذه البنى اللغوية بروابطها الأصلية كما في أصل الوضع النحوي القاعدي، ثم إدراك الغاية الجمالية والدلالية من الروابط الجديدة التي انتظمت تحتها التراكيب أو البنى اللغوية. أما الوظيفة الحجاجية أو الغرض الحجاجي الذي حققه أسلوب التقديم والتأخير فيتمثل في استثمار آلية زعزعة النظام النحوي الوضعي و النمطي للجملة العربية التي تقتضي ترتيباً محدداً للبنى اللغوية، ثم إعادة هيكلتها في صورة جديدة، وتحت شبكة علائقية جديدة، جعلت من أسلوب التقديم والتأخير ينضح بدلالة حجاجية بفعل إفادته معنى القصر، وبث طاقات هذا الأسلوب، وقدراته الحجاجية في السياق، ترتب عن ذلك بالضرورة تأدية ثلة من الوظائف أهمها التحكم باتجاه القول الحجاجي،

وحصر احتمالاته وإمكاناته، ودفعها باتجاه واحد، لتأدية المدلول المقصود بعينه دون سواه.

4- إن نهوض البنيات اللغوية على عاملية النفي كان في هذا السياق له أغراض ذات طابع حجاجي منها حصر الاحتمالات،ونفي إمكانية تعددها، وتوجيهها نحو نتيجة واحدة دون غيرها، هي هنا تفرد الله عز وجل، وعدم وجود أي شريك له على الإطلاق.

5- وبذلك تراكم المعنى، وتم تكثيفه في عبارة ذات طابع حجاجي، هدفها المحوري هو التأثير في المخاطب، وحمله على الإقتناع بمضمون الخطاب، ودفعه بالتالي إلى تبني سلوكيات معينة، تتمخض عنها عملية الإقناع والتأثر.

6- يصبّ الحجاج في نهاية المطاف في خدمة السياق النصي الذي تم توظيفه فيه،يضاف إلى قوته الإقناعية المنطقية المكانة المرجعية المتفردة والعالية لمصدره عند المتلقي،وموقعه الأثير في نفسه، وهو هنا القرآن الكريم،حيث تضاعف هذه المكانة، والتأثير العالي القبلي لمصدر الشاهد في المتلقي القدرة الحجاجية الإقناعية للخطاب،وتسهل مهمته في توجيه المخاطب نحو سلوكيات معينة محددة مسبقاً.

7- حققت البنى اللغوية مع العامل الحجاجي انسجاماً عالياً، حيث أدّت كل منها دورها، ووظيفتها المنوطة بها على مستوى الدلالة، وعلى مستوى الشكل، فكان القول الحجاجي لطيف الوقع في النفس، متوفراً على طاقة تأثيرية عالية، تم صبها في قالب لغوي حجاجي على صعيد الشكل، وعلى صعيد المضمون، هذه الطاقة، وهذه القوة في الأداء لم تكن لتتوافر للقول الحجاجي ضمن السياق النصي للآيات دون العامل الحجاجي بالقدر نفسه الذي حققه وجود العامل الحجاجي.

8-إن فاعلية عامل النفي الحجاجية في السياقات النصية للآيات الكريمات تنعكس في مرآة السياق النصي للخطبة، واتستحضر معها خصائص العامل الحجاجي الدينامية والإقناعية التأثيرية، لتصبها في فضاء النص، والهدف من ذلك في المقام الأول هو تأثيري بحت، يصبح معه الحجاج غاية، ووسيلة في آن، تسعى إلى إقحام المتلقي في دائرة الإقناع التي ستؤدي بدورها إلى الامتثال إلى مضمون الحجاج الدلالي المعد قبلاً.

9-وتفاعل الحجاج المؤدى في الأقوال الكلية للأفعال الإنجازية في الشواهد القرآنية مع الحجاج في الخطب، ليؤدي وظيفة مضاعفة فيما يخص التأثير في المتلقي وإقناعه، ودفعه إلى تبني سلوك محدد.

10- لقد تماهى الشاهد القرآني مع السياقات النصية للخطبة التي وظف فيها؛ إذ تموضع بما يوائم السياق، ليتضاعف بذلك التأثير في المتلقي، والقدرة على استمالته، وذلك عبر توظيف الشاهد القرآني الأكثر مواءمة مع المقاصد الدلالية، والسياق،والغرض العام للخطبة، ليفرغ طاقاته الحجاجية في فضاء الخطبة النصي، وباختيار صيغ الفعل الإنجازي المتقن، يقحم المتلقي في عملية إنتاج المعنى في النص القرآني والخطبة، وهذا أدعى للتأثير في المتلقي، وحمله إلى الانصياع، والخضوع، والاستجابة.

11- إن استثمار ميزات التشبيه المتنوعة أضفى على السياق النصي الذي وردت فيه طابعاً خاصاً، وقدرة تأثيرية عالية. و من تلك المزايا انزياح تلقائي لسمات المشبه به، وميزاته على مستويات اللغة والحقيقة باتجاه المشبه، مما يضاعف التماسك اللغوي والمعنوي، وبعمق الدلالة، ويقوي المعنى، وعليه يصبح المشبه هو عينه المشبه به في كيان التشبيه.

12- عمل الخطاب الإلهي على خلق علاقات لغوية جديدة، وحيوات جديدة للمفردات التي كانت تتبع إلى حقول لغوية معجمية شديدة التباعد، و لا شيء يربط بينها، لتصبح في البنية التشبيهية للآية كلاً واحداً منسجماً كل

الانسجام، بعد أن منحها التشبيه حياة جديدة عرفت معها علاقات إسنادية جديدة، ربطتها بمفردات غريبة باتت لتوها قريبة، ومألوفة.

13- شكل التمازج البديع بين الحسي والإيحائي في الصورة الفنية القائمة على البنية التشبيهية في الآية الكريمة معيناً ثريّاً يمد السياق بالطاقات على مستويات الدلالة، والتأثير، والانفعال، والبلاغة، والجمال، الشكل، والمضمون؛ حيث تتمكن الصورة من مخاطبة الحسي والخفي الماورائي في المتلقي، المجرد المعنوي، والحسي على تباين مصادره، مشكلة بذلك تقنية عالية التأثير، شديدة الإتقان، يتأتى لها ترسيخ الرسالة المقصودة في ذهن المتلقي، عبر تحفيز الحس والفكر في آن معاً.

14- إن أهم مايميز الصور الفنية التي نهضت عليها بعض الآيات الكريمات هو خاصية التكثيف؛ حيث استطاعت أن تختزل في كلمات معدودات معان كثيرة، تتوالد في ذهن المتلقي، بعد أن تحفّز خياله، وتدخله في جو الصورة العام. ويفجر هذا التكثيف انفعالات قوية، وأحاسيس شديدة الوطء لها عظيم التأثير في النفس، وذلك بفعل قدرته على التلاعب بالحواس، وتحفيز المخيال، وإقحام الحواس والأخيلة في عملية تفكيك الصورة الفنية، وإعادة تركيبها للقبض على المعنى المراد.

15- يضاف إلى الجمال المتحقق بفضل الصور الفنية المتنوعة مساهمتها في قيادة الوجهة الحجاجية للسياقات النصية للخطبة التي وظفت شاهداً فيها، وتم نسج البنيات اللغوية للخطبة في الموضع الذي اختير لها فيها، لتوائم حضورها النصي، وهالته القدسية، وما تفرغه من محمولات دلالية، وإيحائية، وتعبيرية، وتأثيرية عظيمة تأتت لها من منبعها الأصل وهو القرآن الكريم.

16- تم استثمار طاقات الصور الفنية، والانتقال بها من مستوى الجمالي البلاغي البحت إلى مستوى حجاجي إقناعي، تسهم فيه الاستعارة بوصفها تقنية عالية التأثير في عملية الإقناع، وقيادة الوجهة الحجاجية للسياق النصي

باتجاه النتيجة المراد ترسيخها في ذهن القارئ، وبالتالي إقناعه، ودفعه باتجاه تبني سلوك مقصود محدد قبلاً.

17- تتمتع الكناية بمزايا عديدة تجعل من عملية استثمارها في ميدان الحجاج أكثر يسراً، وأشد فاعلية، ذلك أنها تحمل القضية والبرهان في آن، وتفرغهما في فضاء السياقات النصية، إلى جانب الخصائص الجمالية والبلاغية، الأمر الذي يضمن لها قوة التأثير والإقناع، ويجعلها أبرز الميكانيزمات في قيادة الوجهة الحجاجية للنص، وقد تم استثمار خصائص الكناية برمتها، على صعيد الجمال والبلاغة، وعلى صعيد الحجاج والإقناع.

18- إنّ الجمال المنبثق من الرتم في الفاصلة القرآنية التي نهضت عليها بعض النصوص القرآنية لا يقف عند حدود التلوين في النغم، بل يتجاوز ذلك بعيداً في عمق النص، ليحمل عبء مهام دلالية حجاجية، عالية التأثير، والأهمية، وعليه كان الاختيار الدقيق للفواصل من على محور الاستبدال مدروساً ومتقناً، وكذلك اختيار الآيات شاهداً، وتموضعها في الخطبة كان مدروساً ومتقناً بدوره، لتتماهى بذلك الفواصل مع السياقات النصيّة لكل من النص القرآني ونص الخطبة، من جهة، والمضمون الدلالي لهما، من جهة أخرى.

19- لقد شكّل التوازي بؤرة دلالية، وإحدى البنيات المركزية التي نهضت عليها هيكلية بعض الآيات الكريمات، وهذه المركزية، والتنظيمية أبرز سمات التوازي.

20- إن للتوازي طاقاته الإيحائية والتأثيرية التي يبثّها في الفضاء النصي، على المستوى الأول، والفضاء الذهني للمتلقي، على المستوى الثاني، وهي طاقات تتأتّى له مما يغصّ به من الشحنات والانفعالات .

21- إن الجمال والبلاغة ليسا هدف التوازي ووظيفته الوحيدة، بل يحقق أيضاً أغراضاً دلالية حجاجية، إنما تتفجر طاقاتها في الخطابات تبعاً لقدرة

المخاطب، وترويضه للغة وأساليبها، وتطويعها لتتثنى بين يديه ريشة ترسم انفعالات، وإيحاءات، ومشاعر، وأحاسيس تخاطب الجانب العاطفي من الإنسان، من جهة، وتخطّ الحجج، والبراهين، والأدلة، مخاطبة العقل والمنطق، من جهة أخرى؛ ذلك أن تقديم المعاني في تشكيلات لغوية موحدة تتكرر في المتواليات يصيّر التوازي بؤرة جمالية، تبث النغم والإيقاع، وسحرهما، وبؤرة دلالية تنضح بالمعنى، وتراكمه، وترسخه، فبذلك يصبح التوازي في النص القرآني بؤرة دلالية جمالية في الوقت عينه.

22- إنّ التكرار في الشاهد القرآني يصيب أهدافاً على مستويات عدة من النص، ولعل أبرزها المستوى الدلالي الحجاجي؛ حيث تنزاح الطاقات الجمالية البلاغية للتكرار عن مسارها لتنتقل إلى مستوى أعمق من النص، وتقحم في مجال تواصليّ حجاجي

23- إنّ التأثير الناجم عن الإيقاع يوظف في خدمة المستوى الدلالي الحجاجي في نصوص الخطب؛ حيث يضاعف التأثير بعد اقترانه بالوجهة الحجاجية للشاهد القرآني، في المقام الأول، ولنص الخطبة الذي وظف فيه، في المقام الثاني.

24- إن الجناس شأنه شأن مصادر الإيقاع الأخرى قد وظفت طاقاته الإيحائية والتعبيرية في مستوى دلالي حجاجي،كما تفرد الحضور النصي للجناس في الشاهد القرآني، أولاً، ونص الخطبة، ثانياً، حيث شكل الجناس بؤرة دلالية، تنضح بالموسيقى والنغم، والإيحاء، والتعبير والتأثير، والإقناع، في آن معاً.

25- عمل الإيقاع الحجاجي على مضاعفة الطاقة الإيحائية والتأثيرية، و قوة المعنى، بتأكيده وترسيخه في ذهن المتلقي، وعليه شكّل الإيقاع الحجاجي الناجم عن توظيف حجاجي لأساليب بديعية أحد ركائز الدلالة الرئيسة عبر دعمه للدلالة، ودعمه للإيقاع الداخلي، ببثه جرساً موسيقياً متواتراً، وذلك كله

بفضل استثمار الطاقات اللغوية والصرفية والإيحائية والجمالية والدلالية لتلك الأساليب.

26- تعانقت الطاقة الحجاجية لأفعال الكلام على مستويين؛ الآية الكريمة، والسياق النصي للخطبة. وبشيء من التأمل نلاحظ أن الشاهد اختير له موقعه بدقة ليصبح جزءاً من السياق النصي للخطبة، ويندمج معه ليؤدي وظائف مهمة فيما يتعلق الدلالية للخطبة، حيث يتمم أصحاب الكساء عليهم السلام المحتوى القضوي للفعل الإنجازي بعدما اقتطف الشاهد من موطنه الأصلي وهو القرآن الكريم، مستحضراً معه ظلاله القدسية التي تضاعف القدرة التأثيرية للكلام.

27- لقد تضمنت كثير من المنطوقات أو الملفوظات المصرح بها في النص القرآني، وفي السياق النصي للخطب الموظف فيها دلالات مضمرة تحيل بدورها إلى ربقة دلالات نصية، وخارج نصية تتصل بالسياق وتلبي مقتضياته، ويتيح السياق فهمها بعد إقحام المتلقي في عملية إنتاج المعنى، والبحث عن الدلالة، وربط الدوال بمدلولاتها، والقبض على الإحالات وربطها بمرجعياتها النصية وخارج النصية.

28- حمل المحتوى القضوي للمنطوق في الشاهد القرآني دلالات عدة، وتركب من أفعال كلامية مباشرة وأخرى غير مباشرة، وساهم التركيب بعناصره اللغوية المختارة بعناية في أداء دلالة الاقتضاء، من جهة، والفعل التأثيري الإنجازي للمنطوق، من جهة أخرى، فشكل بؤرة دلالية، وميكانيزماً فعالاً في عمليات قيادة الوجهة الحجاجية على مستوى النص القرآني أو الشاهد، وعلى مستوى الخطبة التي وظف فيها هذا الشاهد.

مسرد المصادر

والمراجع

ثبت المصادر والمراجع:

أولا : القرآن الكريم

ثانيا : الكتب المطبوعة .

- ،البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1988م،د.ط.
- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي،تحقيق سعيد المندوب،دار الفكر،لبنان،1416هـ . 1996م.
- أثر القرآن في الشعر العربي الحديث، دار المعرفة، شلتاغ عبود شراد، دمشق،1987م.
- الأثر النفسي للقرآن الكريم دراسة وتحليل، خليفة حسين العسال، كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية،جامعة قطر.
- الاحتجاج ، الخبير ابي منصور أحمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي ، منشورات الشريف الرضي ، ط1 ، 1380 هـ ، مطبعة شريعت .
- إرشاد العقل السليم غلى مزايا الكتاب الكريم- تفسير أبي السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي أبو السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أساس البلاغة، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1998.
- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري جار الله أبو القاسم،تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية،بيروت،1998،ط1.
- الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة،2001م.
- أساليب المعاني في القرآن، السيد جعفر السيد باقر الحسيني، مؤسسة بوستان كتاب، ط1.
- أساليب النفي في القرآن الكريم، أحمد ماهر البقري، دار المعارف، مصر، 1994م.

- أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، مؤسسة الكتب الثقافية 1422هـ – 2002م.
- استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط1، بيروت–لبنان،دار الكتاب المتحدة،2003.
- أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر الجرجاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2.
- أصول البيان العربي، محمد حسين علي الصغير، رؤية بلاغية معاصرة، دار الشؤون الثقافية العامة، 1986 م.
- إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، ط5،دار المعارف،مصر،1997م.
- إعجاز القرآن، فضل عباس، مكتبة عمان، الأردن، 1991م.
- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نخلة،دار المعرفة،2006.
- الأفق التداولي– نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، إدريس سرحان، عالم الكتب الحديث، الأردن،2011م، ط1.
- الاقتضاء في سورة البقرة ووظائفه الحجاجية، محمد بريم، إشراف: أحمد قادم وسعيد عوادي،دار كنوز المعرفة، عمان،2016.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع،جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الخطيب القزويني ، دار الكتاب اللبناني،بيروت،1971م، ط3.
- البديع والتوازي، عبد الواحد الحسن الشيخ، مكتبة ومطبعة الاشعاع الفنية،مصر، 1999م.
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، مصر.
- بلاغات النساء ، ابو الفضل احمد بن ابي الطاهر بن طيفور ، صححه وشرحه أحمد الالفي ، مطبعة مدرسة الودة ، عباس الاول، القاهرة ، 1326 هـ، 1908 م .
- بلاغة الإقناع في المناظرة منشورات ضفاف، عبد اللطيف عادل، منشورات الاختلاف، دار الأمان،الرباط، 1434هـ – 2013م، ط1.
- بلاغة الخطاب وعلم النص، صلاح فضل، المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب، الكويت،(د.ت)(د.ط).

- البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحِجاج)، عبد الله صولة، ضمن: الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة،عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، 2010م، ط1.
- البلاغة العربية–أصولها وامتدادها، محمد العمري، المغرب، إفريقيا الشرق، 1990م،ط1.
- البلاغة الواضحة، مصطفى أمين، علي الجارم، مكتبة البشرى، لبنان، 1431هـ – 2010م.
- البلاغة فنونها وأفنانها دار الفرقان للنشر والتوزيع، فضل حسن عباس، الأردن،2003م.
- البلاغة والاتصال، جميل عبد المجيد، د.ط، القاهرة، دار غريب، 2000م.
- البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص، هنريش بليت، ترجمة وتعليق: محمد العمري،أفريقيا الشرق،بيروت، 1999.
- بناء الأسلوب في شعر الحداثة، محمد عبد المطلب، دار المعارف، الاسكندرية – مصر، 1995.
- البيان، إبراهيم مصطفى وآخرون، المطبعة الأميرية،القاهرة،1952،د.ط.
- بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حمدي منصور جودي، مخبر اللسانيات واللغة العربية،جامعة محمد خيضر، بسكرة،ديسمبر 2013م.
- التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، حمو النقاري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء – المغرب، 2006م.
- تحديد المنهج في تقويم التراث، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي،بيروت.
- تحليل الخطاب، ج.ب براون، ج يول،ترجمة: محمد لطفي الزليطي،منير التريكي،جامعة الملك سعود،السعودية.
- التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن،2014.
- التداولية البعد الثالث في سيميوطيقيا مورس من اللسانيات إلى النقد الأدبي والبلاغة، عيد بلبع، بلنسيه،2009.

- التداولية علم جديد في التواصل، جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دعفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، وإشراف جان لوي شليغل، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنشر، 2003، ط1.
- التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوي، دار الطليعة،بيروت،2005.
- التداوليّة والحجاج: مداخل ونصوص، صابر حباشة، صفحات للنشر، سوريا،2008م .
- التداولية، جورج يول، ترجمة: قصي العتابي،دار العربية للعلوم ناشرون،الرباط،1431هـ.
- تشكيل الخطاب الشعري- دراسات في الشعر الجاهلي، ابن هشام موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان،2005، ط2.
- تشكيل الخطاب الشعري- دراسات في الشعر الجاهلي، موسى ربابعة، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان،2005، ط2.
- التصوير البياني- دراسة تحليلية لمسائل البيان، محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة،2002م، ط6.
- تفسير القرآن العظيم- تفسير ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار طيبة، 1420هـ - 1999م.
- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر عاشور، الدار التونسية للنشر- تونس ، 1984م.
- تفسير الثعلبي، أو الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت ٤٢٧ هـ) ، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان وآخرون ، تحقيق: عدد من الباحث ، دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية، ط1، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز البحوث الدراسات العربية والإسلامية بدار هجر،ج1،د.ت،د.ط.
- تفسير العياشي، محمد بن مسعود العياشي، المكتبة العلمية الإسلامية- طهران. د. ط.
- تفسير المنار، محمد عبده، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،1990.

- التلقي والتأويل، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، 1994م،ط1.
- التواصل والحِجاج، عبد العزيز السراج، (أية علاقة؟،ضمن الحِجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، ط1، إربد – الأردن، عالم الكتب الحديث، 2010م.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان– تفسير السعدين، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل – محمد الصالح العثيمين، اعتنى به تحقيقاً ومقابلة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان.
- جامع الأمهات مختصر ابن حاجب، عثمان بن عمر بن أبي بكر بن حاجب، أبو عبد الرحمن الأخضر الأخضري، اليمامة للطباعة والنشر،بيروت، 1419هـ – 1998م، ط1.
- الجنى الداني في حروف المعاني، بدر الدين حسن بن قاسم المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، 1413هـ – 1992م.
- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي،دار المعرفة،بيروت،د.ت،د.ط.
- الجيلاني دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1986 .
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، محمد بن عفيفي الباجوري الخضري، شرحها وعلق عليها تركي فرحان المصطفى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ،ط1.
- الحجاج بين المنوال والمثال: نظرات في أدب الجاحظ وتفسيرات الطبري، علي الشبعان، مسكلياني للنشر والتوزيع، ط1، تونس، 2008.
- الحِجاج في اللغة، أبو بكر العزاوي، دار الأحمدية، المغرب، 2006م، ط1.
- الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، أمينة الدهري، المدارس شركة النشر والتوزيع، المكتبة الأدبية، الدار البيضاء.

- الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته، باسم خيري خضير ،دار صفاء للنشر والتوزيع،عمان،1440هـ - 2019م،ط1.
- الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، عبد الله صولة، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م.
- الحجاج، كريستيان بلانتان، ترجمة: عبد القادر المهيري، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، 2008.
- الحجاجيات اللسانية والمنهجية البنيوية، رشيد الراضي، المركزالثقافي العربي، 2014م.
- الحوار ومنهجية التفكير النقدي، حسان الباهي،افريقيا الشرق،المغرب،2004.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق:عبد السلام هارون،مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997،ط4.
- الخطاب اللساني، بنعيسى عسو أزاييط، هندسة التواصل الإضماري من التجريد إلى التوليد، عالم الكتب الحديث، إربد، 2012م.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجي،القاهرة.
- الدليل إلى البلاغة وعروض الخليل، علي جميل سلوم، دار العلوم العربية،بيروت،1990.
- روائع التفسير – تفسير ابن رجب، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن السلامي البغدادي الدمشقي الحنبلي، جمع وترتيب: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، 1422- 2001.
- الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع)، السيد مصطفى الموسوي، تحقيق ومراجعة وتعليق: السيد مرتضى الرضوي، دار المعلم للطباعة، ردمك، طهران، 1975- 1395هـ.

- روح المعاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، دار الكتب العلمية، بيروت،1415هـ.
- الزهراء وخطبة فدك–شرح الخطبة الفدكية، محمد باقر المجلسي، علق عليه وأكمله:محمد تقي شريعتمداري،شبكة الفكر – دار كولستان كوثر للنشر،طهران،2003م.
- سر الفصاحة دار الكتب العلمية، عبد الله بن محمد بن سعيد ين سنان الخفاجي أبو محمد، بيروت، 1402هـ- 1982م،ط1.
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، سعد الدين بن عمر التفتازاني، دار الكتب العلمية،بيروت.
- شرح العضد على مختصر المنتهى الأصولي، عثمان بن عمر بن أبي بكر جمال الدين أبو عمرو ابن الحاجب المالكي، تحقيق: فادي ناصيف- طارق يحى، دار الكتب العلمية، 2000.
- شرح الكافية البديعية في علوم البلاغة ومحاسن البديع، صفي الدين الحلي، تحقيق: نسيب نشاوي،دار صادر،بيروت، 1982م، ط1.
- الشعر والشعرية –الفلاسفة العرب ماأنجزوه وما هفوا إليه، محمد لطفي اليوسفي، الدار العربية للكتاب، طرابلس – تونس، 1992م.
- الصورة الأدبية في القرآن الكريم، صلاح الدين عبد التواب، مكتبة لبنان،بيروت،1995م، ط1.
- الصورة الفنية في المثل القرآنيّ، محمد حسين الصغير، ،دار الرشيد للنشر،بغداد، 1981م.
- الصورة الفنية معياراً نقدياً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1987م،د.ط.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي اليمني، لمكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد هنداوي،بيروت.
- عبد الهادي عبد الرحمن، سلطة النص قراءات في توظيف النص الديني، سينا للنشر والانتشار العربي، 2003، ط2.عدنان بن ذريل، النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق،،منشورات اتحاد كتاب العرب،2000.

- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، تعريب ودراسة: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، مصر،1985م.
- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، صبحي إبراهيم فقي، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع،2000.
- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة لكتاب،طرابلس–لبنان،2003م،ط1.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت 456 هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط4، 1972 م.
- العوامل الحجاجية في اللغة العربية، عز الدين الناصح، دار نهى، مكتبة علاء الدين للتوزيع والنشر ،صفاقس ت تونس، 2011م،ط1.
- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي،د.إبراهيم السامرائي، بغداد،1982.
- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي، ج7، مكتبة الهلال.
- فكر اللغة الروائي، فيليب دوفور، ترجمة: هدى مقنّص، المنظمة العربية للترجمة، ط1، بيروت 2011.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000م.
- في النص الأدبي–دراسات أسلوبية إحصائية، سعد مصلوح، عالم الكتب، القاهرة، 2002م،ط3.
- قراءة الشعر الجاهلي في ضوء نظريات الحجاج، نابلس صلال هيول، اطروحة دكتوراه مطبوعة بالآلة الكاتبة، جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الانسانية 2014م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، تحقيق ودراسة: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض.

- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء أبو البشر الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي،القاهرة، 1408هـ - 1988م.
- الكتابة والتجربة الصوفية، عبد الحق منصف، عبد الإله الصائغ، الرباط منشورات عكاظ،1987م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت ، ط3، 1407هـ.
- الكناية في البلاغة العربية، بشير كحيل، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ط1، 2004 م.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي، دار صادر، بيروت.
- اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي، طه عبد الرحمان، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998 .
- اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ط1،المغرب،العمدة في الطبع،2006م.
- مباحث إيقاعية في اللغة العربية، دار هومه،الجزائر،2014م،ط1.
- مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار مسلم،الرياض، 1416هـ،ط2.
- مبادئ النقد الأدبي، ريتشاردز، ترجمة مصطفى بدوي،مراجعة لويس عوض،المؤسسة المصرية العامة،1969م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين ابن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ – دار الكتاب العربي – بغداد، ط1، 1430هـ - 2009م.
- محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، محمد بن الطيب أبو بكر الباقلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، نشر دار الفكر،قم، بيروت، 1411هـ، ط1.

- مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الإمارات العربية المتحدة، 2004، الطبعة الأولى.
- المستصفى في علم أصول الفقه، محمد بن محمد الغزالي، اعتنى به عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية،بيروت.
- المظاهر اللغوية للحجاج مدخل إلى الحجاجيات اللسانية، رشيد الراضي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2014.
- معاجم الموضوعات في ضوء علم اللغة الحديث، محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعيّة، الإسكندرية، 1994.
- معالم التنزيل تفسير البغوي، الحسن بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر– عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، 1409هـ - 1989م.
- معانى القرآن، أبو الحسن المجاشعي، البصري، المعروف بالأخفش الأوسط (ت ٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م.
- معاني الحروف، أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شبلي، دار الشروق، جدة، 1984م،ط3.
- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت –لبنان، 1984م، ط2.
- معجم مصطلحات الأدب، مجدي وهبة، مكتبة لبنان، 1974 م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، عبد الله بن يوسف الأنصاري، تحقيق: حنا فاخوري، دار الجيل، بيروت، 1991م، ط1.
- مفاتيح الغيب التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1420هـ .
- مفاتيح الغيب او التفسير الكبير، ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط 3، 1420هـ
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، شرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية،بيروت،1980م، ط1.

- مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، مجلة عالم فكر، العدد 40، الكويت، 2005.
- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة: سعيد علوش، ديوان المطبوعات الجامعية.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس،تحقيق:عبد السلام هارون،دار الفكر، القاهرة، 1939هـ-1979م، ج4.
- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2004.
- من أساليب الإقناع في القرآن الكريم، معتصم بابكر مصطفى، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة،2003م،ط1.
- من بلاغة القرآن، أحمد بدوي بدوي، نهضة مصر، القاهرة، 2005م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي،ط3.
- منزلة العواطف في نظرية الحجاج، حاتم عبيد، مجلة عالم الفكر،غ20،مجلد40، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،2011م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، 2007م، ط4.
- الميزان في تفسير القرآن - تفسير الميزان، السيد الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1417 هـ .
- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد عبد الله دراز، قدم له عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم للنشر والتوزيع، 2005م.محمد بن عبد الرحمن بن عمر أبو المعالي جلال الدين القزويني الشافعي،الإيضاح في علوم البلاغة،، شرح وتعليق وتنقيح الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، 1993م، ط3.
- النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، عبد الكريم بليغ ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية،1955م.

- نظريات الإعلام، ملفين ديلفر و ساندرا بول، ترجمة: كمال عبد الرؤوف، الدار الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة،1998م، ط2.
- نظرية أفعال اللغة لدى الفيلسوف أوستين أسسها وحدودها الفلسفية، الحسين أخدوش، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية.
- نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، سيد هاشم الطبطبائي، جامعة الكويت، 1994.
- نظرية التأويل – الخطاب وفائض المعنى، بول ريكور، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي،المغرب،2006.
- نظرية الحِجاج في اللغة، شكري المبخوت، ضمن أهم نظريات الحِجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تونس، كلية الآداب بمنوبة، 1999م.
- النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، محمد طروس، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1426هـ –2005م،ط1 .
- نظرية اللغة في النقد العربي، عبد الحكيم راضي، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.
- نظرية النص الأدبي، عبد الملك مرتاض، دار هومة، الجزائر، ط1، 2007.
- النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله أبو الحسن الرماني المعتزلي، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف،مصر،1976م،ط3.
- واهب الرحمن في تفسير القرآن، السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع– العراق، ط5، 1439هـ – 2018م.
- وجدان الصائغ، الصورة الاستعارية في الشعر العربي الحديث رؤية بلاغية لشعرية الأخطل الصغير، والي دادة عبد الحكيم، وجدان الصائغ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2003م، د.ط.
- ومضات السبط البعد العقائدي الأخلاقي في خطب الإمام الحسين، علي الفتلاوي، ج1، مكتبة مؤمن قريش، إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة وحدة الدراسات التخصصية في الإمام الحسين، 1423هـ – 2012م.

ثالثا : الرسائل والأطاريح الجامعية :

1-الإقناع في الخطاب القرآني صورة الشعراء نموذجاً-دراسة حجاجية-، هشام بلخير، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،قسم اللغة العربية، الجزائر،2011-2012م.

2-التشبيهات القرآنية وأثرها في التفسير رسالة ماجستير، أحمد بن سالم الشهري، جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،2009م.

3-الحجاج في القرآن الكريم السور القصار مثالاً، رسالة ماجستير، مروة خضير عباس الغزالي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جمهورية العراق، جامعة كربلاء، 1441هـ - 2019م.

4-الحجاج في النص القرآني سورة الانبياء انموذجا، إيمان درنوني، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر -، باتنة - لجزائر،1434هـ.

5-الحجاج في خطاب الدراسات اللغوية - كتاب منطق العرب في علوم اللسان لعبد الرحمن الحاج صالح أنموذجاً، منى العوادي، رسالة ماجستير، إشراف: فرحات بلولي،وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة أكلي محند أولحاج البويرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية، الجزائر، 2018م- 2019م.

6-الحجاج في كتاب المثل السائر لابن الأثير، يعمران نعيمة، رسالة ماجستير، الجزائر، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012م.

7-رسائل الإمام علي (ع) في نهج البلاغة دراسة حجاجية، رائد مجيد جبار الزبيدي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة البصرة، 1434هـ - 2013م.

8-الصورة الفنية في القرآن الكريم، محمد طول، أطروحة دكتوراه، 1995.

رابعا : الدوريات:

1-الاستدلال الحجاجي، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، مج30، عدد1،2001 م.

2-البنية الحجاجيّة في القرآن الكريم "سورة النمل نموذجاً"، الحواس مسعودي، مجلة اللغة والأدب، العدد12.

3-تداوليات الخطاب وضوابط الرواية والتلقي، محمد إبراهيم علي محروس، مجلة علوم اللغة، القاهرة، دار غريب، مجلد10، عدد1، 2007م.
4-التوازي ولغة الشعر، محمد كنوني، مجلة فكر ونقد، ع18، 1999م.
5-الحجاج مفهومه ومجالاته – الحجاج وحوار التخصصات، حافظ اسماعيل علوي، ج3، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن.
6-السلم الحجاجي في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام إلى محمد بن مسلم الزهري، عبد الإله عبد الوهاب هادي العرداوي، مجلة القادسية للعلوم، كلية التربية الاساسية/ جامعة الكوفة، 2017 .
7-فاعلية التكرار في بنية الخطاب الشعري، عبد الفتاح يوسف، مجلة فصول النقد الأدبي،ع62،صيف وخريف2003م.
8-مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد محمد الأمين، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت،،ع3،المجلد 28، 2000.
9-نحو نظرية لسانية عربية للأفعال الكلامية قراءة استكشافية للتفكير التداولي في المدونة اللسانية التراثية، نعمان بوقرة، ملة اللغة والأدب،عدد2006،17.
10- هاجر مدقن، آليات تشكل الخطاب الحجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، هاجر مدقن، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية الآداب واللغات، المجلد 2006، العدد الخامس، 31 مارس / آذار 2006 .

Abstract

The research aims:- to approach the Qur'anic evidence in the speeches and sermons of the Companions of the Clothing by analyzing and studying from a deliberative argumentative perspective, following the mechanisms of linguistic pilgrims, and its persuasive effect on the speech and speeches of the Companions of the Clothing, by investigating the impact of argumentative factors, which in turn are considered one of the most prominent pilgrims' tools employed in the argumentative discourses for the purpose of hitting The pivotal goal of the pilgrims, which is persuasion, along with the pilgrimages' ties, the pilgrimages' ladders with their laws, the role of all of that, and the functions performed by those argumentative mechanisms and tools in the Qur'anic evidence in the sermons of the Companions of the Clothing (peace be upon them)

. The research aims to study the mechanisms of rhetorical pilgrims and their persuasive effect on the Qur'anic witness in the sermons of the people of clothing, and it stops at the argumentative simile, the argumentative metaphor, and the argumentative metonymy, in an attempt to trace its aesthetic argumentative effect on the level of the Qur'anic witness first and the text of the speech and sermon in which that witness is employed second. The research also aims to stand on the argumentative rhythm and its persuasive effect in the Qur'anic evidence in the sermons of the Companions of the Closing (PBUH), by studying the Qur'anic comma and its rhythmic effect, parallelism and its rhythmic effect, repetition and its rhythmic effect, alliteration and its rhythmic effect, the prefix and its rhythmic effect, and the role it played in The argumentative discourse of the Qur'anic evidence on which it was built, and the functions it performed at the aesthetic level first and the semantic argumentative character second, and the coherence of its argumentative aesthetic energies in the furnace of its argumentative tasks in the Qur'anic textual contexts first, and the textual contexts of the sermons of the owners of clothing second. The

research aims to study the verbs of speech and their levels in the Qur’anic evidence employed in the sermons of the Companions of the Clothing, through the study of the declarative performance verbs (the command, the interrogative, the call, and the prohibition) and the study of implicit and implicit in both its lexical and synthetic parts, and the role of that in strengthening the pilgrims on which the Qur’anic evidence employed in the speech and sermons of the Companions is based. clothing. The research aims to monitor the argumentative presence with its different levels and types in the Qur’anic evidence employed in the sermons of the Companions of the Kisaa (peace be upon them), and the mechanisms of interaction of the argumentative structures and the rhetorical aesthetic linguistic structures in the furnace of the Qur’anic text employed as a witness in the sermons of the Companions of the Kisaa (peace be upon them). The research aims to provide a comprehensive panoramic picture - as much as possible - of the pilgrims in the Quranic evidence employed in the sermons of the Companions of the Kisaa (peace be upon them). In it, and the role of all of this in influencing and winning over the recipient, and pushing him to submit to the speaker, and to recognize the content of his message, and to adopt specific attitudes and behaviors.

Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Kerbala / College of Islamic Sciences

Department of Arabic Language

The Qur'anic Evidences in the Sayings of Asshab Al- Qessaa (PBUT)

" Argumentative Study "

A PhD thesis submitted
to the Council of the College of Islamic Sciences/
University of Kerbala as a part of the requirements for obtaining a doctorate degree in the language and literature of Qur'an

Written by:

Basim Shalan Khudair

Supervised by:

PhD. Prof. Muslim Malik Baayer Al-Asadi

April 2023 Ramadan 1444